بديع الزمان النورسي

فكره ودعوته

وقائع الحلقة الدراسية المنعقدة في قاعة المركز الثقافي الإسلامي/ مسجد الشهيد الملك عبدالله بن الحسين، في عمّان، يوم الخميس ٧ صفر ١٤١٨هـ (١٢ حزيران ١٩٩٧م).

المحرر

إبراهيم علي العوضي

عمان : جمادى الثاني ١٤١٨هـ (تشرين أول ١٩٩٨م)

obeikandl.com

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
ص.ب ٩٤٨٩ عمان ١١١٩١ الأردن
هاتف ٦٣٩٩٩٢ فاكس ٦١١٤٢٠
E-mail: iiitj@go.com.jo

مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ/١٩٨١م) لتعمل على:

* توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
* استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
* إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل منها:

* عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة.
* دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ، ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
* توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي مع عدد من الجامعات العربية والمراكز العلمية في مختلف أنحاء العالم.

ويشرف على أعمال مكتب المعهد في الاردن مجلس علمي متخصص. ويمكن للراغبين في الإسهام في نشاطات المعهد وبرامجه الاشتراك في نظام زمالة المعهد في الأردن.

obeikandl.com

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ/١٩٩٧م

جميع الحقوق محفوظة

المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ مكتب الأردن

مركز بحوث رسائل النور/ تركيا

عنوان مراسلات الحلقة: ص.ب ٩٤٨٩ عمان ١١١٩١

هاتف ٦٣٩٩٩٢-٦-٩٦٢ فاكس ٦١١٤٢٠-٦-٩٦٢

E-mail: iiitj@go.com.jo

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٧/١٠/١٥٠٢)

رقم التصنيف : ٨٩٥ر٩٢١

المؤلف ومن هو في حكمه : المعهد العالمي للفكر الإسلامي

عنوان المصنف : بديع الزمان سعيد النورسي: فكره ودعوته

رؤوس الموضوعات : ١- التاريخ
٢- رجال الفلسفة الإسلامية - تراجم

رقم الايداع : (١٩٩٧/١٠/١٥٠٢)

الملاحظات : عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي

* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

obeikandl.com

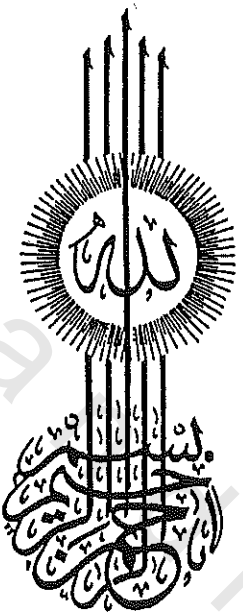

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وقل رب زدني علماً

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(العلق : ١ـ ٥)

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

(النحل : ٧٨)

مقدمة المحرر

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وبعد،

فإن أهم ما يميز الأمة الإسلامية أنها أمة متجددة حاضرة، تسعى إلى التحرر من حالات السكون والتراجع صوب الحركة والإبداع، لقد كنا نحفظ من الآثار النبوية **«إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»**. وليس التجديد قضية شخص يتمتع بصفات كارزمية يستطيع بفضلها إحداث الانقلاب المنشود، والتطور المرجو؛ بل إنها قضية الأمة جمعاء، فكل فرد فيها على ثغرة فلا يؤتين من قبله. لقد ناقش العلماء المسلمون من قَبْلُ قضية تجديد الدين وإحيائه منذ القرن الثاني الهجري وأسهبوا فيها وتداولوها . وبالرغم من أنهم جعلوا لكل قرنٍ مجدداً وأسموه –حتى أن السيوطي جعل أسماء المجددين في منظومة شعرية وجعل نفسه بينهم– إلا أنهم لم يستبعدوا من أذهانهم أن يكون التجديد مُناط بالجماعة، وهذا ما قرره بعضهم. إن على الأمة أن تتحمل مسؤوليتها الجماعية عما ينتابها من خلل أو تقصير أو تقهقر «**كلم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فإن تخلى جزءٌ منهم عن هذه المسؤولية «**هلكوا وهلكوا جميعاً**».

وقد بدأ الخطاب القرآني للجماعة المسلمة في المدينة، وفي أول ظهور لها في مقابل جماعة الكفر بالتأكيد على حقيقة مكانتهم في هذه الأرض، وحقيقة دورهم في حياة البشر ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، إنه تأكيد على أصالة دورهم وسمة مجتمعهم ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾.

إن خطاب التغيير القرآني واسع وله ملامح واضحة وخصائص مميزة وقواعد راسخة؛ إنه خطابٌ يتجه صوب الأمة، يقوّم سلوكها ويرشّد مسيرتها ،ويقوم بتوجيه الانتقاد الشديد إلى الخطابات التي لا تلتزم بمنهج واضح. انظر إلى قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالأثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾.

لقد ترسخت في ذهنيتنا الإسلامية وعلى مر العصور أوهام باتت وكأنها حقائق، وخاصة فيما يتعلق بعلامات الساعة والحياة الآخرة، ولعل فكرة المهدي -التي ادّعاها الكثيرون بالاستناد إلى بعض الصفات التي لفقتها أحاديث ضعيفة وأخرى موضوعة- أقول لعلها أبرز هذه الأفكار التي طالها الوهم. حتى صارت قضية تعمل على تعميقها السلطة الرسمية، لإسكات الجماهير وإقعادها عن المطالبة بحقوقها.

إنها فكرة تستبطن كثيراً من المضامين السياسية التي ترغب السلطة الحاكمة في تعميق مدلالولاتها، لتثبط الناس عن المشاركة في الجيوب الثورية التي كانت تظهر هنا وهناك في داخل الدولة الإسلامية وأطرافها وخاصة في القرن الثاني الهجري، والتي أطاحت بالنتيجة برأس النظام الأموي واستبدلته بآخر من العائلة العباسية التي استمرت في بغداد حتى سقوطها سنة ٦٥٦هـ.

إنها فكرة البطل المحرر نفسها التي قالت بها الشوفينيات الغربية وفكرة المخلّص التي تستند إليها العقيدة النصرانية، ولكنها لدينا لا تجد جذوراً راسخة في نسقنا الفكري والثقافي؛ لإن خطاب التغيير الإسلامي شامل وبعيد كل البعد عن التجزيئية، والحياة في التصور الإسلامي كل متكامل لا تقوم بجانب دون الآخر، ولذلك فإن ثغراتها كثيرة، ولا يمكن لشخص واحد أن يغطيها جميعاً، مهماً أوتي من عزائم وهمم سامقة. إن مقولة: **«إن النخبة هي التي تصنع التاريخ وتحرك عجلته»**، التي قال بها مؤرخو الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، ليست تنطبق بحال على تاريخنا، ولا تتوافق مع مناهجنا، وأنساقنا الحضارية والفكرية والثقافية وصيرورة تاريخنا؛ إن اتجاه الإصلاح تقوم به الأمة بمجموعها لأنه مسؤوليتها: «أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك».

لقد ركز المعهد العالمي للفكر الإسلامي على إيجاد مشروع سلسلة في مؤلفاته تحت عنوان «**دراسة حركات الاصلاح والتجديد والتغيير والشخصيات الإصلاحية المجددة في تاريخنا**» للتأكيد على دور الأمة، ولأخذ العبرة والدروس من كل تلك الحركات والشخصيات التي أسهمت في البناء الحضاري للأمة، وتناولها بالدراسة

التحليلية الناقدة، والتعرف على وجوه القوة لتعزيزها، ووجوه الضعف لمعرفة أسبابها وعواملها، وإمكانات التجديد والإصلاح لتقويتها ولفت النظر إليها، ولعوامل الإعاقة والإحباط لكشفها وتنبيه الأمة إليها وتحذيرها من الإبقاء عليها؛ لكي لا تشكل مزيداً من عوامل أو دواعي الإحباط والفشل أو الإعاقة أو العرقلة لجهود الإصلاح والتجديد والتغيير في هذه الأمة[1].

وقد وجّه المعهد الدعوة -لتحقيق هذه الغاية- للكتّاب والباحثين وطلبة الدراسات العليا لدراسة هذه الحركات والاتجاهات، ولكن الدعوة مع الأسف لم تجد صدىً واهتماماً واسعين لدى الباحثين، فتوّجه المعهد إلى وسيلة أخرى، وهذه الوسيلة هي الحصول على دراسات مُعدة وذات قيمة ومحاولة الاستفادة منها، وإعادة إنتاجها بشكل يلبي الحاجة المطلوبة، وقد أُخرج بهذا الصدد المحاولتين اليتيمتين من سلسلة حركات الإصلاح والتجديد، وهما كتاب د. ماجد عرسان الكيلاني (هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس)، وكتاب د. عبدالمجيد النجار (تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت).

إن هذا الاهتمام الكبير بهاتين الدراستين، يعكس حاجة الأمة إلى أمثال هذه الدراسات؛ للاستفادة منها في توجيه هذه الحركات وترشيد مسيرتها، والبناء المتراكب على إنجازاتها حتى لا تبقى دائماً تبدأ من الصفر.

وأود أن أشير هنا إلى أن المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ مكتب الأردن، أخذ يعقد حلقة دراسية سنوية بالتعاون مع بعض المؤسسات التي لها أوجه اهتمام بهذه القضايا، تتناول العطاء الفكري لشخصية فكرَية بارزة كان لها أثر بارز في حركة إصلاحية، أو دور في التجديد في زمان ومكان معيّنين، تتناول بالتدقيّق والتمحيص والنقد والتبصر أوجه القوة وأوجه الضعف في طروحاته وأفكاره.

وقد ابتدأت سلسلة الحلقات بالأستاذ الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- الذي توفي في أذار من عام ١٩٩٦م، وقد عقدت الحلقة تكريماً له، وتقديراً لجهوده،

---

(1) انظر مقدمة د. طه العلواني لكتاب «هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس» ماجد عرسان الكيلاني، وكتاب «تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت» د. عبدالمجيد النجار.

وتذكيراً بفضله في قاعة المركز الثقافي في مسجد الشهيد الملك عبدالله بتاريخ ٢٠/ ٩٦/٦. وقد أعدت الأوراق التي نوقشت في هذه الحلقة في كتاب باسم المؤسسات الثلاث التي شاركت في تنظيمها: جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ومؤسسة آل البيت، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي/مكتب الأردن، وقد قام بتحريره المستشار الأكاديمي للمعهد د. فتحي ملكاوي تحت عنوان «**العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي**». أما الحلقة الثانية فهي هذه، والتي حملت عنوان «**بديع الزمان النورسي: فكره ودعوته**».

وقد جاءت هذه الحلقة بمبادرة مشتركة من المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومركز بحوث رسائل النور. وقد عقدت الحلقة يوم الخميس الموافق ١٩٩٧/٦/١٢ في قاعة المركز الثقافي الإسلامي/ مسجد الشهيد الملك عبدالله بن الحسين بموافقة كريمة من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية على استعمال القاعة.

وقد وجهت دعوة المشاركة في الحلقة لكل الجامعات الأردنية، والمؤسسات والمراكز الثقافية والعلمية، والوزارات المعنية مثل التربية والتعليم والتعليم العالي والثقافة والأوقاف... وغيرها.

وقد افتتحت الحلقة الدراسية في الساعة التاسعة، بتلاوة آيات عطرات من القرآن الكريم، ثم قام مدير الجلسات **الأستاذ الدكتور فتحي ملكاوي المستشار الأكاديمي للمعهد** بافتتاح الحلقة باسم الله، وقد تحدث في جلسة الافتتاح نيابة عن مؤسسات المشاركة كل من:

- **الأستاذ الدكتور إسحق فرحان**، رئيس المجلس العلمي للمعهد.
- **والأستاذ إحسان قاسم الصالحي**، مدير مركز رسائل النور.

ثم عرضت ثمانية بحوث على مدار أربع جلسات. وقد كان تم تكليف بعض الباحثين لإعداد تعقيب مكتوب على كل ورقة مقدمة في هذه الحلقة، وبعد عرض الورقتين والتعقيبين، كان المجال مفتوحاً لمداخلات الجمهور وتعقيباته، وقد سجلت جميع الفعاليات لهذه الحلقة على أشرطة الفيديو، فضلاً عن تسجيل داخلي على أشرطة الكاسيت، وتصوير فوتوغرافي.

وقد استفدنا كثيراً من تسجيل هذه الفعاليات في إثبات تفاصيل وقائع الجلسات في هذا الكتاب التوثيقي، وخاصةً المناقشات وأسئلة الجمهور؛ فضلاً عن اللقطات التوثيقية للمحاضرين والمعقبين والجمهور، مما تجدونه مثبتاً في الكتاب بين أيديكم.

وقد رأينا أيضاً أن يتم تضمين الكتاب نبذة مختصرة عن مؤلفات بديع الزمان التي عرفت باسم رسائل النور، وقد قام بإعداد هذه الخلاصة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الذي قام بترجمة الرسائل جميعها إلى اللغة العربية في ثمانية مجلدات، وهو لاشك أفضل من يكتب مثل هذه النبذ. كما رأينا أن نرفق قوائم مستقلة عن الكتب التي ألّفها الأستاذ النورسي باللغة العربية، والكتب التي ألفها باللغة التركية، وبعض الكتب التي كتبت عنه وتناولت عطاءه وفكره.

أما إعداد الكتاب، فقد جرى تضمينه جميع الوثائق الخاصة بالحلقة وتنظيمها في صعيد واحد، بما في ذلك تفريغ الأشرطة الخاصة بالتعقيبات والمناقشات وإجراء التحرير المناسب في هذا السياق، مع المحافظة على الأفكار الرئيسة للمتحدث، ومن ثم الإشراف على تدقيقها وإخراجها إخراجاً فنياً قبل الدفع بها إلى المطبعة.. وعليه فإن إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الماثلة هو مسؤولية المحرر، ولا تتحمل المؤسستان المنظمتان أي تقصير أو خلل قد يلحظه القارئ.

ولعل الواجب في الختام يقتضينا أن نزجي الشكر أخلصه للقائمين على المؤسستين المنظمتين اللتين تعاونتا في تنظيم هذه الحلقة، ووزارة الأوقاف التي وافقت مشكورة على استخدام قاعة المركز لعقد هذه الحلقة.

كما الشكر موصول للأستاذ إحسان قاسم الصالحي مدير مركز رسائل النور الذي أعد نبذاً مختصرة عن كتب النورسي، وقدم مؤلفاته باللغة العربية والتركية، ومؤلفات من كتب عن النورسي.

والشكر الجزيل أيضاً للأخ محمد عبد رب النبي الذي قام بتسجيل الفيديو والتصوير الفوتوغرافي في الحلقة.

أما أعظم الأمتنان وأوفره فهو للأخوة في مكتب الأردن وبالأخص للأخ ماجد أبوغزالة، الذي قام بجهد متميز في التنظيم، ومن ثم في صف الكتاب وتنضيده، وللأخوة بشار وعمر اللذين قاما بجهد متميز في يوم إنعقاد الحلقة.

ونعتقد أن القارئ سيلحظ قيمة الجهد المبذول في إعداد هذا الكتاب، ومع ذلك فهو عمل بشري يعتريه النقص أما الكمال فهو لله وحده. نسأله تعالى أن ينفع بهذا الجهد. وأن يجعله في ميزان حسناتنا، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إبراهيم علي العوضي

مقرر الحلقة الدراسية

١٩٩٧/١٠/٧م

obeikandl.com

قائمة محتويات الكتاب

مقدمة المحرر ١

قائمة المحتويات ٧

وقائع الجلسة الافتتاحية ٩

– تقديم رئيس الجلسات المستشار الأكاديمي للمعهد/ د. فتحي ملكاوي ١١

– كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي (مكتب الأردن)

أ.د. إسحق أحمد فرحان/ رئيس المجلس العلمي للمعهد ١٢

– كلمة مركز بحوث رسائل النور

أ. إحسان قاسم الصالحي/ مدير المركز ١٥

وقائع جلسة العمل الأولى ١٩

– ورقة أ. إحسان الصالحي: لمحة عن حياة النورسي ٢١

– ورقة د. سعاد بيلديرم: مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية ٢٧

– ورقة د. حمود عليمات: منهج المعرفة والاستدلال عند النورسي ٤٥

– تعقيبات ومناقشات الجلسة الأولى ٥٤

وقائع جلسة العمل الثانية ٦٥

– ملخص ورقة د. عبدالله الخطيب: وجوه الإعجاز عند النورسي ٦٧

– ورقة د. أحمد شكري شابسوغ: علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي . ٧١

– تعقيبات ومناقشات الجلسة الثانية ٩٨

obeikandl.com

وقائع جلسة العمل الثالثة ١١٥
– ورقة أ. عبدالله الطنطاوي: منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي ١١٧
– ورقة د. علي الصوا: المنهج الفقهي عند النورسي ١٥٧
– تعقيبات ومناقشات الجلسة الثالثة ١٩٥
وقائع جلسة العمل الرابعة ٢٠١
– ورقة د. عبدالمجيد النجار: البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي ٢٠٣
– ورقة د. مصطفى أبوصوّي: موقف النورسي من السببية ٢٢١
– تعقيبات ومناقشات الجلسة الرابعة ٢٣١
كلمة الختام: د. فتحي ملكاوي/ المستشار الأكاديمي للمعهد ٢٤٥
مؤلفات بديع الزمان النورسي ٢٤٧

copelikandl.com

وقائع الجلسة الافتتاحية

١. تقديم عريف الحفل.

الدكتور فتحي ملكاوي/ مستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٢. كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ مكتب الأردن.

أ.د. إسحق أحمد فرحان، رئيس المجلس العلمي للمعهد.

٤. كلمة مركز بحوث رسائل النور.

أ. إحسان قاسم الصالحي، مدير المركز.

جلسة الافتتاح: من اليمين أ. إحسان قاسم الصالحي
وأ.د. إسحق أحمد فرحان، ود. فتحي ملكاوي

جانب من الحضور

كلمة عريف الحفل في الجلسة الافتتاحية للحلقة

الدكتور فتحي ملكاوي
المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ نشهد أنه بلغّ الأمانة، ونصح الأمة، وجهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين. أما بعد،

فباسم الله نفتتح أعمال هذا الملتقى الفكري حول عطاء عالم إسلامي بارز ملأ سمع الدنيا وبصرها، ألا وهو الأستاذ الشيخ (بديع الزمان سعيد النورسي). وهذه هي جلسة الافتتاح لهذا اللقاء المبارك، وبعدها سوف تستمعون على مدى هذا اليوم لأربع جلسات أخرى، يتحدث فيها نخبة من أجلاء العلماء ممن قرأوا للأستاذ وغرفوا من بحر معرفته، والبرنامج بالتفصيل بين أيديكم.

أما هذه الجلسة فسنستمع فيها إلى كلمات المؤسسات المشاركة. وأولها كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ مكتب الأردن يلقيها الأستاذ الدكتور إسحق فرحان، رئيس المجلس العلمي للمعهد، ورئيس جامعة الزرقاء الأهلية، أما المؤسسة الثانية المشاركة في تنظيم هذه الحلقة فهي مركز بحوث رسائل النور، يتحدث نيابة عنه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، مدير المركز.

openkalkan.com

كلمة المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان

رئيس المجلس العلمي للمعهد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين،

أيها الأخوة والأخوات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

نيابة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أرحب بكم، وأشكركم على تلبية الدعوة للمشاركة في هذه الحلقة الدراسية عن **«بديع الزمان سعيد النورسي: فكره ودعوته»**.

والمعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة علمية فكرية ثقافية مستقلة، أنشئت مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٩٨١م) وسجلت في الولايات المتحدة، ثم افتتح المعهدُ مكاتب في عدد من العواصم العربية والإسلامية وغيرها. وأقام اتفاقات للتعاون العلمي مع العديد من الجامعات والمراكز العلمية في مختلف أنحاء العالم.

ويهدف المعهد من نشاطاته إلى بناء الرؤية الإسلامية الشاملة، اللازمة لتأصيل قضايا الأمة الإسلامية وقضايا العالم في هذا العصر. وربطها بالمقاصد والغايات الإسلامية العامة. كما يهدف إلى استعادة الهوية الفكرية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال إصلاح مناهج الفكر الإسلامي، وجهود إسلامية المعرفة، لتمكين الأمة من إعادة بناء حياتها الإسلامية، وتعزيز دورها في توجيه مسار الحضارة الإنسانية وترشيدها، وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ومثل هذه الحلقة الدراسية التي ينظمها المعهد بالتعاون مع مركز دراسات رسائل النور في تركيا، مثال على أوجه النشاط التي يمارسها المعهد بالتعاون مع غيره من المؤسسات المماثلة.

أما موضوع هذه الحلقة فهو المرحوم الأستاذ **«بديع الزمان سعيد النورسي»**، وهو من أعلام الدعوة والجهاد والاصلاح في تاريخ أمتنا المعاصر، له أثر كبير في تركيا، وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي، شأن الكثيرين من المصلحين المجددين في هذا العصر، من أمثال الأستاذ حسن البنا، والأستاذ عبدالقادر عودة، والأستاذ سيد قطب، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، والشيخ محمد الغزالي وغيرهم كثير.

ويأتي اهتمامنا بهذا الرجل العالم المجاهد من قبيل اهتمامنا بحركات التغيير وجهود الإصلاح في تاريخ أمتنا الإسلامية، وهي جهود لم تنقطع على مدار تاريخنا العربي والإسلامي.

ومع ذلك فإن الأمة ما تزال عاجزة عن تحقيق أهدافها في النهوض الحضاري، ومن هنا فإن المزيد من جهود الإصلاح سوف يبقى حاجة ملحة، لكن أية جهود إصلاحية جديدة تستدعي استيعاب ما كان صالحاً من جهود سابقة، كما تستلزم تجاوز ما ظهر عجزه وفشله منها.

إنّ واقع الأمة الذي يتمثل في التجزئة والتخلف والتبعية وضياع الهوية، يستدعي أن يتجنب رواد الإصلاح فيها تراكم الأخطاء وتكرار أسباب الإحباط والفشل، وربما يسهم في تحقيق هذا الهدف أن تتم دراسة حركات الإصلاح والتجديد والإفادة من تجاربها، من أجل استخلاص منهج التجديد وضوابط التغيير، والتوصل إلى مباديء عامة وقواعد كلية تساعد في ترشيد مسيرة الإصلاح والتغيير.

وقد دعا المعهد العالمي للفكر الإسلامي الباحثين والمفكرين إلى إجراء سلسلة من الدراسات والبحوث حول محاولات الإصلاح وحركات التغيير في الواقع التاريخي الإسلامي بما لها وما عليها، بشكل يقدم لأجيال الأمة قواعد كلية في الإصلاح، تفيد في بناء ما يسميه الدكتور عبدالمجيد النجار (فقه الإصلاح).

وهناك مبررات إضافية لاهتمامنا الخاص بالأستاذ النورسي –رحمه الله–، ومن تلك طبيعة الفترة الزمنية التي عاشها، أواخر القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وما رافق هذه الفترة من تكالب أعداء الأمة في داخل الدولة وخارجها على الخلافة الإسلامية، الأمر الذي انتهى بالإجهاز عليها عام ١٩٢٤م، ووقوع معظم الأقطار الإسلامية تحت وطأة الاستعمار الغربي، وتهيأ لمخططات

المشروع الصهيوني الذي ركز حملته على السيطرة على فلسطين، واغتصابها من أهلها العرب والمسلمين الشرعيين، بتأييد من بريطانيا العظمى آنذاك، ومن أمريكا مباشرة منذ عام ١٩٤٨م.

ومما يلفت النظر أن جهود هذا العالم المسلم لم تنل العناية الكافية من البحث والكتابة في العالم العربي، مما دعانا إلى تخصيص هذه الحلقة الدراسية للتعريف به وبأفكاره وحركته وأثره في بلد إسلامي، نأمل له كل الخير في حاضر أمتنا ومستقبلها.

إن اهتمامنا بالأستاذ النورسي رحمه الله، لا يقلل من اهتمامنا بغيره من المفكرين والمجددين والمصلحين في تاريخ أمتنا، فقبل عام واحد من هذا اليوم (٢٠/٦/ ١٩٩٦م)، كنا في هذا المكان بالذات في حلقة دراسية عن المرحوم الشيخ «محمد الغزالي»، وعطائه الفكري وجهوده الإصلاحية، ونحن اليوم نعقد هذه الحلقة الدراسية عن بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، وغداً عن شخصية أخرى من شخصيات التجديد والإحياء الإسلامي.

فالحديث عن المصلحين والمجددين، ولا سيما المحدثين منهم يبعث في الأمة الأمل، وينشط الهمم لاستعادة هويتها واستئناف رسالتها، وما أحوج الإنسانية اليوم والعالم الإسلامي بوجه خاص إلى فهم أفكار المصلحين المجددين، والاسترشاد بها في تفعيل المشروع النهضوي الإسلامي، الذي يأخذ بيد الأمة إلى استعادة دورها العالمي في العطاء الفكري والعلمي والحضاري على قيم الإسلام العظيم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ييسر لهذه الأمة أمر رشد ويهديها سبلها، إنه سميع قريب مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة مركز بحوث رسائل النور

الأستاذ إحسان قاسم الصالحي

مدير مركز بحوث رسائل النور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ومن اتبع سنته وسار على نهجه إلى يوم الدين، وسلام الله عليكم أيها الحفل الكريم، ورحمة الله تعالى وبركاته... وبعد،

أحييكم باسمي وباسم مركز بحوث رسائل النور باستانبول، بأجمل كلام وأفضل تحية، وهي تحية الإسلام فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أساتذتي الأفاضل، الأخوة والأخوات الكرام.

أنني إذ أقف أمامكم ترحيباً بكم وتكريماً لكم أتضرع إلى المولى القدير أن يشرح صدورنا ويطلق لساننا لما يحبه ويرضاه، ويفيض على أقوالنا وأعمالنا من أسرار قوله جلّ وعلا: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، ويجعلنا ممن يقولون القول فيتبعون أحسنه.

أيها الأخوة والأخوات

إنني إذ أرحب بكم بكل كياني وأقدم لكم جزيل الشكر والامتنان لتفضلكم بالحضور، لأخص القائمين على إدارة المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن بالتقدير الفائق، وجميل الاحترام لما بذلوه من جهود في تهيئة هذه الفرصة الثمينة لنا جميعاً، لنبيّن علماً من أعلام الإصلاح في عصرنا الحاضر وهو بديع الزمان سعيد النورسي.

فلماذا النورسي؟ إن المتأمل في الأمور الغيبيّة الإيمانية ينحو به أن ينظر إليها من منظارين:

الأول: الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تتسم بالثبات والبقاء، ما دامت السموات والأرض.

الثاني: مدارك الإنسان العقلية، وعمق تصوره، وسعته المتّسمة بالتغير والاختلاف والتباين من فرد إلى فرد ومن جيل إلى جيل.

ولاجرم أن التصديق بالأمور الغيبية لا يتم أو لا تتكامل عناصره بالاكتفاء بعرض نصوص الأول وحده، أو بالاعتماد على الثاني وحده؛ إذ إن مهمة بعث الإيمان –ولا سيما في هذا العصر– لا يكفيه عرض الآيات الكريمة وسردها آية آية، وإيراد الأحاديث الشريفة حديثاً حديثاً من غير تنوير عقلي وإدراك إنساني متناسب مع قدراته، كما أن مدارك الإنسان وقدراته العقلية وسعة أفقه لا تكفي أساساً لبناء إيماني متين، من غير تبصير قلبي وانبعاث روحي، واستلهام وجداني من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

وعلى هذا، فإن التصديق بالأمور الغيبية الإيمانية قوامه: الهداية الربانية، والتنوير القرآني المقرون بتطويع الإنسان لما يمتكله من قدرات ومدارك –محدودة في أوسع مستوياتها– لتلقي تلك الاستلهامات الإيمانية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

زد على ذلك أن ثمة حاجة الفطرة إلى الإيمان التي تفصح عن شدة إلحاحها كلما ضعفت ركائز الإيمان في القلوب، وهذه الحاجة الإنسانية أيضاً ليست ثابتة على مر العصور، بل هي متغيرة تبعاً لتغير الإنسان.

ومما سبق نرى مصداق قول الرسول ﷺ في عناية الله الشاملة على البشرية في بعثه من يجدد أمر دينها كل مائة سنة من الزمان.

وربما يرد سؤال: ما الحكمة في تجديد الدين؟ وما الحكمة في تسلسل المجددين وتواترهم؟ أليس الإسلام قد اكتمل؟

إن التكفير في هذا الأمر يجعلنا نربط بين تجديد أمر الدين –وهو مكتمل أبداً– وبين الحاجة الإنسانية إليه، وهو أمر مرتبط ضمناً بتغير الإنسان في مداركه وتصوره وخياله، فلابد إذن من إستثمار قدراته ومداركه المتسعة لتعميق الجذور الإيمانية فيه، وإيقاظ نعمة الإذعان الإيماني في فطرته طالما أن معين الإيمان لاينضب، فهو منهل أبدي يشبع نهم المؤمن إلى المعرفة ما دامت الحكمة ضالته.

ومن هنا كان المجددون ممثلي عصرهم، مرشدي إنسان عصرهم إلى مناهل الإيمان وإلى إرتشاف نسغ الحياة من روح الآيات الكريمة ورحيق الأحاديث الشريفة، ليجدوا لذة الإيمان أنّى كانوا وكيفما كانوا. وعلى ذلك استحقوا تسمية: «ورثة الأنبياء».

فالمجدد لأمر الدين يهبه الله سبحانه رؤية واضحة شاملة، وبصيرة نفاذة، وقدرة على سبر غور الآيات والأحاديث، لينهض في أداء الرسالة والتبليغ بها، حتى كأنه مندوب لهذه الأمة منذ نشأته وحتى مماته. فإذا بحياته سجل حافل ينقل صورة عصره وتصويبه لزلات معاصريه، ويفتح أمامهم سبل الاستهداء والاسترشاد.

وبديع الزمان سعيد النورسي رجلٌ قد أفاض الله على قلبه من نور القرآن الكريم ما جعله يدخل عالم الإيمان والغيبيات بثبات وإقدام، في عصر طغت فيه قوى المادية، فأسدلت غشاوة على الأبصار والبصائر، فلم تعد ترى العقبى، وبدت الغيبيات شاحبة باهتة خافتة تنتظر من يجلوها ببريق الإيمان، فما فتئ النورسي يجول ويصول في هذه الساحة متزوداً بنور الهداية الربانية، وما حباه الله من قدرات فائقة في استيعاب ما وصل إليه عصره وما وصلت إلى عصره من علوم، وما تفتحت أمامه من آفاق الحاجة الإنسانية في عصره، حتى وجدناه في رسائله –رسائل النور– وفي تربيته لطلابه مثالاً للمجدد المُقتدي بالرسول الكريم ﷺ، والمُقتفي خطوات الهداية في نور القرآن المبين.

ولعل العناية الآلهية شاءت أن تغرس في النورسي بصيرة نفاذة، وقدرة عجيبة في دمج العلوم العقلية الحديثة والعلوم النقلية الشرعية، فكأنه ينهل من جذور المعرفة لا من فروعها؛ إذ يقدم حلولاً وإرشادات في عقد الأمور الحياتية والإيمانية والغيبية في بلاغة رائقة وأسلوب رشيق، تأنس به العقول وتطمئن به القلوب، فتجد فيه ضالتها، ومنفذ خلاصها من دون أن يكدّر شيئاً على صفو الأفهام أو يغرقها في الفروع دون الأصول.

ولكي يكون أسلوبه جامعاً لجماح العقول وشرود القلوب، فقد أودع الله فيه قدرة على الاستشهاد بـ«الأمثلة» المقنعة القريبة من العقل والقلب معاً، ومنحه قوة

المنطق الفطري والبرهان العقلي والأدلة المقنعة وإقامة الحجج القوية في معالجته الأمور الغيبية الإيمانية، لذا يجد قارئ الرسائل متعة جديدة كلما أعاد قراءتها، بما ينكشف أمامه من آفاق إيمانية احتجبت عنه في مطالعته الأولى.

والله نسأل أن يرزقنا الانتفاع بعلوم الإيمان، ويهب لنا من رحمته الإخلاص في القول والعمل، فاللهم وثق رابطة هذه القلوب المؤمنة إليك، وأدم ودّها، واهدها سبلها، واشرح صدور هذا الجمع المبارك بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحينا يا ربنا بمعرفتك وبمحبة رسولك ﷺ إنك نعم المولى ونعم النصير.

وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandl.com

جلسة العمل الأولى

رئيس الجلسة: الدكتور فتحي ملكاوي

١. الورقة الأولى: لمحة عن حياة النورسي
الأستاذ إحسان قاسم الصالحي

٢. الورقة الثانية: دور حركة النور في العمل الإسلامي في تركيا.
الدكتور سعاد ييلديرم

٣. الورقة الثانية: منهج المعرفة والاستدلال عند النورسي.
الدكتور حمود عليمات

٣. تعقيبات ومناقشات الجلسة الأولى.

obeikandl.com

الجلسة الأولى: من اليمين د. حمود عليمات، وأ. إحسان قاسم الصالحي
ود. سعاد بيلديرم، ود. فتحي ملكاوي

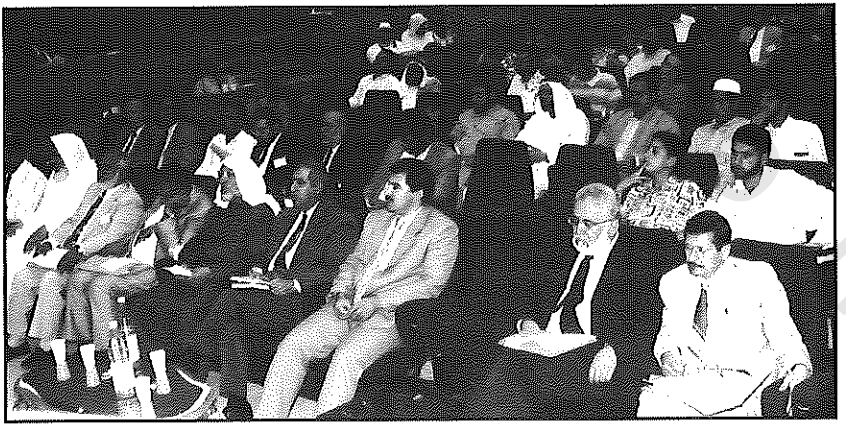

جانب من الحضور

جوانب من حياة سعيد النورسي

الأستاذ إحسان قاسم الصالحي

مدير مركز بحوث رسائل النور

ولد سعيد النورسي سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) في قرية (نورس) التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول. وتتلمذ على أخيه الكبير «**الملاعبدالله**» واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو، ثم بدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذة والمدارس، ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم، يرفده ذكاؤه المشرق، الذي اعترف به أساتذته جميعهم بعد إمتحانات صعبة، كان يجريها له كل منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة، إذ درس وحفظ كتاب «جمع الجوامع» في أصول الفقه في أسبوع واحد.

ولم تلبث شهرة هذا الشاب أن انتشرت بعد أن فاق في مناقشاته علماء منطقته جميعاً، فسموه «**سعيد المشهور**». ثم ذهب إلى مدينة «تللو» حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا، وحفظ هناك القاموس المحيط للفيروزابادي إلى باب السين.

وفي سنة ١٨٩٢م ذهب «الملا سعيد» إلى «ماردين»؛ حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة الناس، فَوُشي به إلى الوالي فأصدر أمراً بإخراجه، وسيق إلى «بتليس». فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألحّ عليه أن يقيم معه، وهناك وجد الفرصة سانحة لمطالعة الكتب العلمية، لاسيما علم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث الشريف والفقه والنحو، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم نحو ثمانين متناً.

وفي سنة ١٨٩٤م ذهب إلى مدينة «وان» وانكبّ فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيلوجيا والفلسفة والتاريخ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمّي بـ«بديع الزمان» إعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

وفي هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني «غلادستون» قد صرّح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: «مادام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به»، زلزل هذا الخبر كيانه وأقضّ مضجعه فأعلن لمن حوله: **«لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبوا سناها ولا يمكن إطفاء نورها»**.

فشد الرحال إلى إستانبول عام ١٩٠٧م، وقدّم مشروعاً إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم «مدرسة الزهراء» –على غرار الأزهر الشريف– تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة وبإمتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبإفتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك»[1].

وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة. فاعترف له الجميع بالإمامة وبأنهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحداً، حتى أن أحدهم عبّر عن إعجابه الشديد بعد أن اختبره اختباراً دقيقاً، قال: «إن علمه ليس كسبياً، وإنما هو هبة إلهية، وعلمٌ لدنيّ».

وفي سنة ١٩١١م ذهب إلى بلاد الشام، وألقى خطبة بليغة من على منبر الجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية وسُبل علاجها، ثم رجع إلى استانبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان «رشاد» فوعده السلطان خيراً، وفعلاً خصص المبلغ وشرع بوضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة «وان»، غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع.

وعلى الرغم من معارضة سعيد النورسي لدخول الدولة العثماني الحرب، فإنه حالما أُعلنتّ اشترك هو وطلابه في الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة «بتليس» كان بديع الزمان يدافع مع طلابه عن المدينة دفاعاً مستميتاً، حتى أنه جرح جرحاً بليغاً، وأسر من قبل الروس

---

[1] صيقل الإسلام، ص ٤٢٨.

وسيق إلى معتقلات الأسرى في سيبيريا. وفي الأسر استمر على إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم «٩٠» ضابطاً، ثم هرب من الأسر بأعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة. ومرّ في طريقه بوارسو وألمانيا وفينا. وعندما وصل إلى استانبول منح وسام الحرب، واستقبل إستقبالاً رائعاً من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية. وكلفته الدولة بتسنّم بعض الوظائف، رفضها جميعاً إلاّ ماعينته له القيادة العسكرية من عضوية في **«دار الحكمة الإسلامية»**، التي كانت لا توجه إلاّ لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيّم **«إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»**، الذي ألفّه في خِضَمّ المعارك، و**«المثنوي العربي النوري»**.

وبعد دخول الغزاة إلى إستانبول أحس النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمر عن ساعد الجد، فبدأ بتأليف كتابه **«الخطوات الست»** هاجم فيه الغزاة بشدة، وأزال دواعي اليأس الذي خيّم على كثير من الناس. ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دعي إلى أنقرة عدة مرات، فتوجه إليها سنة ١٩٢٢م، حيث استقبل في محطة القطار بحفاوة من قبل أركان الدولة. ولكن سرعان ماخاب ظنه بمن دعوه، إذ وجد أن معظمهم لا يؤدون الفرائض الدينية، فوجّه إلى المجلس النيابي (مجلس المبعوثان) خطاباً مؤثراً إستهلّه بـ: أيها المبعوثان إنكم لمبعوثون ليوم عظيم، وهناك عرض أيضاً مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية فلقي القبول، إلاّ أن ظروفاً سياسية حالت دون إكمال المشروع.

في سنة ١٩٢٣م توجّه بديع الزمان إلى مدينة «وان»، واعتزل الناس في جبل «أرَك» القريب من المدينة طوال سنتين متعبداً ومتأملاً. ورغم ذلك لم ينج من شرارة الفتن والإضرابات فنفي مع الكثيرين إلى «بوردو»، ووصل إليها في شتاء سنة ١٩٢٦م. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي «بارلا» جنوب غربي الأناضول، فظن أعداء الإيمان أن سيقضي عليه، ويخمد ذكره ويطويه النسيان ويجف هذا النبع الفياض.

ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، فرعاه بفضله وكرمه، حتى غدت «بارلا» مصدر إشعاع عظيم لنور القرآن، إذ ألّف الأستاذ النورسي هناك معظم «رسائل النور». وتسربت هذه الرسائل عن طريق الإستنساخ اليدوي، وانتشرت من

أقصى تركيا إلى أقصاها، إذ ماكان الأستاذ النورسي يساق من منفى إلى آخر، ويزج في السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن من الزمن، إلاّ وقيض الله من يستنسخ هذه الرسائل، وينشر هذا الفيض الإيماني، حتى أيقظت روح الإيمان الراكدة لدى أهل الإيمان، وأرستها على دعائم علمية ومنطقية في غاية البلاغة بحيث يفهمه العوام ويتزود منه الخواص.

وهكذا استمر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م فأصبحت في أكثر من (١٥٠) رسالة، جمعت تحت عنوان «كليات رسائل النور» التي تضم أربع مجموعات أساسية هي: «الكلمات ، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات». وغيرها من المجموعات التي لم تتيسر لها إن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٥٤م. وكان الأستاذ النورسي يشرف بنفسه على الطبع حتى كمل طبع الرسائل جميعها.

ونورد النص الآتي لينير لنا جانباً من أسلوب رسائل النور المتميز، عن الأساليب المتبعة الأخرى في عرض مفاهيم الإسلام وترسيخ أركان الإيمان.

«... حقاً إن معرفة الله المستنبطة بدلائل (علم الكلام) ليست هي المعرفة الكاملة، ولا تورث الإطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، فإنها تصبح معرفة تامة، وتسكب الإطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم.

وكما أن معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة، فإن المعرفة الناتجة عن طريق التصوف أيضاً ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة المستقاة من القرآن الكريم مباشرة من قبل «ورثة الأنبياء». ولقد شبهنا في «كلمات» أخرى من رسائل النور، لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن الكريم والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال:

إنه لأجل الحصول على الماء هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيد يحفره في أسفل الجبل، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا، ويفجرونه أينما كانوا، فالأول سير في طريق وعر وطويل والماء معرض فيه للإنقطاع والشحة، وهذا هو مسلك علماء الكلام، إذ يثبتون واجب الوجود بإستحالة الدور والتسلسل غير المتناهي للأسباب.

أما منهاج القرآن الحكيم فهو يجد الماء ويفجره في كل مكان وبيسر كامل، فكل آية من آياته الجليلة تفجّر الماء أينما ضربت -كعصا موسى- وتستقرىء:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

...ثم إن الإيمان لا يحصل بالعلم فحسب، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا مادخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم -كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ حظها منها، وتمصها حسب درجتها. فإن كانت فاقدةً غذاءً لطيفةٍ من اللطائف فالمعرفة إذاً ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها»[1].

ابىّ الأستاذ النورسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار١٩٦٠م في مدينة «أورفة» تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.

ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ قاموا بنقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة مجهولة، بعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة «أورفة» وملؤوها بالجنود المدججين بالسلاح.

---

[1] المسألة الثانية من المبحث الرابع من المكتوب السادس والعشرين من كتاب المكتوبات.

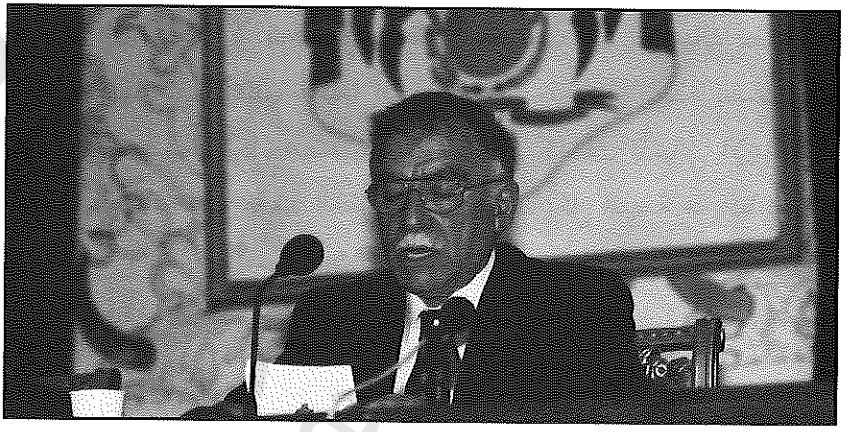

أ. إحسان قاسم الصالحي: يعرض ورقته.

أ. أنور الزعبي: في تعقيبه على ورقة د. حمود عليمات.

مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلامية

البروفسور سعاد بيلديرم

جامعة مرمرة/ تركيا

قسمنا بحثنا هذا إلى قسمين :في **القسم الأول** تحدثنا عن العمل والنشاط الإسلامي في الجمهورية التركية بشكل مختصر.وفي القسم الثاني تحدثنا بنوع من التفصيل حول فكر بديع الزمان سعيد النورسي ودعوته حسب طلب القائمين على هذه الحلقة التي حملت عنوان: "**بديع الزمان سعيد النورسي :فكره ودعوته** ".

نسبة المسلمين في تركيا –التي يبلغ عدد سكانها خمسة وستون مليونا – ٩٩٪، قسم منهم بعيد عن الوعي والسلوك الإسلاميين بسبب الوسط والبيئة التي يعيشون فيها. وبعضهم ليبرالي الإتجاه، وبعضهم اشتراكي. إلا أن الاشتراكيين التحقوا بالليبراليين بعد فشل الاشتراكية في العالم أجمع، وفي الاتحاد السوفيتي خاصة. وعدد هذا القسم قليل، ولكن نفوذهم في إدارة البلد وفي المجالات الاقتصادية والجيش كبير؛ لإنهم هم الذين انتفعوا من إمكانيات الدولة في القرن الأخير، ونالوا دعم بعض المراكز الغربية.

وفي مقابل هذا فان معظم الشعب التركي متمسك بالإسلام. وقد تزعزع التمسك التقليدي في القرن العشرين في أوساط المثقفين إلى حد كبير. ولكن هذه الزعزعة لم تؤدِ إلى انسلاخهم عن الإسلام، كما كان ينتظر بعض المعارضين للإسلام. بل لعبت هذه الزعزعة دور التطعيم وأدت إلى تقوية البنية الإسلامية. وشهد الربع الأخير من القرن العشرين صحوة إسلامية واسعة لدى الشعب التركي ولاسيما المثقفين منهم. وتحققت هذه النتيجة المحمودة بجهود أهل العلم والعرفان الذين شكلوا عدة حلقات حولهم لأجل خدمات الإسلام.

أنشأ هذا الشعب المسلم خلال الخمس وثلاثين سنة الأخيرة أكثر من عشرين ألف مسجد، وأكثر من خمسة آلاف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وأكثر من

خمسمائة وواحد وستين ثانوية إسلامية (مدارس الأئمة والخطباء)، وحوالي ثلاثمائة ثانوية خاصة، وأكثر من ألف قسم داخلي لطلاب الثانويات والجامعات للبنين وللبنات. وأسسوا الأوقاف الإسلامية بأموال طائلة، وهكذا وفقوا في تربية قسم كبير من النشىء الجديد تربية إسلامية. وظهر بعد غياب كامل نسبة كبيرة من الشبان والشابات المتمسكين بالإسلام في المدارس والجامعات.

واتجهت بعض الجماعات الإسلامية إلى نشر الكتب والمجلات والجرائد، حتى وصلت مبيعات الصحافة الإسلامية إلى أكثر من مليون نسخة يومياً. خلال الربع الأخير من هذا القرن بعد أن كانت غير موجودة في الساحة من قبل. وهذا العدد يشكل ثلث مجموع مبيعات الصحافة التركية. ونحن نشاهد هذا التطور لدى قادة الجماعات الإسلامية بشكل بارز، فهؤلاء القادة ما كانوا يهتمون بالصحافة من قبل. أما الآن فإن كل جماعة تصدر مجلة أو مجلات، ومعظم قادتها يكتبون افتتاحيات هذه المجلات.

وهناك حزب الرفاه الإسلامي الإتجاه، وهو يلعب دوراً مهماً في سياسة تركيا، وقد نال ٢٢٪ تقريباً من الأصوات في الانتخابات التي جرت في أوآخر سنة ١٩٩٥م. وهذه النسبة لا تكفي لإعطاء حزب الرفاه حق التمثيل لأكثرية الشعب المسلم.

نعم شعب تركيا شعب مسلم، ولكن هناك عدة موانع تحول دون اجتماع أكثرية الأصوات في حزب إسلامي جديد. **أولاً**: اعتياد الناس ودعمهم التقليدي لبعض الأحزاب. **ثانياً**: كون كل الأحزاب في الظاهر أحزاباً علمانية حتى حزب الرفاه. وفي الحقيقة فان تأسيس حزب ديني ممنوع منعاً باتاً في تركيا. وعلى كل حزب أن يقبل العلمانية وانقلابات أتاتورك. لذا فلا يمكن لأي حزب وضع برنامج إسلامي، وهذا يشمل حزب الرفاه أيضاً. وفي هذا الإطار لم يدعم حزب الرفاه إلا من يعرف أعضاءه وسلوكهم عن طريق المعرفة الشخصية. **ثالثاً**: ساقت تجربة الحياة الديموقراطية كثيراً من الناس إلى الاحتياط، لأنهم شاهدوا بعض الناس الذين يدّعون الإسلام والإخلاص ولكن أبدت الأيام أنهم نفعيون، وهمهم الأول منافعهم الشخصية. وشاهدوا أيضاً من يدعي المهارة في سياسة الناس وإدارة البلد، ولكن

أبدت الأيام أنه ليس كذلك، بل أضر بالمسلمين بسبب عدم كفاءته. إذن ليس لأي شخص مسلم ولا لأي جماعة إسلامية توقع اجتماع معظم المسلمين تحت قيادتها فور الخروج إلى ميدان السياسة، إذ لا بد من تجربة وامتحان.

رابعاً: إن "لب" الدولة وجوهرها في تركيا معيّر ومبرمج باتجاه الغرب. والديمقراطية فيها تعمل فقط في الساحة التي تسمح بها مبادىء أتاتورك وانقلاباته. وحتى لو حصل حزب على أكثرية الأصوات فليس في إمكانه تغيير النظام، واذا لم يتم إقناع المسؤولين في جهاز الدولة واستمالتهم إلى الإسلام فلا يمكن عمل أي شيء جاد. ولهذا السبب فإن حزب الرفاه عندما أصبح مشاركاً في الحكم، لم يُعط له فرصة تقديم أي خدمة إسلامية، بل على العكس فقد المتدينون كثيراً من الحقوق التي كانوا قد حصلوا عليها في السابق. إذ أغلقت أكثر من ٣٠٠ مدرسة لتحفيظ القرآن، ومنع لبس العمامة والعباءة، ومنعت الطالبات في الجامعات والموظفات في الدوائر الرسمية من لبس الزي الإسلامي، وبدأت الفعاليات لسد مدارس الأئمة والخطباء، وبلغ التعاون مع إسرائيل الذروة، وبدأت الأوقاف الإسلامية تلاقي مضايقات عديدة،كما طرد ١٦١ ضابطاً من الجيش بتهمة الرجعية.

قد يملك حزب الرفاه قابلية إصلاح جهاز الإدارة لو أعطيت الفرصة له. ولكن المعارضين ألّفوا جبهة معارضة وجروا البلد إلى توتر مستمر تحت شعار: "لا يمكن لـ ٢٠٪ حكم ٨٠٪ من الشعب". وحزب الرفاه الآن في موقع الأسير، ولا يملك سوى الإذعان والتوقيع على المطاليب. بينما كانت الحرية قد ازدادت في الفترة الأخيرة أكثر من السابق واكتسبت الحياة الدينية حيوية كبيرة، وبدأ زعماء الأحزاب يتسابقون لكسب ود وتأييد المتدينين بتقديم خدمات دينية نافعة. فمثلاً قامت " «طانسوتشيللر» قبل دخول حزب الرفاه إلى الحكومة الإئتلافية بفتح " ٦٠ " ثانوية إسلامية (مدارس الائمة والخطباء)، بينما لم يتم في عهد حزب الرفاه فتح مدرسة واحدة من هذه المدارس. ليس هذا فحسب بل ظهر احتمال إغلاق هذه المدارس في عهده.

أمام ضغوط السلطات الرسمية كانت الجماعات الإسلامية قد غابت عن الأنظار، ودخلت في السراديب انتظاراً للوقت المناسب للظهور، ومن أجل الحفاظ

على الموجود. ثم بدأت تظهر رؤوسها شيئاً فشيئاً بعد مجيء العهد الديموقراطي، وأخذت في النمو بعد الستينات، ثم أصبحت قوة مؤثرة في البلد بعد التسعينات. إلا أن جماعة فضيلة الأستاذ سعيد النورسي كانت وحدها في الساحة منذ سنة ١٩٢٥م حتى سنة ١٩٦٥م و كان دستورها :" أعظم نشاط وأكبر حيطة " تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : "لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا ".

والخلاصة أن كل المسؤولين من الأحزاب السياسية بدأوا يثنون على الإسلام ويفتخرون –طوعاً أو كرهاً –بهوياتهم الإسلامية. وبدأ المسلمون يفكرون بالحياة: لماذا تكون الدنيا دنيا الترقي للأجانب، ودنيا التردي للمسلمين –كما قال الأستاذ النورسي رحمه الله– لا بد أن نحيا حياتنا الإسلامية وننظمها بالمبادىء الإسلامية حتى ننتفع بها في واقعنا اليوم ونستفيد منها في حياتنا الأخروية.

وأثبت من جديد أن الإسلام هو الهوية الوحيدة التي ينتمي إليها، ويفتخر بها الأتراك ولا يبغون عنها بديلا.

ولا بد أن نلاحظ هذه النقطة: أن الإسلام لا يأخذ قوته إلا من كونه هو الحق، ولولا ذلك لكانت كل القوى المادية من سلطة الإدارة ومناهج التعليم والتربية الرسمية، والحياة الاقتصادية والصحافة الخليعة وطرق الإغراء وإثارة الشهوات...إلخ قد محت الإسلام. ولكن ظهر من جديد أن الحقيقة مثل الشمس لا يمكن إخفاؤها نهائياً.

والمقلدون لغير المسلمين يقودون البلد من تسعين سنة، ولكن ماذا حققوا من النجاح ولو من الناحية المادية؟ لقد تخلوا عن الإسلام كرشوة للغرب ولكسب الدنيا، ولكن دون جدوى.

إن هذا الفشل دفع الناس إلى الفكر الإسلامي، وادّعى المقلدون انتسابهم إلى أوروبا. ولكن الأوروبيين لم يقبلوا هذا الإدّعاء قبولاً حقيقياً، بل عاملوا تركيا معاملة العدو؛ لأنها مهما بعدت عن الإسلام وتشبهت بالأوروبيين إلا أنها بلد مسلم في نظرهم. غير أن الأوروبيين مكروا مكراً كُبّاراً لإبعاد تركيا عن العالم الإسلامي وقالوا: "نعم إن تركيا من الدول الأوروبية" وأدخلوها –تفضلاً منهم وتكرماً – إلى

المجلس الأوروبي وبعض المنظمات الأوروبية مثل NATO وO E C D ، ولكن الشعب الذي شاهد مواقفهم في قبرص، والبوسنة، والهرسك، وأذربيجان، والشيشان، والكويت، والعراق، وفلسطين، كشف حقيقة أمرهم دون شك.

والعامل في سياسة تركيا الحالية ليس عهد الجمهورية الذي بدأ منذ سبعين عاماً، بل يلعب ماضيه طوال القرون السابقة دوراً كبيراً في تعيين هذه السياسة. لذا يجب علينا أن ننظر إلى الأحداث من منظار أوسع. فبينما يتحد الأوروبيون الذين تقاتلوا وتناحروا فيما بينهم إلى منتصف القرن العشرين، فما الداعي لتشتيت شمل المسلمين؟ ولماذا نكون نحن المسلمين محكومين بالفرقة؟ ولماذا -مثلاً- لا تشكل الدول الإسلامية فيما بينها سوقاً مشتركة وفعالة؟ ولماذا لا تتشاور هذه الدول فيما بينها في الأمور السياسية ؟ولماذا لا تتعاون فيما بينها في المجالات الثقافية والاقتصادية والتجارية والسياسية ؟.

وهنا نتساءل :هل يليق المسلمون حالياً بهذه الرسالة ؟ والجواب في تقديرنا هو: لا.

علينا أن نبذل جهودنا ونظهر كل طاقاتنا الكامنة، ونتخلى عن بعض صفاتنا غير الإسلامية.

على المسلمين :

١. أن يثبتوا حذقهم في الناحية الإدارية والعلمية والتكنولوجية، حتى يقتنع الناس بكفايتهم.
٢. أن يُظهروا للناس الكمالات الخلقية للإسلام في أنفسهم أولاً، وفي معاملتهم للناس ثانياً.

ومتى شاهد الناس الغافلون عن الإسلام هذه الأوصاف الحسنة لدى المسلمين فإن معظمهم سيلتحقون بأمة الإجابة، وبهذا سيتحقق سر من أسرار قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً..﴾ والله أعلم.

مكانة النورسي في الفكر وفي الحركة الإسلامية في القرن العشرين

كانت مدنية أوروبا في القرن التاسع عشر مغرورة جداً نتيجة للنجاحات التي سجلتها في الساحة المادية. وكانت ترى أن هذه المدنية ستكون الأمل والمثل الأعلى للبشرية جمعاء. كانت الفلسفة الوضعية تنكر وجود الله، وتنكر القيم الدينية والحياة الأخروية والحياة الروحية للإنسان. وكانت هذه العقلية البعيدة عن الحكمة تفرز وتنشىء أناساً يعانون أمراضاً نفسية.

هذه المدنية قادت الإنسانية في مطلع القرن العشرين إلى الحرب العالمية الأولى وأغرقتها في بحر من الدماء. وبدلاً من أخذ العبرة من هذه المأساة ومن هذه النكبة الكبيرة فقد سعت دول أوروبا الغربية المادية إلى توسيع مستعمراتها وساحة نفوذها لإشباع أطماعها. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تبق من الدول الإسلامية (التي يبلغ عددها الآن ٤٥ دولة) خارج الاستعمار الأوروبي الغربي سوى ثلاث دول هي: تركيا وإيران وأفغانستان. أما دول أوروبا الشرقية وجزء كبير من قارة آسيا فقد دخلت تحت الاستعمار الشيوعي الروسي الذي كان الوجه الآخر للمادية الأوروبية.

وإزاء ذلك ظهرت ثلاثة مواقف في العالم الإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى تجاه المدنية الغربية:

١. موقف الذين يريدون الحفاظ على التقاليد السابقة نفسها.
٢. موقف الذين رأوا التقدم والخلاص في تقليد المدنية الغربية وتبنيها كلياً.
٣. موقف الذين حاولوا تعريف المسلمين بشروط العصر، دون أن يضحوا بأسس الإسلام.

في الموقف الثالث نرى نظرات مختلفة ومتباعدة بعضها عن البعض الآخر. وأول ما يتبادر إلى الأذهان من الشخصيات الممثلة لهذه المواقف هم :جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد إقبال، والأمير عبد القادر، والمهدي السوداني، وأحمد جودت باشا، وسعيد حليم باشا، ومحمد عاكف، وحسن البنا.

وعلى الرغم أن كثيراً من بريق المدنية الغربية خبا بعد الحرب العالمية الأولى، إلا أن القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية التي كانت تملكها مكنتها من

الاستمرار في سيطرتها. ثم ساقت هذه المدنية بعد عشرين سنة تقريباً الإنسانية إلى الحرب العالمية الثانية، وربما كان عدد الذين قتلوا في هاتين الحربين أكثر من قتلى جميع الحروب منذ بدء التاريخ الإنساني. ولم تنقطع الدماء والنيران بعد تأسيس جمعية الأمم المتحدة، فنحن لم ننسَ بعد مأساة البوسنة والهرسك طوال ثلاث سنوات، والمذابح التي جرت فيها وهي في وسط أوروبا، واكتفت دول أوروبا بالتفرج فقط على هذه المأساة الإنسانية.

وعلى الرغم من وضوح عدم لياقة و استطاعة هذه المدنية ان تكون رائدة ومرشدة للإنسانية، إلا أنها استطاعت بقوة دعايتها وبوسائل استعمارها الثقافي والفكري أن تنفث أفكارها وقيَمَها في جميع البلدان الإسلامية. ولما كانت البنية الإسلامية لا تتقبل هذه القيم فقد أدى هذا إلى الكثير من الاضطراب وعدم القبول. ولا يزال هذا جارياً في كثير من البلدان.

ظهر العديد من التنظيمات وحركات الوعي في البلدان الإسلامية. وسنقوم بتلخيص موقف بديع الزمان سعيد النورسي الذي ظهر في أوآخر عهد الدولة العثمانية.

وتكمن أهمية بديع الزمان في كونه استطاع تشخيص البذور السامة التي تحملها المدنية والعلمانية الغربية، التي لم تكن قد ظهرت نقائصها بعد في بنيتها، والتي كانت تدعي أنها تشكل البديل للوحي الإلهي. لقد شخّص هذه البذور وحلّلها جيداً، ثم نقض هذه المدنية من جذورها وأسسها، ثم قام بعد ذلك بتقديم الأدوية القرآنية الناجعة للأمراض وللعلل الروحية والمعنوية لهذا العصر. إن أفكاره وحركته تتقدم وتستمر منذ ما يقارب ثمانين سنة، لذا فهي تُعدُّ بحق من أكثر التجارب والنماذج لفتاً للأنظار في العالم الإسلامي. لذا فبعد نجاحه في تركيا نرى أن كثيراً من بلدان آسيا الوسطى التركية بدأت بالاستفادة من دعوته.

لقد تلقى النورسي علومه الإسلامية من مشاهير علماء عصره،واستطاع أن يفرض نفسه في المحافل العلمية في اسطنبول التي كانت مركز وقلب الدولة العثمانية، وانتخب عضواً في دار الحكمة الإسلامية، التي كانت تُعدّ أكبر مرجع في العلوم الإسلامية في أوآخر عهد الدولة العثمانية. ومع أنه لم يكن مكلفاً بالخدمة العسكرية

لكونه من علماء الدين إلا أنه شكل ميليشيا مسلحة من طلابه، وأصبح قائداً متطوعا وحارب الروس في الحرب العالمية الأولى، ودافع عن وطنه وجرح في الحرب ووقع في الأسر. وبعد أن قضى سنتين في الأسر استطاع الهرب بعد نشوب ثورة أكتوبر الشيوعية عام ١٩١٧م في روسيا، مستفيداً من حالة الاضطراب والفوضى التي سادت هناك. وبعد رجوعه إلى اسطنبول استمر في جهاده ضد قوات الاحتلال الغربي. ولما كان السلطان العثماني بمثابة الأسير في يد قوات الاحتلال فقد أيدّ حرب الاستقلال التي بدأت في الأناضول، وبعد حرب الاستقلال رأى أن الفكر الغربي مسيطر على أذهان رجال الدولة، وتأكد أن النضال السياسي غير ممكن لذا انزوى للعبادة. وكان هذا الإنزواء بداية مرحلة جديدة. ولكون رجال الدولة من أصحاب الأفكار الغربية قلقوا من الجهاد المعنوي الذي كان يمثله بديع الزمان، لذا لاحقوه ولم يتركوا له فرصة للراحة، مع أنه لم يقترف أي شيء يعاقب عليه القانون. وهذا المجاهد الذي حارب الأعداء الخارجيين حتى ذلك الحين لاقى معاملة الأعداء من قبل رجال الدولة وهو في الخمسين من عمره، وحتى وفاته سنة ١٩٦٠م عن عمرٍ بلغ ٨٧ سنة. وتعرض هو وتلاميذه إلى معاملة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً؛ إذ بلغ عدد الدعاوى القضائية المقدمة ضدهم ٢٥٠٠ دعوى، ولكنها انتهت جميعاً بالبراءة[١].

كانت حركة التجديد لدى النورسي تستند إلى الأسس التالية :

١. من الضروري تقوية أسس الإيمان. لأن أفكار المسلم وحياته العملية وعالمه بأجمعه مبني على هذه الأسس، فإن لم تكن الأسس قوية فإن القيام بتصليح السقف أو الجدران وتزيينها لن ينقذ البناية. لقد كان يقول :

إن أهم خطر يتعرض له المسلمون اليوم هو فساد قلوبهم بالضلال الوارد إليهم من العلوم ومن الفلسفة، واهتزاز وتقوّض إيمانهم"[٢]. لقد تأمل وفكر بعمق في آيات القرآن الكريم، وكتب مستلهماً منها (١٣٠) رسالة أثبت فيها وجود الله

---

(١) السيرة الذاتية لبديع الزمان، اسطنبول، ١٩٩١.
أخلاء الله، د. سعاد بيلديرم وآخرون، ص٦٩-١٠٠.

(٢) اللمعات، بديع الزمان النورسي، ص ١٥٨.

تعالى، ووحدانيته وصفات كماله، وضرورة الوحي والنبوة، وعقيدة الآخرة والحشر والإيمان بالقدر، ومواضيع اخرى عديدة بأسلوب مقنع ورصين، يشبع حاجة العقل والقلب[1].

عندما كان يتناول هذه المسائل كان يقوم أولاً بإزالة الشبهات المثارة حولها باسم الفلسفة أو باسم العلم. ومع أنه كان ضليعاً في الفلسفة إلا أنه لم يكن يذكر أسماء الفلاسفة في أثناء الرد عليهم، بل يكتفي بإيراد ما يدفع تلك الشبهات ويقوّضها. وعندما يورد أدلته وبراهينه لا يخاطب المسلمين فقط بل يخاطب كل من يستعمل عقله، وإن كان بعيداً عن الإيمان. وقد تحول مئات الآلاف من الشباب والمثقفين الذين تربوا وتشربوا الثقافة والفلسفة الوضعية إلى بر الإيمان اليقيني بسببه، ولم تكن الحركة الإيمانية التي قادها النورسي موجهة فقط نحو الأفراد، بل نحو إنقاذ المجتمع عن طريق تربية الأفراد.

وقد صدق أحد المؤرخين عندما قال عنه : «إنه الرجل الذي قلب خطط الملحدين في تركيا رأساً على عقب».

٢. كان يرى ضرورة إصلاح المدارس الدينية[2]. إذ لم تعد الطرق القديمة لعلم الكلام قادرة على إرساء أسس الإيمان في هذا العصر الحديث؛ لأن هذه المدارس الدينية كانت قد أهملت العلوم الطبيعية.

لقد تعلم النورسي من القرآن الكريم أن لله كتابين :كتاب الكون الذي تتجلى فيه صفة الإرادة، ثم القرآن الكريم الذي تجلت فيه صفة كلامه. والقرآن الكريم يطلق اسم "الآية" على كل وحدة من وحدات هذين الكتابين. لذا لا يمكن وجود تناقض بين هذين العلمين؛ أي بين العلم الكوني وبين العلم القرآني، فالحقيقة واحدة، وهو يقول: «العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، والعلوم المدنية هي نور العقل، ومن امتزاجهما تتجلى الحقيقة. والطالب يطير بهذين الجناحين، فإن افترقا تولد التعصب عند الأول، والشبهة والتردد والحيلة عند الثاني»[3].

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي :حياته وآثاره، إحسان قاسم الصالحي، ص١٦٢-١٦٣. وانظر إعجاز القرآن في مؤلفات النورسي، محمد رفعي كلجي، اسطنبول (رسالة دكتوراه). النورسي :متكلم العصر الحديث، محسن عبد الحميد.

(٢) المناظرات، بديع الزمان النورسي، ص٧٥-٧٦.

(٣) المصدر السابق ، ص٢٧.

لقد اختلفت وتعددت ردود الفعل لدى المسلمين في العصر الحديث. فقد توهم بعضهم أن العلوم الوضعية تمثل الحقيقة المطلقة والموضوعية، لذا فقد اختاروا طريق تأييد القرآن بهذه العلوم. أما بعضهم فقد أهمل هذه العلوم تماماً. واقترح بعضهم "أسلمة" المعرفة. وبالمقابل فقد نظر بعض المفكرين إلى هذه المحاولة على أنها ليست سوى "تغريب الإسلام"[١].

وضع النورسي المقاييس التالية في تقييم العلم: «سيتبع المسلمون البرهان، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الطريق»[٢]. " إن أسمى هدف لهذا الكون هو العبودية الإنسانية الكلية أمام تجلي الربوبية. والغاية القصوى للإنسان هي الوصول إلى هذه العبودية بالعلوم وبالكمالات"[٣].

إن خلق العالم يتبع قانون التكامل. ولما كان الإنسان ثمرة من ثمرات هذا العالم وجزء من أجزائه، لذا نجد لديه ميلاً للترقي يستقي من ميله للتكامل. وهذا الميل ينمو بتلاحق الأفكار وهذا التلاحق الفكري يتوسع بمبادىء التكامل، ومبادىء التكامل تلقي بذور علوم الكون إلى الأرض التي يربيها الزمان ويلقحها. وتكبر هذه البذور وتنمو في ظل تجارب تدريجية .

لقد جاء الإنسان إلى هذا العالم لكي يتكامل بالدعاء وبالعلم، وكل شيء مرتبط بالعلم من ناحية الماهية والقابلية والاستعداد، وأساس ومعدن ونور وروح جميع العلوم الحقيقية هو معرفة الله".

٣. لقد أكد النورسي مفهوم وحدة العلوم، وبيّن أن القرآن هو المصدر الأساس للعلم والمعرفة، وأن العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية تنبثق من مشكاة القرآن الكريم، وترتكز على وجه التحديد على أسماء الله الحسنى. لقد تأثر النورسي بهذه النظرة بالإمام الغزالي –رحمه الله– لكنه طوّر نظرة الغزالي هذه بمحاولته الجادة لإنشاء جامعة الزهراء التي أراد لها أن تكون معملاً ومختبراً

---

(١) بديع الزمان والمعرفة الإسلامية في عصر العلم، كمال أكه، ندوة بديع الزمان في اسطنبول، ١٩٩٥.

(٢) الخطبة الشامية، بديع الزمان النورسي، ص٢٣.

(٣) الكلمات، بديع الزمان النورسي، ص٣٥٥.

لأسلمة العلوم وتأصيلها وفق المنظور القرآني للكون والحياة والإنسان. وفي دعوته إلى فرض رقابة قرآنية أو شرعية على العلوم الوافدة من الغرب عمل حكيم من النورسي. نعم إنه لم يرسم خطة ولم يضع منهجاً لعملية الأسلمة، ولكنه اكتفى -في ضوء طبيعة المواجهة والأحوال الجارية -برسم الإطار العام والضوابط الأساسية التي تحكم هذه العملية. وبهذا يكون النورسي قد أضحى علماً من أعلام إسلامية المعرفة[1].

٤. لقد دخل النورسي في الصراع الحضاري والثقافي مع المدنية الغربية بحصيلة قرآنية واعية، فجعل القرآن يدافع عن نفسه، ووظّف حقائق القرآن ومعارفه الناصعة في سحق أسس الحياة التي تقوم عليها المدنية الغربية، فأثبت فشلها، وبيّن عدم قدرتها على قيادة مركب البشرية، بل أثبت أنها قد ضللت البشرية وموّهتها عن رؤية الحق والحقيقة. لقد كان النورسي في هذا يتكلم بلسان الواقع وبحاله المؤسف حين تركت الأمة شرعة الله ومنهاجه، وحذت حذو الغرب شبراً بشبر وذراعاً بذراع. وكان كلامه دعوة صريحة لاستدعاء القرآن الكريم إلى عالم الواقع الحياتي والمعرفي، ليكون المرجعية العظمى للأمة في تصحيح عقيدتها وثقافتها، وإقامة حضارتها ومدنيتها. وعرض بكل قوة وجرأة القرآن بديلاً حضارياً ومعرفياً، ومنهجاً حياتياً لا تصلح حياة البشر إلا بهدايته. ولذلك تراه عقد عدة مقارنات تثبت ذلك، مثل: «مقارنته أسس الحياة الاجتماعية بين المنظور القرآني والمنظور الغربي»[2].

٥. أوضح النورسي موقف المسلم تجاه المدنية الغربية. فكل شيء في الغرب ليس خيراً خالصا ولا شراً خالصاً، فالمدنية الغربية تحتوي على بعض القيم المشتركة مع المسلمين. فكما استفاد الغرب من المدنية اليونانية والمدنية الرومانية فإنه استفاد أيضا من المدنية الإسلامية. إذن يجب أخذ الحسن؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها. كما يجب ترك كل ما لا يتلائم مع القرآن.

---

(١) المحاكمات، بديع الزمان النورسي، ص١٦.

(٢) إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، زياد الدغامين، ١٩٩٦.

وهو يقارن بين الفلسفة الغربية العلمانية وبين الحكمة القرآنية، من ناحية الأهمية التي يعطيها كل طرف للحياة الاجتماعية للإنسان فيقول:

« إن نقطة استناد الفلسفة في الحياة الاجتماعية هي القوة وهدفها المنفعة، ودستورها في الحياة هو الصراع، وهي تقدم العنصرية؛ أي القومية من ناحيتها السلبية كرابطة بين الجماعات. وثمرات هذه النظرة هي إشباع النزوات النفسية وزيادة حاجات البشر.بينما شأن القوة هو الاعتداء، وشأن المنفعة هو الصراع لأنها لن تكون كافية للجميع وشأن دستور الصراع هو الصدام، وشأن العنصرية هو الاعتداء لأن غذاءها هو ابتلاع الآخرين. لكل هذه الأسباب فقد سلبت سعادة البشرية.

ولكن الحكمة القرآنية تستند إلى الحق بدل القوة، وغايتها هي الفضيلة والرضا الإلهي بدلاً من المنفعة، ودستورها في الحياة هو التعاون بدلاً من الصراع. وترى أن الرابطة التي تربط بين الجماعات هي الرابطة الدينية والمهنية والوطن، وغايتها وضع سد أمام اعتداءات الأهواء والنزوات وتشجيع الروح للارتفاع إلى الأعالي، وإشباع حاجاته الروحية السامية وإرشاد الإنسان إلى الكمالات الإنسانية. وشأن الحق هو الاتفاق، وشأن الفضيلة هو التساند ودستور التعاون هو الإسراع لنجدة الآخرين، وشأن الدين هو الأخوة والتقارب، وشأن السيطرة على الأهواء والنزوات، وتشويق الروح للكمالات هو سعادة الدارين»[1].

---

(1) الكلمات، بديع الزمان النورسي، ص١٤٥.

نستطيع تلخيص هذه المقارنة بالشكل التالي:

المواضيع الأساسية	الغرب العلماني		حكمة القرآن	
	المبدأ	النتيجة	المبدأ	النتيجة
قاعدة وأساس الحياة	القوة	الاعتداء	الحق	الاتفاق
غاية الحياة	المنفعة	المنافسة والصراع	الفضيلة ورضا الله	التساند
العنصر الجامع	العنصرية أي القومية السببية	ابتلاع الآخرين	الدين والوطن والمهنة	الأخوة
مبدأ الحياة	اشباع أهواء النفس	إزدياد الحاجات		سعادة الدنيا والآخرة
	النتيجة: رفاه ٢٠٪ من مجموع البشرية وسفالة ٨٠٪ منها		النتيجة: سعادة الدنيا والآخرة لجميع الناس.	

لقد حاول النورسي أن يجعل من القرآن أكبر مرجع في تصحيح عقيدة الأمة وثقافتها وفي تأسيس مدنيتها. وأشار بشجاعة كبيرة وبثقة إلى أن القرآن الكريم هو البديل الوحيد للمدنية الغربية، وأن الحياة البشرية لن تستطيع الاستغناء عنه[1].

٦. تطبيق وعيش الحياة الإسلامية فعلياً: يجب فهم الإسلام كصراط مستقيم بعيداً عن الإفراط والتفريط، وتطبيقه فعلياً كأسلوب حياة.

يقول النورسي: «لو قمنا بشرح الإسلام الصحيح، ووضعنا أمام الأنظار الاستقامة اللائقة بالإسلام لدخل الأجانب إلى الإسلام أفواجاً أفواجاً»[2].

وكان من أهم دساتيره التي رآها وسيلة للتوفيق الإلهي هو اتخاذ الإخلاص أساساً، والانشغال بنشر الحق والوعي بدلا من الانشغال بعيوب الآخرين، والتمسك بالأخوة الإسلامية والاتفاق مع أهل الحق[3].

---

(١) المصدر السابق، زياد الدغامين، ص٣٠٣.

(٢) السيرة الذاتية، ص٧٧.

(٣) اللمعات، بديع الزمان النورسي، ص ٢٢٩.

٧. كان النورسي يرى أن العنصرية مرض من أمراض الفرنج دخل إلينا من أوروبا[١]. وأن هذا المرض سرى إلى العالم الإسلامي بفضل دعايات وجهود غير المسلمين، وكان هدفهم هو تمزيق المسلمين والحيلولة دون تشكيلهم قوة دولية. لذا فقد صرف جميع حياته في سبيل الوحدة الإسلامية، حتى أنه قبل سقوط الدولة العثمانية قدم اقتراحا بتشكيل مؤسسة دولية «للجمهوريات الإسلامية المتحالفة»، وقد كانت حركته والمنتسبون لجماعته من مختلف العناصر والقوميات. وكان هو من أصل كردي وكذلك آلاف من طلابه، ومع ذلك لم يقربوا أبداً من فكرة القومية الكردية، وهذا يبين مدى نجاحه في هذا الموضوع.

٨. لقد علمته تجاربه في الحياة والشروط والظروف المحيطة بمجتمعه ضرورة بقائه بعيداً عن الفعاليات السياسية، وضرورة توجهه إلى الخدمات العلمية والإيمانية؛ لأنه رأى أن المنتسبين إلى الأحزاب في العالم الإسلامي قد يتصرفون تصرفات خارجة عن الموضوعية والإنصاف، وهذا يؤدي إلى الإخلال بالإخلاص والبعد عن رضا الله تعالى[٢].

ثم إن المسؤولين في الدولة لا يتصرفون بإنصاف تجاه المشتغلين بالسياسة؛ لأنهم يرونهم طامعين في المواقع والمناصب التي يحتلونها. وعلى الرغم من كونهم مسلمين إلا أنهم لايتورعون عن الدخول في صراع مرير ضد الخدمات الدينية والاجتماعية لهؤلاء. والخلاصة أن السياسة تستطيع أن تظهر الملاك شيطاناً والشيطان ملاكاً.

نرى أن نسبة أنصار الإسلام في المجتمعات الإسلامية تقرب من ٩٪، إلا أن أنصار الأحزاب الإسلامية تقل عن هذه النسبة بكثير، وهذا الأمر إشارة إلى الحقيقة التي ذكرناها.

من الصعب رؤية مثال حول استلام إدارة الدولة بالطرق السياسية. وكما يقول الأستاذ «سعيد رمضان البوطي»: «...ثم كانت نتيجة هذه النتائج كلها أن استغلقت السبل أمام هؤلاء إلى ما يحلمون به من إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، بل

---

(١) المكتوبات، بديع الزمان، ص ٤٠٣-٤٢٤.

(٢) ملحق اميرداغ، بديع الزمان النورسي، ص٢٦٦.

ازدادت الشقة بينهم وبينها عمقاً وتضاعفت العوائق التي كانت تحول بينها وبينهم. فلا الجاهلون والتائهون تخلصوا من جهلهم وتيههم لينعطفوا إلى الارتباط بالإسلام، ولا القادة والحكام وثقوا بسلامة قصدهم الإسلامي وصدق ولائهم للإسلام، بل استيقنوا في أنفسهم أنهم ليسوا إلا صنفاً متميزاً من هواة السياسة وعشاق الحكم، وإن اخترعوا لأنفسهم إلى ذلك سبلاً خداعة جديدة... ولا هم -أي هؤلاء الإسلاميين- أبقوا على شيء من صفاء الإخلاص لدين الله»[1].

لقد بقيت جهود النورسي وفعاليته -وإن كانت في حدود ضيقة -في إطار القانون على الدوام، في عهد كانت فيه ضغوط كبيرة ضد فعاليات المتدينين ولم يخرج أبداً خارج القانون.

ومع أنه تم فتح ٢٥٠٠ دعوى قضائية ضده إلا أنها جميعاً تقريبا انتهت بالبراءة. وكان هذا لطف من الله وعناية منه، ونتيجة لاتباعه طريق الحكمة في العمل.

لم يترك النورسي الساحة لمعارضيه، بل استمر في تقديم خدماته الإيمانية، وإلا لنبذ خارج الساحة. وهذه ناحية مهمة في هذا الأمر، حتى وصل الأمر إلى قيام رئيس الجمهورية الثاني (عصمت إينونو) باعتراف يُفهم منه أن السياسة الكبيرة غلبت السياسة الصغيرة، فعندما خسر «حزب الشعب الجمهوري»، الذي يتزعمه الانتخابات عام ١٩٥٠م قال : «لقد أسقطنا النوريون» (يقصد حركة النورسي). ولم يستطع هذا الحزب من ذلك الوقت حتى الآن إحراز الأكثرية في أي انتخاب.

إذن معنى هذا أنه يمكن القيام بفعاليات الإرشاد دون الدخول في السياسة، بل باحتضان جميع المسلمين وفتح الحوار مع الجميع، والقيام بفعاليات إيجابية في ظل مرونة الإسلام وسماحته وشفقته، وإشعار ثقل الحركة من بعيد، وهذا أفضل طريقة في أداء الخدمة الإيمانية.

---

(١) تجربة الدعوة عن طريق العمل السياسي في حياة بديع الزمان، سعيد رمضان البوطي، المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، ص١٠٦.

إن مفهوم الجهاد مفهوم واسع، فحسب تصنيف ابن قيم الجوزية[1] هناك مراتب في الجهاد :

١. **الجهاد مع النفس:**
أ- تعليمها دين الحق. ب- تطبيق ما تم تعلمه.
ج- تبليغ وتوضيح ذلك للآخرين. د- الصبر على مكاره التبليغ.

٢. **الجهاد مع الشيطان:**
أ- الابتعاد عن الشهوات والأهواء التي يدعو إليها. ب- إبعاد شبهاته.

٣. **الجهاد مع الكفار:**
أ- بالقلب. ب- باللسان.
ج- بالمال. د- بالنفس.

٤. **الجهاد مع المنافقين:**
أ- بالقلب. ب- باللسان.
جـ- بالإقناع.

والخلاصة أن بديع الزمان قام بالجهاد بجميع أنواعه، إذ جاهد بالنفس وقاتل أيضاً (وهو أول ما يتبادر إلى أذهان البعض عند ذكر كلمة الجهاد). واستطاع بهذا الفهم الممتاز والشامل كسب قلوب الملايين للإسلام.

في سنة ١٩٠٩م نشر بديع الزمان رسالة «فهرست مقاصد بديع الزمان» وطوال خمسين سنة التي تلتها؛ أي حتى نهاية عمره حاول تطبيق خططه التي نستطيع تلخيصها بما يلي:

١. تأمين النهضة التي تدفع العالم الإسلامي إلى الرقي.
٢. تأمين التلاؤم والتناغم بين المؤسسات الرئيسة الثلاث للمسلمين، وهي المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والتكايا.
٣. تأسيس الحرية في الأوساط العلمية.

---

[1] زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ٣ /٩-١١.

٤. محاربة أعدى أعداء المجتمع العثماني: (الجهل، والفقر، والفرقة) بطرق التربية والعلم والصناعة.
٥. إصلاح مقام الخلافة.
٦. فتح شعب متخصصة في المدارس الدينية.
٧. الحيلولة دون تحّول الدولة العثمانية إلى مجموعة من الإمارات، وذلك بنشر فكرة "الاتحاد المحمدي ".
٨. تأمين وحدة الأمة وذلك بتأليف قلوب الأكراد والاستفادة من هذه القوة.

لقد ذكر بديع الزمان أنه بعد إعطاء الأهمية لأسس الإيمان في أثناء أداء الخدمة الإسلامية ستأتي "مرحلة الحياة ".واستمر طلابه بعده في أداء رسالته ودعوته ولاسيما الشيخ **"محمد فتح الله كولن"**، الذي قدم خدمات كبيرة في مجال تطبيق أفكار أستاذه في الواقع العملي، وفي الحياة الاجتماعية وعلى نطاق شعبي واسع. فعلاوة على المئات من المؤسسات التعليمية التي أنشأها في تركيا، فقد أنشأ ما يزيد على مائتي معهد في خارج تركيا، مما أثار الأنظار إليه في العالم. وهذه المعاهد التي انتشرت من ألبانيا إلى البوسنة والهرسك إلى منغوليا وياقوتستان، ومن اليونان إلى تايلند؛ أي على مساحة جغرافية شاسعة من العالم تفوز بالمراتب الأولى في المسابقات العلمية الدولية، مبرهنة بذلك على مدى ارتفاع المستوى العلمي لها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

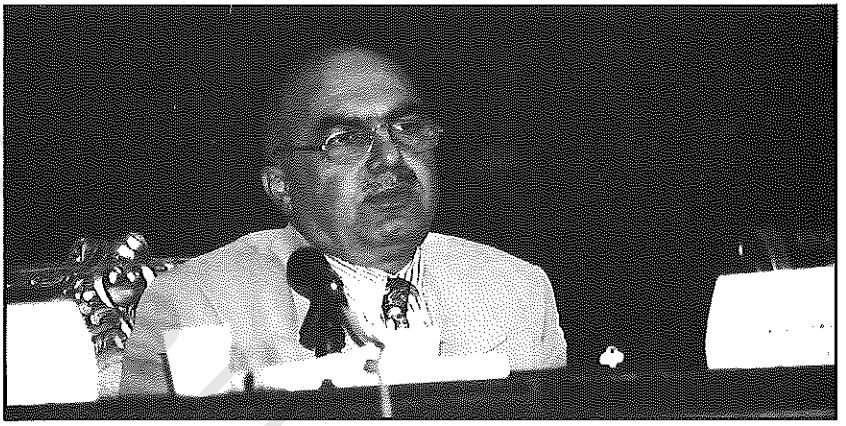

د. سعاد بيلديرم: في حوار مع الجمهور.

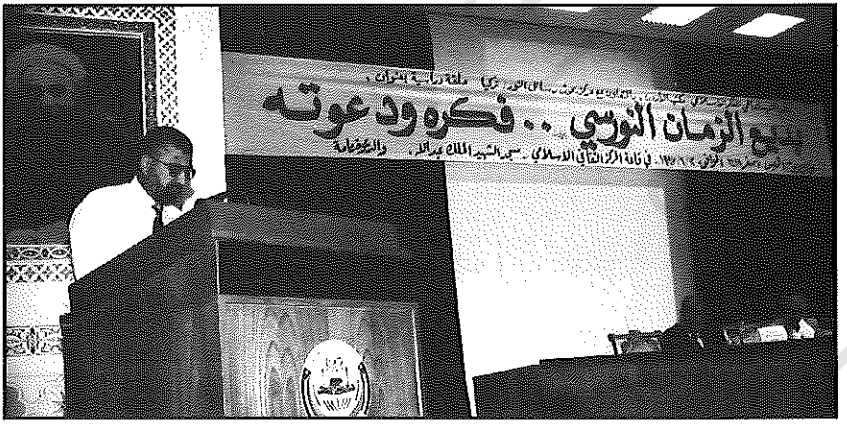

د. رحيل غرايبة: في تعقيبة على ورقة د. سعاد بيلديرم.

منهج المعرفة والاستدلال عند النورسي

الدكتور حمود عليمات

علم الاجتماع/ الجامعة الأردنية

عند اختياري لموضوع هذه الورقة، ظننت أنني أمام مخاضة يسهل اجتيازها، ولم أكن أعلم أنني أمام بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. لقد وجدتني أمام بحر زاخر من المعرفة القرآنية البرهانية الفائقة، والتي أحسست بعظم الواجب الملقى على عاتق تلاميذ ومحبي الشيخ في نشرها وتقريبها للعموم.

وأمام هذا الأمر فإن ورقتي هذه، استكشافية، استطلاعية، مبدئية، تحاول أن تتلمس البناء العظيم للرؤية المعرفية، والمناهج الإستدلالية عند النورسي. إن تطوافي في المجلدات الثمانية التي كتبها الأستاذ، أعطاني إحساس أن ثمة بناء معرفي ضخم عند هذا العالم الجليل، والذي استطعت تلمس بعض أركانه. لكن كشف الستار عن هذا النظام المعرفي الإستدلالي المنهجي يستلزم جهوداً أكبر، وعملاً أعظم آمل أن ييسر المولى الكريم من يقوم به.

وكون هذه الورقة استكشافيه ارتيادية فيمكن، تقديم الملاحظات التالية حول معرفيّة الأستاذ النورسي.

أولاً: أنه رجل قرآني

فمعظم كتاباته وأفكاره هي في ظل القرآن ومن وحي القرآن، فهو يستلهم القرآن ويناجيه، ويستنطقه ويحاكي به الكائنات، ويكتشف أسرارها وأسس نظامها، والقرآن عنده نظام محكم بنيويّ وظيفيّ، أجزاءه تمثل وحدة متكاملة تؤدي رسالة كليّة.

لذلك فقد سَلِمَ هذا الشيخ الجليل من عيوب التعضية والتفتيت، واستطاع أن يحافظ على الصورة المتكاملة للقرآن الكريم، وبهذا استطاع أيضاً أن يسلم من مشكلات التعطيل للقرآن، فالقرآن كله فاعل متحرك، وليس فقط آيات

التشريع التي تقارب ٦٪ من آيات القرآن أو آيات الحدود التي تقارب ٠,٠٧ منه، إن القرآن عنده كتاب هداية وسلوك ومعرفة وعمل وعبادة وذكر.

ثانياً: قراءته الشمولية البنيوية الفاعلة للقرآن

فهو يهتدي بهدي القرآن، ويستلهمه من وحيه، وقد أدت به هذه القراءة إلى إحسان النظر في الوجود والمعارف، والكون والمخلوقات، ووصل إلى النتيجة التي يصلها من يقرأ القرآن بعمق، وهي توأمية القرآن والكون.

هناك كتابان: الكتاب المقروء والكتاب المنظور، وكلاً منهما يفهم من طريق الآخر، وكلاً منهما يؤدي رسالة في تحقيق المعرفة الكبرى وهي معرفة الله.

فالكتابين متكاملين متفاعلين، يستحيل عليك أن تقرأ القرآن دون أن يلفت نظرك إلى عظمة الكون بمخلوقاته وأركانه المختلفة، إن كلاً من الكتابين يقرءان بنور العقل المنبعث من القلب والوجدان، وهنا سلم الشيخ من الثنائيات الزائفة. ثنائية (**العقل والوحي**)، أو ثنائية (**النقل والعقل**). فهذه المصادر -إن كانت كلها مصادر للمعرفة- لكتاب واحد مفرد ومنظور تؤدي وظيفتها المعرفية الكبرى في تحقيق الإيمان الكامل.

ثالثاً: القراءة المستقلة للقرآن

إن انفتاحه على القرآن، واستمداده منه وتحرره من إسار النظر السابق أو الإنتماء المذهبي أو إنقاذه من إسقاط الرؤى الخارجية عليه. فقد تحرر النورسي من النظرة التي انطلقت من اتخاذ «القرآن عضين»، فكانت مجزأة غريبةً على القرآن بعيدة عنه.

لذلك سَلِمَ من العيوب التي اصطبغ بها فلاسفة المسلمين أو علماء كلامهم، أو أتباع فرقهم الذين اتخذوا جوانب مفتتة من القرآن الكريم، فأصبحت علومهم موحشة، جافة القلب والعقل، فقدت حلاوة الإيمان وطلاوة القرآن، لقد كان الشيخ ينظر بعين البصيرة، لاعين التقليد.

لم يكن من الذين «يرون مايعتقدون» بدلاً من أن «يعتقدوا مايرونه».

رابعاً: المعرفة الكبرى (نظرية المعرفة النورسية)

إن المعرفة الكبرى عند النورسي هي معرفة الله سبحانه، وهي المعرفة التي توصل إلى الإيمان واليقين والإطمئنان. لذلك فإن مصادر المعرفة التبعية الأخرى وهي:

١. الكتاب.
٢. الكون (الأفاقي والأنفسي).
٣. الرسالة.
٤. الوجدان.

هي طرق موصلة إلى هذه الغاية الكبرى، لكن كان تركيز الأستاذ كبيراً على الكتابين «**المسطور والمنظور**» فهما ممثلان غيرهما أصلاً أوتبعاً، ويستدل منهما ومن نظمهما على الخالق الكريم.

لذلك يرى الشيخ أن اهتمام القرآن بالكون هو اهتمام نمائي وظيفي، يهتم بالأمور للوصول إلى غايتها لا إلى أوصافها وهيئاتها وخصائصها. وهناك يفترق علم الكون الإيماني، مع علم الكون المنقطع عن الإيمان سواء أكان علماً طبيعياً أم احتمالياً أو فلسفياً.

فالعلوم المنقطعه، قد فقدت نمائيتها، وانفلتت في الكون مثل الطائرة أو السفينة التي فقدت بوصلتها، وهي سترى وتميّز تفصيلات كثيرة ودقيقة لكنها تفتقد الرؤية والغاية الكبرى.

وهنا قد يقع المهتمون بالإعجاز العلمي للقرآن في إشكالية الإنغماس فيما لا غاية له، أو وضع القرآن للعلم والعلماء (وهذا ما سنشير إليه في موضع آخر إن شاء الله).

خامساً: البنية المعرفية

إذن الغاية الكبري للمعرفة هي معرفة الله (المعرفة الإيمانية). والوصول إلى هذه المعرفة تكون بعد إعمال الإستدلال لكافة أنواعه على مايمكن أن نسميه: العوامل المعرفية أو المصادر المعرفية، وهي (الكون «أنفساً وآفاقاً»، والرسالة، والرسول، والكتاب و....إلخ).

وهذه المصادر من مكونات مختلفة فبعضها مادي وبعضها معنوي، وبعضها مختلط، ولكنها كلها من موجودات هذا الكون وبالتالي فإن معرفتها أولاً ومعرفة النظام الذي تسير عليه هو الخط الأول للاستدلال الأكبر.

سادساً: فاعلية النصوص «إجتماعية المعرفة»

إذا وجد من بين المسلمين من يعتبر أن نصوص الوحي متناهية، وأن الحوادث غير متناهية وبالتالي هذا يستلزم مصادر استدلال إضافية، ووجد من يقول إن النصوص متناهية، ولكنها مشتملة على كامل المبادئ اللازمة للاستدلال وبالتالي لا حاجة لغيرها، فإنه إضافة إلى هذه الأخيرة فإن النصوص عند النورسي حيويّة فعالة بمافيها من نظم وإعجاز، وأنها كفيلة بالمدد إذا وجدت من يرقى إلى مستواها وينهل من معينها، فالنصوص ليست قوانين جامدة أو مفاهيم رمزيه مطلقة تحمل من المعاني مايمكن أن يتناسب مع التفاعل الإنساني بالكون. فكلا النصوص: المنظورة والمقروءة تحمل معارف ورسائل تتفتح في حينها، وربما تختفي في غير أوانها، ألا ترى النظريات الفيزيائية تعيش سنوات وربما مئات السنوات، وهي تفسر الظواهر الطبيعية ولكنها بعد فتره تتنازل عن بعض مقولاتها لنظريات أخرى تقدم فهماً أفضل للكون. كذلك نصوص الوحي فهي مخزن للمعاني، تُفهم أفضل وتفتح مغاليقها عند وجود مفاتيحها المناسبة، وربما يلزم أحياناً مفاتيح متماثلة للكتابين: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم». فكلا الكتابين آيات في الأنفس والآفاق.

فالمعاني محددة لكنها ثمار تفاعل العقل الإنساني وأدواته المعرفية مع هذه العوامل المعرفية؛ فتتجدد صورة العالم، وتتجدد حياة النصوص بهذا التفاعل المعرفي.

لذا يمكننا الاستنتاج المبدئي باجتماعية المعرفة القرآنية، وأنها ليست معرفة هناك، ولكنها معرفة هنا لأنها نتاج التفاعل والتحاور المتبادل. فالقرآن حوار أعظم بين الإنسان والكون.

سابعاً: الأسلوب البرهاني

لقد كانت كتابات النورسي سلسلة متصلة من القضايا والبراهين والإستدلالات، ربما لاتصاله الشديد وطبيعة الصراع الفكري الذي كان يحياه.

فإذا كان كتاب مثل «**الموافقات**» للإمام الشاطبي سلسلة متصلة محكمة من الأصول المقاصدية والقواعد وتفريعاتها. فإن كتابات النورسي سلسلة من الإستدلالات والبراهين العقلية التي تأخذ بالألباب ويطمئن بها الوجدان.

فالمصادر المعرفية التي ذكرت آنفا تستلزم استخدام أدوات إستدلالية ومنافذ معرفية خاصة. لذلك فإنك تجد البراهين الإستدلالية القياسية، المنطقية العقلانية، والتجريبية العلمية، أو العاطفية من الاختبار والتعليل إلى الإستنتاج والتدليل.

لكنك تفتقد في هذا الإستدلال الجفوة والجفاء والنظر البارد وما أنت بحاجة له، وتنعم بالأدله المتنوعه التي يستند بعضها إلى بعض.

ثامناً: التكامل المنهجي

فإذا كانت المصادر المعرفية متعددة الأصناف والأنماط، وإن كانت مناهج الإستدلال ونوافذه المعرفية كثيرة وشاملة، وإذا كانت كلها تعمل لغاية واحدة هي المعرفة العظمى المعرفة الإيمانية، فإن ما نجده هنا تكامل معرفي منهجي استدلالي. فلا تعارض في المناهج أوتضارب أو إقصاء بل كل نوع من الدلائل يؤدي دوره في الوصول إلى الحكمة الكبرى والمعرفة العظمى.

صحيح أن العوامل المعرفية يلزمها برهان أكثر وتعقل أعمق، هذا مما يجعل المصدر الهام هنا هو البرهانية؛ لأن البنية التكوينية لهذه العوالم محكمة ومنظمة وكاملة ومجملة. في هذا الإحكام والتنظيم في الموجودات يمكن أن تعبر عن نماذج نظرية فكريه منطقية تُدرك أو تُسند بالوجدان. فالعقل هو المستفيد من هذه المنافذ المناسبة للعوالم المعرفية المختلفة.

تاسعاً: القراءتان

إن عماد منهج النورسي هو القراءتان: قراءة الكون المنظور وقراءة الكون المقروء «الكتاب المعرفي»، والقواعد هنا ليست إنفرادية بل إنه يقرأ هذا بذاك وذاك بهذا، وهو يقرأ كل منها بالآخر ليصل إلى المعرفة الكبرى. لذلك فكلا الكتابين هو مفتاح للآخر، فمفتاح الكون هو القرآن الكريم الذي يديم الإحالة

إلى الكون، ومفتاح القرآن الكريم هو الكون نفسه وآفاقه **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك إنه على كل شيء شهيد﴾**[1].

على أن الكتاب المقروء لمن يتدبر ويعقل ويستدل يصل إلى المعرفة الكبرى، الإيمان بالله ومعرفته، فالكتاب المنظور يمثل الخطوه الأولى في معراج الإيمان، ويمكن أن يصل منه الإنسان إلى الهداية الأولى، الهداية الكونية التي تدله على الخالق والكون البديع. هذا الكتاب الذي أبدع الإبداع وزيّنه، فلا ترى فَوَتَ ولا فطور، ولا عوجاً ولا أمتاً.

والكتاب المقروء يقدم للإنسان تعميقاً للهداية الأولى فإذا كانت الهداية الأولى إختبارية واقعية، مطابقة للنظم الموجود في الكتاب المسطور. عندها تتطابق القراءتان، ويتوحد العالمان ليوصلا للإنسان الهداية والكمال والإيمانية والتشريع والإعتبارية التشريعية التوجيهية، خاصة بعد قراءة الكون (الإجتماع والتاريخ الإنساني الذي يمثل شقاً من الكون الأنفسي الجماعي).

وهنا يحق لنا العجب والإستغراب من حال المسلمين، لِمَ لَمْ تكن علوم الإيمان هي علوم الطبيعة، ولِمَ لَمْ يكن فقه الكون الإجتماع هو الفقه السائد.

إن إهمال وتنازل المسلمين عن عالم الإيمان الطبيعي أو الإجتماعي أو القصور في فهم الرسالة الهدائية للقرآن، أدى إلى تناقص الفاعلية الاجتماعية للمعرفة القرآنية. وذلك لنقص عناصر التفاعل الضرورية فيها، وبالتالي كانت النتيجة القهر والخذلان، وضعف الإرتباط بالكون وبالقرآن.

إن حقيقة القراءتين عند النورسي أنها قراءة واحده ذات وجهين متفاعلين متصلين غير منقطعين، آيات الله واحدة في الاعتبار والغاية سواء أكانت منظورة أم مقروءة. لايمكن أن تكتمل سعادة الإنسان وطمأنينته الإيمانية إلا باكتمال مصدر معرفته وهدايته.

إن الكتاب الإجتماعي الإيماني، هو الذي يهتدي فيه الإنسان هدايته الأولى بالكون والطبيعة، وتتعمق الهداية وترشد بالقرآن، ويسترشد سلوكه بالتشريع (الرسالة)، ويعتبر من التاريخ ويعظ ويستقيم من الغيب، هذا التكامل المعرفي

---

[1] سورة فصلت، الآية (٥٣)

المنهاجي مستلزم إستدامة حركة الإنسان فكراً وعقلاً، قلباً ووجداناً، أحاسيس وجوارح. ويستلزم أن تكون عناصر هذا الكون جدٌ متفاعلة ومترابطة حقاً؛ لأنها مخلوقات من رب واحد ليسري فيها نظام واحد وتتوجه إلى غاية واحدة، معرفة الله جل جلاله.

إذا تأملنا أرجاء هذا الكون نرى أن هناك نظاماً كاملاً وتناسقاً بديعاً مقصوداً في جميع أجزائه، فتشاهد إشارات الإرادة والاختيار، ولمعات القصد في كل جمع حتى يبصر نوره القصد في كل شيء، والإرادة في كل شأن ولمعات نور الاختيار في كل حركة، وشعلة الحكمة في كل تركيب[1]، وهذا الكون ليس مقصوداً لذاته.

لقد ثَبَتَ بالبحث والتحري الدقيق والإستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون، وهو المقصود لذاته؛ أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون، يطلعنا بقواعده على أن في كل نوع وفي كل طائفة إنتظاماً وإبداعاً بحيث لايمكن للعقل أن يتصور الحكمة منه[2].

القرآن الترجمة الأزليه لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات الكونية، ومُفسّر كتاب العالم[3].

إن في القرآن الحكيم حوادث جزئية، ولكن وراء كل حادث يكمن دستور كلي عظيم، وإنما تذكر تلك الحوادث، لأنها طرف من قانون عام شامل كلي وجزء منه[4].

إعلم أن المقصد الأصلي في القرآن الكريم إرشاد الجمهور إلى أساسيات هي إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدل. فذكر الكائنات في القران الكريم إنما هوتبعي وإستطرادي للإستدلال[5].

---

(1) الكلمات، النورسي، ص٦١٣.

(2) صقيل الإسلام، النورسي، ص٥٠.

(3) الكلمات، النورسي، ص٢٦٤.

(4) المصدر نفسه، ص٢٧.

(5) إشارات الإعجاز، النورسي، ص١٧٧.

عاشراً: امتزاج العقل والقلب

إعلم أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي[1].

الوجدان الحي أو الفطره الشاعرة الذي يمثل البرزخ، ونقطة إتصال عالمي الغيب والشهادة، فالفطره الشاعرة أو الوجدان نافذة إلى العقل ينشر منها شعاع الإيمان[2].

نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليداً للبرهان كما هو دأب إتباع سائر الأديان[3].

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكم فيه إلا العقل والعلم، سوف يسوده القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان[4].

وكما أوضح الأستاذ أنور الزعبي في إستجلائه للمنهج الظاهري عند إبن حزم وابتدائه بخطوة الانعكاس على الذات. لتصفية الفكر من الشواغل ومعاينة الأشياء بالعقل، والوصول إلى المعرفة... فإن النورسي يدخل مدخلاً عظيماً في الذات أو الأنا ويجعلها مقياساً للمعرفة ومعياراً لها.

إعلم أن مفتاح العالم بيد الإنسان أو في نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب –ظاهراً– إلا أنها منغلقة –حقيقة– فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم.. هو... مافيك من «أنا».

هذه «أنا» تنطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبته الجليلة وشؤونها المقدسة، أي يكون «أنا» وحدة قياسية تعرف بها أوصاف

---

(1) المثنوي العربي النوري، النورسي، ص٤١٣.

(2) المصدر نفسه، ص٤٢١.

(3) صيقل الإسلام، النورسي، ص٤٩٥.

(4) المصدر نفسه، ص٥٠٢.

الربوبية وشؤون الألوهية، «الأنا» مرآة عاكسة لحقائق الإيمان، إنها ميزان حساس للكون، ومقياس صائب دقيق، وفهرس شامل محيط، ومرتبة كاملة[1].

إذن «أنا» الإنسان مودع فيها كواشف الحكمة والمعرفة وعهود الأمانة. فالعودة إلى الذات واستنطاقها، والمقاييس بها معيار للحكمة والمعرفة، وغالباً مايكون فيها اليقين، ولوخالفها الجحود..

﴿وجحدوا بها وإستيقنتها أنفسهم....﴾

فالجحود ظلم وعدوان «واليقين» مستقر في وجدان الذات؛ لأن لها منافذ خارج نطاق القدره الإنسانية الواعية، هذا الاستيطان الذاتي، هو الجانب الوجداني من المعرفة، وهو مايمكن أن ينقص المعرفة الموضوعية، إن كانت هناك معرفة موضوعية مطلقة.

حادي عشر: العقل

العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها. إن استعمل بسر التوحيد فإنه يصبح مفتاحاً ثمينا؛ بحيث يفتح الكنوز الإلهية الساعية، وألوفاً من خزائن الكون بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة وقع في حجيم من آلام الماضي الجزئية، ومخاوف المستقبل الرهين[2].

فالعقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولبّه. بفضلها استطاع أن يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع مايمكنهما أن يطويا العالم كله رغم صغرهما.

...إن القلوب والعقول برازخ إنسانية بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين -بالنسبة للإنسان- تجري في تلك النقاط.

---

(1) انظر الكلمات، النورسي، ص٦٣٥-٦٣٩.

(2) الشعاعات، النورسي، ص١٩.

التعقيبات

تعقيب د. رحيل غرايبة على ورقة د. سعاد بيلديرم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد،

لم أنظر في الورقة نظرة تقويمية، وإنما أردت أن ألخص بعض الأفكار التي تعتبر تطبيقاً للفكر في مجال العمل. فعلى صعيد الفكر يُعدّ النورسي صاحب أنجح محاولة في صياغة نظرية معرفيّة إسلامية في القرن العشرين كما يقول الدكتور الدباغ، وذلك من خلال تأسيس نظرة تركيبية جامعة، تتوجه من الكثرة إلى الوحدة، ومن الجزء إلى الكل، وتحذر من الضياع والتيه في معالجة قضايا جزئية منبثقة من نظرة تجزيئية تفكيكية، والنجاح يكمن في القدرة على بناء هيكل معرفي متكامل، يجعل الفرد المسلم قادراً على التحدث بلسان النسيج الحضاري المتكامل، وفق بصيرة نافذة تستجمع قوى العقل الجمعي، وتبتعد عن السذاجة والسطحية والضحالة الفكرية. ومن خلال ما تحدث به الدكتور عليمات حيث يبدو كأن هناك جزءاً من هذه القضية، فالمعرفة عند بديع الزمان ثلاث معارف:

١. **معرفة كونية:** وهي تشمل علوم الكون (السماء والأرض وما بينهما وما تحت الثرى).
٢. **معرفة إنسانية:** تشمل الكينونة الإنسانية، وكل ما يتعلق بالإنسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطناً.
٣. **معرفة إلهية:** وهي ترتبط بوجود الله وبرؤيته ورعايته لخلقه.

هذه المعارف الثلاث متلازمة متساندة متصلة يؤدي بعضها إلى بعض، وهذه المعرفة الإيمانية عند النورسي منبثقة من القرآن الكريم والتفكر في كتابه المفتوح «الكون» وما فيه، أو المعرفة عند النورسي ثمرة من ثمار الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونتيجة من أبرز نتائج الإستقامة على الدين، والمعرفة الحقيقية عنده هي «معرفة الله»،

ويخاطب بديع الزمان الإنسان قائلا: «إذا كنت تروم الحصول على علم الحقيقة والحكمة فاظفر بمعرفة الله».

أما من ناحية الطريق إلى المعرفة، نستطيع أن نتبين مكانة الأستاذ النورسي من خلال الاطلاع باختصار على الطرق التي رسمها العلماء المسلمون السابقون.

الفارابي اعتبر العقل هو القوة التي تميز الإنسان، ومسألة المعرفة تحكمها عقول تتدرج من المحسوس إلى المعقول حتى تصل إلى العقل الفعال.

وأما **ابن سينا**: فالمعرفة عنده تقوم على الفطرة والمعرفة بالحدس، وهي أرقى درجات المعرفة.

بينما **ابن رشد**: الحس عنده له دور في إدراك الأجسام المركبة وإعادة الصورة، أما الفعل فإنه يدرك الماهيات والمعقولات المجردة.

والغزالي: يرى أنه لا الحس ولا العقل يوصلان إلى المعرفة الحقيقية، بينما المعرفة الحقيقية تأتي عن طريق القلب.

أبو الحسن الأشعري: أراد أن يضع العقل في موقعه الصحيح فقال: «لا طريق للمعرفة إلا الوحي والنبوة».

ابن تيمية: أراد أن ينفي التعارض بين العقل والوحي فقال: «المعرفة العقلية الصحيحة لا تقع خارج دائرة المعرفة التي يدعو إليها الإسلام».

الإمام النورسي يقول: إن المعرفة تقوم على ما في الإنسان من حواس وعقل وبصيرة، وعلى ما جاء به الوحي من عند الله. الحقيقة أنني أردت القول: أنه لا يفهم من القراءة المتسرعة لفكر النورسي في هذا المجال أنه يقول بنظرية الفيض الإلهي، وإنما يقول إن المعرفة تأتي من الاجتهاد الذي يقوم به الإنسان بعون من الله وباسم الله؛ أي إن الإنسان يجتهد ولا يستطيع ايصال المعرفة إلا بمعونة الله. وهذه -والله أعلم- يصدقها قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

أما بالنسبة للمناهج الموصلة للمعرفة فالنورسي رسم أربعة مناهج:

١) **منهج الصوفية:** وهو المنهج الذي يتأسس على تزكية النفس.

٢) **منهج علماء الكلام:** وهو المنهج المبني على الحدوث والإمكان.

٣) **مسالك الفلاسفة:** ليست مصوغة من الشبهات والأوهام.

٤) **المعراج القرآني:** الذي ببلاغته المعجزة لا يوازيه طريق آخر في الاستقامة والثبوت، وهي أقصر الطرق وأوضحها إلى الله وأشملها.

أما على صعيد الحركة: هناك نقطة تستحق المناقشة ،وهي أنه مر بطورين أثناء حركته.

الطور الأول: أنه اشتغل في السياسة واهتم بها لمدة سنوات طويلة، ومارس الجهاد المادي عن طريق تشكيل بعض الفرق وكان هو قائدها، وتعرض للأذى في ذلك، وكان له حضور بارز على الصعيد السياسي.

الطور الثاني: رفع شعار عدم الاشتغال بالسياسة، والاقتصار على إصلاح الإيمان واشتهر بمقولته: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة.

لخص الباحثون مبررات هذا التحول بأن المشتغل بالميدان السياسي مضطر للتعاون مع تيارات سياسية معينة والركون إليها، وهذا يجعله في بعض الأحيان يتغاضى عن أخطاءهم في سبيل هذا التحالف، إضافة إلى أن العمل السياسي أيضاً يؤثر على إخلاص المرء، فيجعله في بعض الأحيان منغمساً في بعض المنافع المادية والدنيوية مما يؤدي إلى الإخلال بقدسية عمله.

ويعتبر النورسي أيضاً أن الدعوة عامة لكل الناس، والانخراط في الأحزاب السياسية يجعلها تخاطب بعض الفئات المنحصرة، ولا يكون خطابها إلى كل الجماهير حكاماً ومحكومين إلى غير ذلك، يقول كذلك أن اتخاذ شكل الحزب السياسي يمنع التفاف الناس وجماهير المسلمين حول الفكرة، وهو يقول إن ٩٠٪ من المسلمين في العالم مؤيدين للإسلام، ولكن ١٠٪ تؤيد الأحزاب السياسية.

أظن أن فكرة النورسي أو الاستراتيجية التي نستطيع أن نرسمها من خلال حركته تقوم على إعادة بناء الإنسان المسلم كله، وإعادة تشكيل عقله عن طريق نظرية معرفية متكاملة، إعادة إحياء قلبه ووجدانه وتقويم سلوكه وأخلاقه، وذلك كله من خلال الخطاب القرآني الذي يخاطب الكينونة الإنسانية بكامل جزئياتها، وأعتقد أن هذا الكلام يشبه ما قاله حسن البنا عندما سؤل: هل نحن حزباً سياسياً أو إتحاداً رياضياً أو شركة اقتصادية أو غير ذلك؟ فذكر أن كل هذه المعاني هي من معاني الإسلام، ولكننا لسنا حزباً سياسياً، ولسنا شركة اقتصادية، ولسنا اتحاداً رياضياً، ولا غير ذلك فنحن روح جديدة تسري في هذه الأمة. أخيراً بالنسبة إلى مسألة المشاركة السياسية أعتقد أنها ما زالت بحاجة إلى إعادة القراءة من جديد، وإلى تقويم جديد بعيداً عن روح التعصب والمواقف المسبقة.

تعقيب أ. أنور الزعبي على ورقة د. حمود عليمات.

أعتقد أن ما قام به الأستاذ النورسي يشبه إلى حد ما ما قام به أبو حامد الغزالي الذي اعتمد البديهة والاستدلال والحس، ولكنه رغب أن يتجاوز ما قاله الغزالي، وهو بالفعل تجاوز بطروحاته ما قال به، ولكنه لم يأتِ بحقائق تجاوز الشرع ولا المعقول، وهو بذلك يدخل في مجال التفصيل والكشف والنور الذي يفيضه الله عليه، وبالتالي لا يكون شاذاً عن تصور بعض علماء المسلمين الذين لم يغالوا في التصوف والشطح والقول بالحلول والاتحاد وما شابه ذلك. وشكراً.

د. فتحي ملكاوي: وصلتني مجموعة من الأوراق أرجو من المتحدثين أن يجيبوا عنها بكلمات محدودة.

د. مأمون جرار: دكتور سعاد: من النظر في بحثكم والاستماع إليه. هل هناك صراع بين جماعة النور وحزب الرفاه؟ وما هي أوجه الربح والخسارة للإسلام بمشاركة حزب الرفاه بالحكومة؟

د. سعاد: لا يوجد صراع بين جماعة النور وحزب الرفاه، ولكني أريد أن أقول إن جماعة النور لا يرون الدخول في الفعاليات السياسية وهم لا يعارضون الرفاه.

وأشرت في بحثي إلى بعض نتائج دخول حزب الرفاه في الحكومة، للأسف يبدو بعضها ضاراً، وإن شاء الله ستتحول إلى نتائج محمودة، هذا ما نرجوه من الله سبحانه وتعالى.

د. **فتحي**: يبدو من خلال قراءة عناوين بعض الأوراق معظمها يتحدث حول نفس القضية التي أثيرت في السؤال الأول. هذه ورقة تقول: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ما مقصد الأستاذ النورسي منها؟. لماذا يُركز على النتائج السلبية لمشاركة حزب الرفاه في السلطة؟ يبدو أن عدداً من الأسئلة تتعلق بهذا الجانب فأقترح أن نعطي دقيقة واحدة للأستاذ إحسان وأخرى للأستاذ سعاد لعلهم يزيدون الأمر وضوحاً.

أ. **إحسان**: الأستاذ النورسي لم يقل هذا الكلام جزافاً، وإنما مارس السياسة لسنين طويلة، وعانى ما عانى من السياسة، ثم قال هذا الكلام، الذي أصبح نوعاً من الاستراتيجية في الوقت الحاضر، وأظن أنه في كتابنا الصغير «بديع الزمان النورسي: حياته وآثاره» ذكرنا هذا الكلام وذكرنا كلام النورسي نفسه. لماذا استعاذ بالله سبحانه وتعالى من السياسة الحاضرة!! وليس من السياسة بالمفهوم الشرعي المعروف. لا أعتقد أن أحداً يستعيذ بالله من السياسة الحقيقية، أما في الوقت الحاضر فالسياسة الموجودة هي السياسة الحاضرة، وهي نتيجة لما أفرزته الحضارة الأوروبية من كذب، وما هو معروف لدينا من كتاب الأمير لميكافلي، فهي سياسة ميكافيلية نفعية مستندة إلى الفلسفة المادية التحتية، وليست هي السياسة الشرعية.

د. **سعاد**: شكراً للدكتور رحيّل غرايبة لاشتراكه معي في الفكرة نفسها، وأريد أن أضيف إلى ما تفضل به، وكجواب عن هذا السؤال أيضاً، كان الأستاذ النورسي يشتغل بالسياسة الكبيرة، بدل الاشتغال بالسياسة الصغيرة، وعندنا دليل مادي مشخص من التاريخ، في سنة ١٩٥٠م أسقط الشعب التركي بأصواته حزب (عصمت إينونو) من السلطة في أول المراحل الديمقراطية وفي أول انتخابات حرة، وفيما بعد قيّم عصمت إينونو الموقف بقوله: أسقطنا طلبة النور.

لم يؤسس الأستاذ سعيد النورسي حزباً سياسياً، ولكنه اشتغل في توعية الناس توعية إسلامية، والشعب الذي حصل على هذا الوعي، عرف طريقه وأنجز، وهذه نتائج السياسية الكبيرة. فالأمور بعواقبها.

د. حمود عليمات: صحيح أن الشيخ النورسي لم يكن سياسياً بمعنى ممارس للسياسة الجزئية، لكنه كان مفكراً سياسياً عظيماً، كان لديه هدفاً كبيراً جداً وهو محاربة العلمانية والتغريب الشامل في تركيا، لقد كان كل هدفه موجه نحو القضاء على نبع العلمانية، وكان يوجه أنظار تلاميذه لذلك فيقول مثلاً انظروا إلى حزب كمال وانتخبوا أي حزب غيره، وأنا باعتقادي أن هذه سياسة كبيرة جداً وعظيمة واستراتيجية وهذا هو المهم، أما الاشتغال بالجزئيات السياسية قد لا يكون عظيماً، وأظن –كما ذكر د. سعاد– أن المستقبل سيبين ذلك.

د. فتحي: ورد سؤال يتعلق بورقة د. حمود من الدكتور مصطفى عليان يقول: إن النورسي استطاع أن يسلم من مشكلات التعطيل للقرآن، فالقرآن كله فاعل، والدكتور مصطفى يصحح ذلك فيقول مصطلح التعطيل يتعلق بأسماء الله وصفاته.

د. حمود عليمات: أنا لا أستخدم مصطلحات الصفات والأسماء، وإنما أعنى أن القرآن أصبح عندنا تشريعاً فقط، فلو أجرينا استفتاءً في الغرب أو في ديار الإسلام: ما هو الإسلام؟ ستكون الإجابة: الإسلام هو قطع الأيدي والأرجل... إلخ (تطبيق الحدود فقط). إن الصورة الموجودة في أذهان جماهير من المسلمين وغيرهم أن الإسلام هو الحدود الذي لا تتجاوز آياته ١٨ آية أي ما يساوي ٠,٠٠٧ من القرآن الكريم ، هذا ما قصدته. تعطيل القرآن كمنهج للحياة وسلوكاً شاملاً، إن الفقه الذي ورد في القرآن لم يرد لفقه التشريعات والأعمال اليومية، المسلمين إلى حدٍ ما تركوا القرآن منذ مئات السنين واهتموا بقرآن التشريع، هذا ما قصدته ولم أقصد مصطلحات علم الكلام.

د. فتحي: الدكتور محمد المجالي يقول: كأنني أفهم من كلام الأستاذ الدكتور سعاد أن العمل السياسي والوصول إلى الحكم عن طريق حزب الرفاه كان سلبياً على

الحركة الإسلامية والنهضة الإسلامية في تركيا. ويا ليت حزب الرفاه لم يصل إلى الحكم، وأن النتيجة التي يريدها الأستاذ سعاد أن يبقى المسلمون خارج نطاق العمل السياسي.

د. **سعاد**: أظن أنني قد أجبت عن هذا السؤال، التقديرات السياسية تختلف حسب وجهات النظر، فمثلاً هناك من يشتغل بحرارة في حزب الرفاه، وهناك من ينتقد سلطة حزب الرفاه، ويقولون يا ليت لم يصل السلطة بهذا الشكل وبهذا الوقت، ويقولون أيضاً: كان على حزب الرفاه أن يبقى في المعارضة ليوسع تأثيره، ويوسع شعبيته، ويزيد من المؤيدين لآرائه حتى ينال ثقة الناس، وبعد هذا يأتي إلى السلطة، فهم في هذه المرحلة لا يوافقون أن يبقى في السلطة، وهم رفاهيون أيضاً.

د. **فتحي**: هناك تعليقات من شخص وقع اسمه بحسام يؤكد نفس القضية المتعلقة بموقع حزب الرفاه في الحكم، والإشارات التي ذكرت قبل قليل عن أثر وجوده في الحكم، وأنه قد أدى بالفعل إلى إغلاق المدارس الدينية، وإثارة العلمانيين ضد الإسلام، وفصل الضباط الإسلاميين وما إلى ذلك. لكنه يضيف والذي نرجوه نحن من جميع المسلمين في تركيا أن يتعاونوا لخدمة الإسلام، فالنورسيون ينتخبون الرفاه، والرفاه يقوم بزيادة المساجد ودور القرآن، وتوفير الحماية للنورسيين ليقوموا مع إخوانهم في الرفاه بنشر هذا الدين والتمكين له، وأعتقد أن هناك –يقول– تكاملاً بين النورسيين وبين حزب الرفاه، وإذا ما تعاونوا فيما بينهم على القواسم المشتركة سيشكلون جبهة كبيرة، يصعب تجاوزها من قبل العلمانيين وقادة الجيش، وسيكون لهم تأثير كبير في بلدهم. أما القول إن النورسيين لا يشتغلون بالسياسة فهذا قول ليس دقيقاً، فهم يمثلون كتلة وينتخبون، ويُأخذ شأنهم بعين الاعتبار وهذا يتناقض تماماً مع فكرة عدم الاشتغال بالسياسة، لكن يبدو أن المقصود هو عدم الاشتراك في الحكم في هذه المسألة بالذات. فهل لك تعليق أستاذ سعاد على هذا؟ أم تؤيده؟

د. **سعاد**: صحيح. لا يمكن للإنسان أن يتجرد من الأعمال السياسية تجرداً كاملاً، على الأقل بالانتخاب، أو بنشر أفكاره، المقصود السياسة الصغيرة، أما تشكيل حزب. والاشتغال الكامل بالسياسة هذا هو المقصود.

د. فتحي: سؤال للدكتور حمود من د. أمين عودة يقول: النظام المعرفي عند النورسي عُرض بطريقة مقلوبة، فوضع أولاً معرفة الله، ثم طرق الاستدلال الأخرى، والحقيقة أن النورسي كان يستدل بالمظاهر الوجودية أولاً على وجود الله تعالى، ثم تأتي بعد ذلك المعرفة به، وهذه نتيجة تبدو أنها طبيعية، ولا سيما النورسي كان معنياً بالرد على الملاحدة.

د. حمود: الرسم البياني الذي وضعت فيه أسهماً تدل على النظام المعرفي المتفاعل، وقد وضعنا الغاية الكبرى أولاً ثم بيّنا طريق الوصول إليها، لكن أوصلناها بأسهم مختلفة، بعضها لم يظهر باعتبارها ليست معرفة عملية تفاعلية، فلا توجد معرفة مستقلة، المعرفة عمل مستمر بين العارف والمعروف وبين الأقوال المختلفة الأخرى، هذه خارطة عامة وشاملة ومبدئية، يلزمها تفصيلات.

د. فتحي: الدكتور إسحق الفرحان يود أن يعقب على مسألة ارتباط السياسة بالإسلام سواء في مسألة المشاركة، أوالتداخل بين العمل الفكري والعمل السياسي.

د. إسحق الفرحان: بسم الله الرحمن الرحيم. أريد أن أتكلم كلمتين صغيرتين حول هذا الموضوع وهو أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ويشمل نظام الحياة جميع الحالات الدعوية والثقافية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، هذه واحدة في التصور ما دام أن الإسلام نظام شامل ومتكامل، فالعمل للإسلام عمل شاملٌ متكامل فهناك العمل الدعوي والتربوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وإذا توصلنا لا سمح الله إلى أن السياسة ليست من اهتمامات الدين الإسلامي، فكأننا نكرّس الكهنوتية وفصل الدين عن الدولة وعن المجتمع، وأعتقد نظرة إلى الوضع في تركيا أن الأستاذ النورسي رحمه الله لما أكدّ في منطلقات تفكيره على الإيمان بالله في تلك المرحلة التي تخوضها تركيا –وهي العلمانية– أعتقد أن هذا التأكيد هو لُب السياسة وجوهرها، وإن لم يؤلف حزباً سياسياً، فإرجاع الناس إلى دينهم وإلى إيمانهم بالضرورة يعطيهم التصور الشامل للإسلام، حتى إذا تربى الجيل الذي سيتحمل مسؤولية الدولة الإسلامية والعمل الإسلامي المتكامل عندئذ يكون عَمِلَ خيراً كثيراً، وأدى للمسلمين

فائدة كبيرة. أما من حيث التكامل بين العاملين للإسلام، فأنا أعتقد أن هذا التحدي- ومن وجهة نظر سياسية -تحدٍ كبير لا يشمل فقط تركيا بل كل الأقطار الإسلامية، لا بد من تضافر كل العاملين للإسلام، وأن يسع بعضهم بعضاً، وأن يؤكدوا على القواسم المشتركة بأن العمل الدعوي هدف، والعمل التربوي هدف استراتيجي للإسلام، والعمل الخيري (وأفعلوا الخير) هدف استراتيجي للإسلام أيضاً، كما أن الاهتمام بأمور المسلمين (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)، والسياسة عمل استراتيجي للإسلام، وكل هذه المشروعات الإسلامية يعضد بعضها بعضاً، ويرفد بعضها بعضاً، ويغذي بعضها بعضاً، ويُنجح بعضها بعضا. والواجب الشرعي على المسلمين أنّى كانوا وعملهم النهائي أن يدعم بعضهم بعضاً، حتى تتحقق مقاصد الشريعة إن شاء الله. نسأل الله أن يعيد لتركيا دورها في أن تكون بوابة العروبة والإسلام كما كانت في بداية الخلافة. والسلام عليكم ورحمة الله.

د. فتحي: هناك سؤال للأستاذ إحسان يقول: ورد في ورقتكم أن النورسي قال في رسائله: «أن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري، وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلبي من نور القرآن»، ألا توحي كلمة الإفاضة بكيفية كتابة حواريي سيدنا عيسى للإنجيل، وأن رسائله في هذا كإلهام أولئك الحواريين الذين غدت كتاباتهم هي الإنجيل بعينه، ألا يعني ذلك أن لرسائله قدسية ومكانة في نفوس أتباعه تساوي قدسية إنجيل متى ومرقص، وأعتقد أن هذا يشير ربما إلى خطأ في التعبير يؤدي إلى أخطاءٍ في الاعتقاد والنظر في فكر النورسي.

إحسان: أولاً: الكلام فيه تحامل كبير جداً، وما أظن أن مسلم يخطر بباله شيء من هذا مطلقاً، لا أظن أن النورسي ولا طلابه ولا أي مسلم بسيط، يعتقد بهذا؛ لأنه حتماً يخرجه من دائرة الإسلام، ولكن هناك شيء واحد أقوله وهو أن الإنسان عندما يرتقي في مراتب الإيمان، وعندما يتتلمذ على القرآن، يزيد الله في تقواه ويفتح في قلبه من طاقات النور ما لا يفتحه في أوقات أخرى، وهذا يذكره الأستاذ النورسي أنه في الأوقات الأخرى شخص عادي، له شخصية اعتيادية وفي أوقات أخرى في العبادة بحيث لو كان الناس اجتمعوا ويقولون له: أنت صالح،

أنت رجل جيد، أنت رجل ولي، لا يمكنهم أن يقنعوه، أنا رجل مخطئ، أنا سيء أمام الله، مذنب، يعتقد بهذا جيداً، ويعتقد بنفس الوقت أنه هو في شخصية أخرى لدى تتلمذه على القرآن الكريم ، يفتح الله على قلبه ما لا يفتحه في الوقت الآخر، ولهذا كان يملي على تلاميذه في هذه الأوقات، وأما في الأوقات الأخرى فيقول: لم يفتح الله على قلبي وهذا ظاهر ليس فقط في النورسي، وإنما في علماء آخرين كثير، وحتى في يومنا هذا يوجد أناس من هذا النوع يفتح الله على قلوبهم من الإلهام ما لا يفتحه في أوقات أخرى، والإلهام وارد بالنسبة للمسلم، حتى النورسي نفسه يذكر الإلهام، من إلهام الملائكة إلى إلهام المرسلين إلى إلهام الأولياء إلى إلهام الناس، حتى يصل إلى إلهام الحيوانات، وحتى القرآن الكريم يصرّح بهذا ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ هذا نوع من الإلهام الإلهي، فإذاً الإلهام مراتب، والإنسان كلما ارتقى في مراتب الإيمان، وفي المعرفة الإلهية، شرح الله صدره.

حتى الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله كتب «الرجل الملهم حسن البنا» هل نقول: إن حسن البنا ألف إنجيل متّى أو مرقص!.

د. فتحي: كل الأوراق التي بين يدي تتحدث عن قضيتين. قضية دور جماعة النور في الانتخابات، ولمن أعطوا أصواتهم في الانتخابات الأخيرة. والسؤال الثاني: هل يقترح الأخوة الذين تحدثوا في مقابل ما يتعرض له حزب الرفاه في الحكم الآن، أن لا يشارك في الحكم وينتظر فرصة أخرى؟

د. سعاد: لا يمكن أن أجيب عن هذا السؤال بشكل جاد، لأن الأصوات مخفيّة، ولا يعلن جماعة النور من يؤيدون في الانتخابات، ولكن حسب تقديري أن كثير منهم أيّدوا حزب الرفاه، وإلا كيف كان يمكن أن يكسب حزب الرفاه في تركيا، مثلاً في اسطنبول عدد سكانها ١٢ مليون نسمة، لو لم يصوّت لحزب الرفاه كيف يمكن له أن يكسب الرياسة، لأن من شاهد اسطنبول يعرف أحوال الشعب، أظن أن أكثرهم صوتوا لحزب الرفاه.

هناك تحقيقات لجريدة الزمان اليومية، وهذه الجريدة تنتسب إلى جماعة النور، التحقيقات تشير إلى أن أكثر من ٥٠٪ من قراء جريدة الزمان صوتوا لحزب الرفاه، لكنهم غير منتسبين إلى حزب الرفاه.

بالنسبة للسؤال الثاني: أنا اشترك في وجهة النظر هذه. حبذا لو تمهل حزب الرفاه في المجيء إلى السلطة.

د. فتحي: أ. إحسان هل لك تعقيب على هذا؟

أ. **إحسان**: الأخوة الذين تفضلوا بالسؤال حقهم لأنهم لا يعرفون ساحة تركيا إلا من بعيد، وكل المعلومات التي لديهم هي معلومات تردهم من الصحف أو التلفزيون وهذه معلومات طبعاً ليست صائبة... إلخ.

لسنا نحن وحدنا طلاب النور لا نريد المناصفة بالحكم أو الائتلافية بل إن بعض قادة الرفاه لا يريدون ذلك، وكانوا يقولون لو ننتظر في الانتخابات القادمة لنفوز فوزاً ساحقاً. لكن قلة من القادة ترجح لديهم هذا الأمر، والأغلبية قالت: إن هذه فرصة نستفيد منها لكن مع الأسف الظاهر أنه عكس ما توقعوا.

د. فتحي: إذاً المسألة هي اجتهاد في الموقف ربما يكون مصيباً وربما يكون له محاذير، وهذا شأن اجتهادات العمل في هذا الميدان، وربما تكون المشاركة أيضاً من باب الاجتهاد هي تأصيل وتعميق فرص النجاح في مرة أخرى، وحشد نوع من الزخم من أجل فرصة أخرى، وهذا اجتهاد ربما يكون فيه كثير من الحق.

نأتي بهذا إلى ختام هذا المجلس الطيب ونشكر للأخوة المتحدثين حديثهم ونشكر للأخوة المعقبين تعقيباتهم.

جلسة العمل الثانية

مدير الجلسة: د. فتحي ملكاوي.

١. الورقة الأولى: وجوه الإعجاز عند النورسي.

الدكتور عبدالله الخطيب.

٢. الورقة الثانية: علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي.

الدكتور أحمد شكري شابسوغ.

٣. مناقشات الجلسة الثانية.

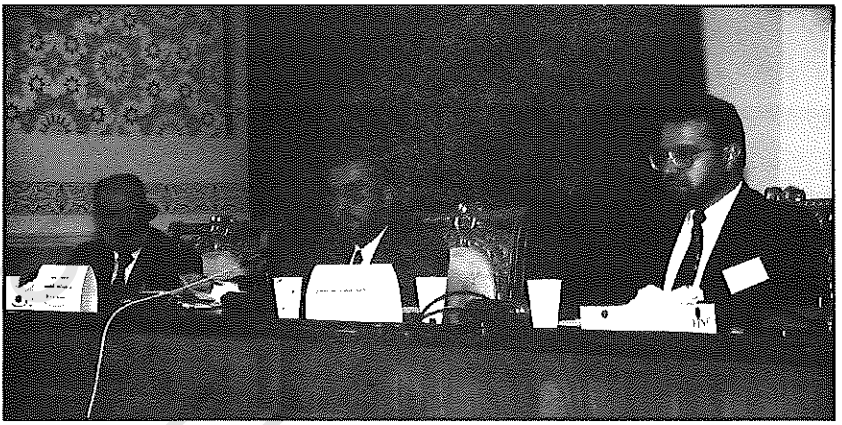

الجلسة الثانية: من اليمين د. أحمد شكري شابسوغ ود. عبدالله الخطيب، ود. فتحي ملكاوي

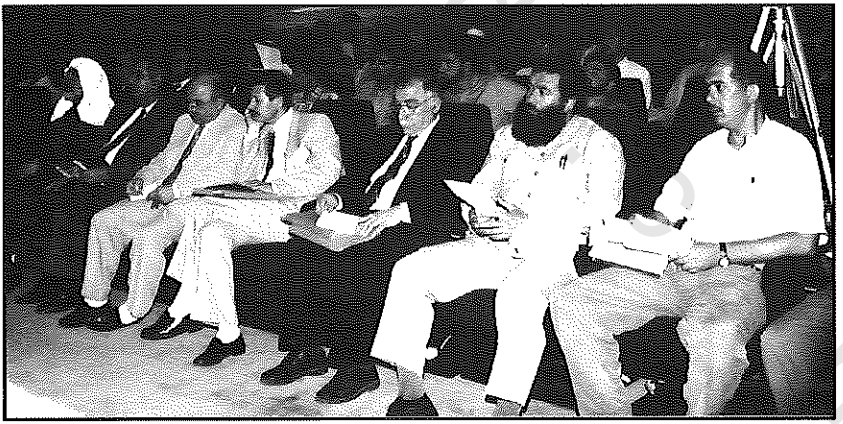

جانب من الحضور

وجوه الإعجاز عند النورسي[1]

الدكتور عبدالله الخطيب

أستاذ علوم القرآن والتفسير/ جامعة آل البيت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيعد الإمام النورسي نظر العلماء من المجددين العظام في القرن العشرين. وللإمام النورسي مائة وثلاث وعشرين رسالة تسمى رسائل النور، وله اليوم أتباع بالملايين في العالم الإسلامي. إن رسائل النور التي ألّفها النورسي هي رسائل تنور العقل والقلب والروح في عصر اشتدت فيه ظلمة الكفر والضلالات، واجتمعت فيه قوى الشرق والغرب لتقويض بناء الإسلام العريق، وتشكيك المسلمين بدينهم، ولكن لأن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون والكافرون، لذلك فقد يسّر الله تعالى للإمام النورسي في خضم هجوم العالم الغربي بحضارته وفلسفاته ومؤسساته الفكرية والسياسية على الإسلام، يسّر الله تعالى لهذا الإمام أن يقف أمام هذا التيار الهائل -بالرغم من النفي والسجن- ليقوّض كل افتراءاته ومزاعمه المغرضة ضد الإسلام، والنبي ﷺ، والقرآن الكريم. فأظهر النورسي في رسائله بأسلوب مقنع عظمة الإسلام وتعاليمه وأنه دين الله تعالى للإنسانية جمعاء، وبرهن كذلك على إفلاس الحضارة والفلسفة الغربية المعادية للإيمان بالله تعالى ولتعاليم السماء في عصر كذلك صفاته. لقد شعر النورسي بالحاجة الماسّة لإظهار جمال القرآن وشبابه على مدى العصور والأيام، هذا القرآن الذي أتى من الأزل ليبقى هذا القرآن الذي كلما شاب الزمان شبّ بتعاليمه. فأظهر النورسي في كتبه ورسائله الوجوه الإعجازية

---

(1) لم نستطع نشر البحث كاملاً إذ هو معروض للنشر في مجلة محكّمة، وقد رأينا نشر بعض المقتطفات على أمل أن يظهر كاملاً في الطبعات القادمة إن شاء الله.

المتعددة للقرآن الكريم. هذه الوجوه التي بيّنها النورسي منها ما هو قديم ذكرها العلماء قبله إلا أن النورسي ألبسها ثوباً جديداً وأضاف إليها. ومن هذه الوجوه ما هو مبتكر لم يذكره أحد من العلماء سوى النورسي.

لذلك فقد بدأت في بحثي بتعريف مختصر عن النورسي وحياته، ثم تكلمت عن تعريفه للقرآن الكريم، ثم ذكرت كلامه عن المقدار المعجز من القرآن إذ إنه يرى أن القرآن كله معجز بجمله وكلماته وحروفه. ثم تكلمت عن وجوه الإعجاز الرئيسية السبعة التي يتفرع عنها ما يقرب من أربعين وجهاً. وقد تولت رسائل النور إيضاح هذه الوجوه بالتفصيل وخصوصاً في المقالة الخامسة والعشرين المتعقلة بالإعجاز القرآني. إلا أنني واختصاراً تكلمت في هذا البحث عن الأنواع الإعجازية التالية وفصلت الكلام عنها وقسمتها لقسمين رئيسين:

القسم الأول: الوجوه التي ذكرها العلماء قبل النورسي إلا أنه أضاف فيها وزاد وهي:

١. **الإعجاز البلاغي في نظم القرآن:** أوضحت فيه مدى تأثر النورسي بنظرية الجرجاني في النظم، وكيف طبق النورسي هذه النظرية ببراعة ودقة فائقة في تفسيره: «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز». وتناولت أنواعاً متعددة تطرق إليها النورسي في الإعجاز البلاغي مثل الإعجاز في الحروف المقطعة أوائل السور.

٢. **الإعجاز العلمي:** بينت فيه تفرد الإمام النورسي في هذا المجال، وكيف أنه برهن أن العلم والدين لا يتناقضان أبداً، فالعلم مكمل ومتمم لحقائق الدين. وقد تطرق النورسي إلى قضية أن كمال العلوم كلها نابع من الأسماء الحسنى. ومما تفرد به النورسي في هذا الباب أنه فتح من معجزات الأنبياء التي ذكرها القرآن الكريم، فتح منها باباً للإشارة إلى أن القرآن حث الإنسان منذ القدم للترقي والتقدم في مجال الأخلاق والعلم المادّي بذكره لهذه المعجزات.

٣. **الإعجاز التشريعي:** برهن النورسي بالأدلة القاطعة على أن شريعة الإسلام جاءت من الأبد لتبقى، وأنها صالحة لكل زمان ومكان وأثبت بالأدلة القاطعة تفوق القوانين والحكمة الإسلامية على القوانين الوضعية والفلسفة الأوروبية.

٤. **الإعجاز الغيبي:** يرى النورسي أن الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم لا يقتصر على آيات محدودة، بل في القرآن الكريم آلاف الإشارات الغيبية لحوادث مستقبلية ذكرها القرآن الكريم بطريق الرمز أو الإشارة أو بطرق أخرى. مما يثبت إعجازه على مدى العصور.

القسم الثاني: الأوجه التي ابتكرها النورسي ولم يذكرها أحد قبله

وقد اقتصرت في هذا القسم على نوع واحد من الإعجاز ألا وهو **الإعجاز في خطاب القرآن الكريم**، لقد بيّن النورسي بحجج قاطعة وأمثلة متعددة أن القرآن الكريم توجه بخطابه إلى أربعين طبقة مختلفة من طبقات الناس. فخاطب القرآن الكريم كل هذه الطبقات بنفس العبارات، مع أن كل طبقة تفهم ما يناسبها من تلك العبارات بعينها. ومن هنا فقد تكلم النورسي عن إعجاز القرآن الكريم في خطابه للفقهاء، والأصوليين، وعلماء التاريخ والاجتماع، ولعامة الناس وغيرهم. وتكلم تحت هذا الباب عن التوافق والتناسب العددي في القرآن الكريم بطريقة عجيبة لم يُسبق إليها فيما أعلم.

لقد أراد النورسي بحشده لكل هذه الأنواع أن يثبت –وقد أثبت فعلاً– أن القرآن نور الله الذي لا يمكن أن يطفأ، وأن القرآن هو حبل الله المتين ونوره المبين على مدى العصور والأيام، من أخذ به رشد، ومن أعرض عنه هلك.

والحمد لله رب العالمين

د. عبدالله الخطيب: يبدو في الوسط وهو يلقي ورقته: (وجوه الإعجاز عند النورسي).

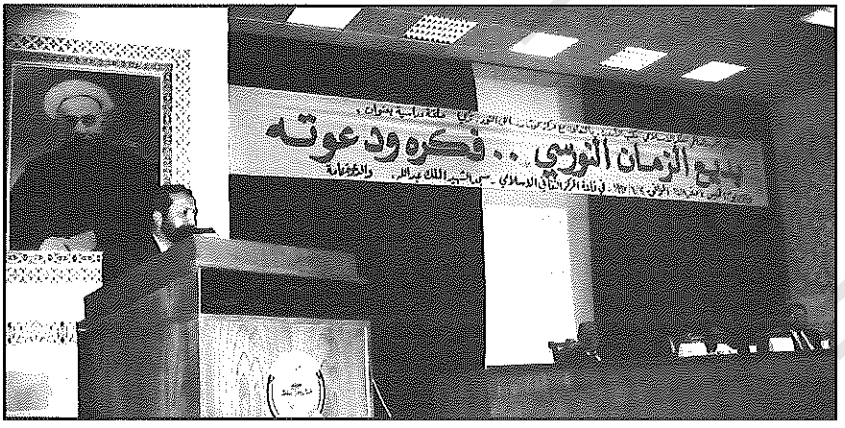

د. أحمد مفلح القضاة: يعقب على ورقتي الجلسة الثانية.

علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي

الدكتور أحمد شكري شابسوغ

قسم أصول الدين/ الجامعة الأردنية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فلقد تلقيتُ ببالغ السرور دعوة كريمة من السيد الفاضل مدير مكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي في عمان للمشاركة في الحلقة الدراسية حول «بديع الزمان سعيد النورسي: فكره ودعوته» وذلك من خلال إعداد ورقة عن **«منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم»**، ولما كنتُ من محبي النورسي ومقدريه لم يسعني إلا أن أستجيب مع علمي بصعوبة الأمر من جانب، وحلاوته من جانب آخر، فعكفت على رسائل النور أياماً متتالية، استمتعتُ خلالها كثيراً بمرافقة النورسي في رسائله.

وقد قسمت ورقتي هذه إلى مبحثين، خصصتُ الأول منهما للحديث عن علوم القرآن في رسائل النور، وجعلت الآخر خاصاً بالحديث عن التفسير فيها، وهو جهد يسير متواضع، أتشرف فيه بأن يذكر اسمي مع اسم بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله رحمة واسعة، وأشكر للإخوة الأفاضل في المعهد العالمي للفكر الإسلامي إحسان الظن بي، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾.

التمهيد

لم يكن بديع الزمان سعيد النورسي شخصاً عادياً، بل كان رجلاً متميزاً، «تجسَّد في ذاته جميع ما أطلق عليه من ألفاظ، فهو سعيد اسماً ومعنى، وبديع زمانه جهاداً وتضحية، ونور شعَّ في ظروف تركية إسلامية هي بأمس الحاجة إلى أنوار عقليته الجبارة وتوجيهاته السديدة »[1].

وقد تعرض النورسي في حياته للكثير من الصعاب والعواصف والحوادث القاسية، فلم يحن لها رأساً ولم يلن أبداً، بل بقي في جميع مراحل حياته شامخاً ثابتاً مطمئناً... ولا أدل على ذلك من مواقفه البطولية وعباراته القوية أمثال: «لو كان لي ألف نفس لما ترددتُ في التضحية بها في سبيل إيماني، وفي سبيل آخرتي...»[2]، «لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها»[3].

وانتقل رحمه الله من سجن إلى نفي، ومن حرب إلى إقامة جبرية، ومن محاكمة إلى محاولة اغتيال. ومرض طال أمده، وهو في جميع هذه الظروف القاسية مشعل هداية لم يفتر، ومصدر عطاء فياض لم يتوقف، وكان لرسائله القوية أثرها الفعال في أتباعه وقرائها، وكانت بحق رسائل نور أنارت القلوب والأرواح، وكان النورسي بحق رجل القدر الذي تصدى للطغيان، ووقف أمام الظالمين يحذر من عاقبة الظلم والبعد عن دين الله، ويعلن كلمة الحق مدوية بلا وجل ولا تردد، حتى لحق بربه راضياً مرضياً، قرير العين.

أما **(رسائل النور)** حسنة النورسي الجارية، فقد كانت ساعده الأيمن في نشر دعوته الإصلاحية، وكان تلاميذه يسارعون إلى تلقفها ونسخها وتوزيعها مع ما

---

(1) من تقديم د. عبد الملك السعدي لرسالة محاكمات عقلية، انظر صيقل الإسلام، ص ١١.

(2) الشعاعات، ص٤٢٦.

(3) الشعاعات، ص٤١٠.

كانوا يعانون في سبيل ذلك من عقبات وقيود تصل إلى حد الاعتقال لمجرد قراءتها وتوزيعها[1]، ولم يثن ذلك من عزيمتهم شيئاً، مقتبسين من أستاذهم مقتدين به.

وكان إطلاق اسم (النور) على هذه الرسائل في محله، فموضوعاتها مستلهمة من القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه (نور) في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾[2].

وكثيراً ما تحدث النورسي عن الصلة بين القرآن الكريم ورسائل النور، مبيناً أن رسائل النور: قطرات من بحر القرآن، ورشحات من لمعاته، وتفسير له، وقبسات من أنواره وحقائقه، وإثبات لإعجازه، فمن ذلك قوله: «إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته»[3].

ويلحظ القارئ في رسائل النور هذا الأمر بوضوح فالنورسي في رسائله قد يفسر معنى الآية ويوضحه ، أو يعلق على الآية مستلهماً منها غارفاً من معينها، مقتبساً من أنوارها، أو يذكر الآية في افتتاح الرسالة لوجود صلة بينها وبين موضوع الرسالة، فمثلاً أثبت سورة الزلزلة في بداية ذيل الكلمة الرابعة عشرة؛ لأن موضوع الذيل الزلزال الذي حدث في تلك الأيام، ورغب النورسي أن يعلق على الحدث[4]، وافتتح رسالة الاقتصاد بقوله تعالى : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[5]، وافتتح المبحث الأول من المكتوب الثاني والعشرين، وهو مبحث يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة بثلاث آيات فيها الدعوة إلى الأخوة والمحبة[6].

---

(1) الشعاعات، ص٦٠٠ و ٦٠٢ و ٦٠٧ و ٦١٥ – ٦١٨ وغيرها.

(2) النساء، آية ١٧٤.

(3) الملاحق ص٢٢٠ ، وانظر: الكلمات، ص٨٣٢، والمكتوبات، ص٤٦٣ و ٤٧٦، والشعاعات، ص٩٥ و ١٨٠ و٢١٤ و ٢٢٥ و ٤٧٠ و ٥٠٣ و ٦٨٤ ، والمثنوي، ص١٥٦.

(4) الكلمات، ص١٩٥.

(5) اللمعات، ص٢١١، وسورة الأعراف الآية: ٣١.

(6) المكتوبات، ص٣٣٩.

ومثل هذا في رسائل النور كثير، وقد يذكر الآية أو الآيات في افتتاح الرسالة دون وجود صلة بين موضوع الرسالة والآية المذكورة في أولها، وقد تخلو بعض الرسائل من الافتتاح بآية، كما أنه كان يختم رسائله بآية أو آيات لها صلة بما تحدث عنه سابقاً أو تحتوي على دعاء، ومن الآيات التي كان يكثرُ من استعمالها في فواتح ونهايات رسائله قوله تعالى: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[1]، وقوله: ﴿وإن من شيء إلا يُسبح بحمده﴾[2].

المبحث الأول

علوم القرآن في رسائل النور

يجدُ القارئ في رسائل النور عدداً من مباحث علوم القرآن متفرقة بين ثنايا الرسائل التي ألّفها النورسي بقصد الهداية والتذكير والإرشاد وإيقاظ الإيمان في النفوس، فلم يكن هدف الرسائل البحث في جزئيات علوم القرآن أو التفسير، ولكنه كان يذكر ما يلزم المقام أو يستدعي السياق ذكره منها، وفيما يلي مباحث علوم القرآن التي وجدتها في رسائل النور:

١- **تعريف القرآن:** حين أراد النورسي التعريف بالقرآن لم يذكر التعريف الشائع له. بل اتجه اتجاهاً مميزاً في ذلك، وذكر تعريفاً مطولاً، يفهم القارئ من خلاله إرادة النورسي توضيح مهمة القرآن ومنزلته العظيمة، ولفت الأنظار إلى محتوياته ووظيفته، وعباراته في هذا التعريف غاية في الدقة والجودة، ولذا سأوردها دون التعليق عليها، قال:

---

(١) البقرة، آية ٣٢، ومن اللطيف أن النورسي كان قد توقف في تفسيره (بإشارات الإعجاز) عند بداية هذه الآية.

(٢) الإسراء، آية ٤٤.

«هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم، وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المسخرة في سطور الحادثات، وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية، وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي، وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه، وكذا هو مرب للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلق البشر له، وكذا هو للإنسان كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب رحمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، وللمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل.»[1].

٢- **فضائل القرآن:** قارن النورسي في عدد من المواضع في رسائله بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة له، بهدف إظهار معجزته الخالدة وتفوقه وفضله الكبير عليها، واستشهد بنصوص متعددة منها تبشر ببعثة الرسول محمد ﷺ، ولم يفته التذكير بحصول التحريف فيها[2]. كما بين النورسي الفرق الواضح والبون الشاسع بين القرآن الكريم، وبين حكمة الفلاسفة وعباراتهم،

---

(١) المثنوي، ص ٦٩ و ٧٠، والمكتوبات، ص ٢٦٧، وإشارات الإعجاز، ص ٢٢ ، والكلمات، ص ٢٧٤، وفي ص ٤٢٢ بدل الجملة الأخيرة هنا : «حتى كأنه مجموعة الرسائل» جملة: «فهذا الكتاب السماوي أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب».

(٢) الكلمات، ص ١٤٦-١٤٨ ، والمكتوبات، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ، والمثنوي، ص ٤٦٣.

وأن القرآن يتفوق على جميع عبارات الحكماء والفلاسفة بل إنه لا مجال للمقارنة بينهما أصلاً، ولكنه أراد أن يقنع قارئ رسائله الذي قد يكون متأثراً بكلام الحكماء والفلاسفة بالفرق الهائل بين «ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل»[1].

٣- **المكي والمدني:** تحدث النورسي عن الفرق بين أسلوب وبلاغة الآيات المكية والآيات المدنية، وعن الحكمة منه قائلاً: « أما حكمة اختلاف السور المكية عن المدنية من حيث البلاغة، ومن جهة الإعجاز، ومن حيث التفصيل والإجمال فهي على النحو الآتي:

إن الصف الأول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش، وهم أميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة أسلوباً عالياً قوياً وإجمالاً معجزاً مقنعاً، وتكراراً يستلزمه التثبيت في الأفهام، لذا بحثت أغلب السور المكية أركان الإيمان ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو، وبإيجاز في غاية الإعجاز، وكررت الإيمان بالله والمبدأ والمعاد والآخرة كثيراً، بل قد عبرت عن تلك الأركان الإيمانية في كل صحيفة أو آية، أو في جملة واحدة، أو كلمة واحدة، بل ربما عبرت عنها في حرف واحد، في تقديم وتأخير، في تعريف وتنكير، في حذف وذكر، فأثبتت أركان الإيمان في أمثال تلك الحالات والهيئات البلاغية إثباتاً جعل علماء البلاغة وأئمتها يقفون حيارى مبهورين أمام هذا الأسلوب المعجز.

أما الآيات المدنية وسورها، فالصف الأول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقاً لواقع حالهم، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس، مع بيان وتوضيح في الجزئيات – دون الأصول والأركان (الإيمانية) – لأن تلك الجزئيات هي منشأ الأحكام الفرعية والقوانين الكلية، ومدار الاختلافات في الشرائع والأحكام...

---

(١) الكلمات، ص ١٥١، وانظر ص ١٤١ – ١٥٠، والمكتوبات، ص٢٦٨ – ٢٧٠، والمثنوي ٤٥٦– ٤٥٧.

لذا فغالباً ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم...»[1].

ففي هذا النص مقارنة بين الأسلوبين، وبيان ميزة كل من الآيات المكية والمدنية، ولم يقصد النورسي إجراء مقارنة شاملة بين المكي والمدني من الآيات، إنما اقتصر على أمر واحد هو : الأسلوب والبلاغة ، وقد أجاد في هذه المقارنة.

٤- **أسباب النزول:** النورسي مقلّ جداً من ذكر أسباب النزول، بل لم يذكر في رسائله إلا سبب نزول واحد في رسالة المعجزات الأحمدية، عند ذكره عدداً من الحوادث تدل على معجزة عصمة الله تعالى لرسوله ﷺ، وحفظه له من الناس مصداقاً لقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾[2] قال: «الحادثة الرابعة: روى أئمة الحديث برواية مشهورة قريبة من التواتر، وذكر أكثر علماء التفسير أن سبب نزول الآية الكريمة : ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يُبصرون﴾[3] أن أبا جهل أقسم لئن أرى محمداً ساجداً لأضربنه بهذه الصخرة، فجاءه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده وبيست يداه إلى عنقه، وبعد أن أتم الرسول ﷺ صلاته انصرف، وانطلقت يد أبي جهل إما بدعائه ﷺ أو لانتفاء الحاجة»[4].

ولعل السبب في ذلك أن منهج النورسي في التعليق على الآيات، واستنباط وجوه الهداية والإعجاز، ولفت أنظار الناس إلى أهمية الإيمان وإيقاظه في نفوسهم، لم يكن يحتاج معه إلى الإكثار من إيراد أسباب النزول . والله أعلم.

---

(١) الشعاعات، ص ٣٠٨ و ٣٠٩.

(٢) المائدة، ص ٦٧.

(٣) يس، آية ٨ و ٩.

(٤) المكتوبات، ص٢١٣ ، وفي ص ٢١٨ أشار المحقق إلى صحة الرواية بسياق آخر رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٩٧)، أما هذا السياق فرواه ابن إسحاق وأبو نعيم في الدلائل والطبراني والقاضي عياض في الشفاء أ. هـ. قلت: والحادثة مذكورة في كتب التفسير بسياق قريب انظر الطبري ١٥٢/١٠ ، والقرطبي ٧/١٥، وأبا السعود ١٦١/٧.

٥- **ترجمة القرآن:** تعرض النورسي للحديث عن ترجمة القرآن في أكثر من موضع في رسائله، وكان يبين في هذه المواضع عدم إمكانية ترجمة القرآن ترجمة حرفية، وذكر في أحد المواضع عدداً من الآيات الكريمة التي لا يمكن ترجمتها حرفياً لما فيها من وجوه البلاغة في أعلى درجاتها. وقال: «فهل يمكن -يا ترى- ترجمة أمثال هذه الآيات الكريمة ترجمة حقيقية، لا شك أنها غير ممكنة، فإن كان ولا بد، فإما أن تُعطى معاني إجمالية مختصرة للآية الكريمة، أو يلزم تفسير كل جملة منها في حوالي ستة أسطر»[1]. وحين تناهى إلى سمعه دعوة أحد الخبثاء لترجمة القرآن انبرى للرد عليه وكشف ضلاله، وقد تحدث النورسي عن ذلك في خاتمة الشعاع الحادي عشر حيث قال: «طرق سمعي قبل اثنتي عشرة سنة، أن زنديقاً عنيداً، قد فضح سوء طويته وخبث قصده بإقدامه على ترجمة القرآن الكريم، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته، وصرّح قائلاً: ليترجم القرآن لتظهر قيمته، أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلاً منه! إلى آخره من الأفكار السامة، إلا أن رسائل النور بفضل الله قد شلت تلك الفكرة، وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة، وبانتشارها الواسع في كل مكان، فأثبتت إثباتاً قاطعاً أنه لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية، وإن أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكته البلاغية اللطيفة، وإن الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحل -بأي حال- محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرف من حروفها حسنات تتصاعد من العشرة إلى الألف، لذا لا يمكن مطلقاً تلاوة الترجمة بدلاً منه».[2]

والنورسي في موقفه هذا، موافق لجمهور العلماء الذين وقفوا أمام القول بترجمة القرآن ترجمة حرفية موقفاً صارماً يرى عدم إمكانية ذلك، مع إجازتهم ترجمة معاني الآيات[3].

---

(١) المكتوبات، ص ٥٠٥، وانظر ص ٤٣٩

(٢) الشعاعات، ص ٣١٥.

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ١١٤/٢ والمعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص ٥٨٨ - ٥٩١.

٦- **إعجاز القرآن:** أفرد النورسي للحديث عن إعجاز القرآن (الكلمة الخامسة والعشرين) وسمّاها رسالة المعجزات القرآنية، كما تحدث عن الإعجاز في مواضع غير قليلة في رسائله، وجعل كتابه القيم **(إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز)** تفسيراً للقرآن الكريم يطبق من خلاله نظرية النظم تطبيقاً عملياً على الآيات؛ حيث يبين نظم الآية بما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة، إلا أنه توقف في تفسيره القيم هذا عند الآية الحادية والثلاثين من سورة البقرة ولم يتمه.

وقد تفاوتت عبارات النورسي في عدد أوجه إعجاز القرآن، ففي حين يذكر في بعض المواضع أنها عشرة[١]، يذكر في مواضع أخرى أنها سبعة[٢]، وفي غيرها أنها أربعون[٣] وفي مواضع أخرى أنها أكثر من ذلك[٤]، وبعد التأمل في هذه العبارات يمكن استخلاص أن النورسي حين يذكر أنها سبعة أو عشرة يقصد الوجوه العامة الرئيسة، وحين يذكر أنها أربعون يقصد بها الوجوه التفصيلية الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الوجوه العامة، أما حين يذكر أنها مئات الوجوه أو لا تُعدُّ ولا تُحصى، يقصد أنواعاً فرعية غاية في الدقة واللطافة يمكن أن تندرج جميعاً تحت نوع واحد، وحين يتحدث النورسي عن وجوه الإعجاز الكلية يجعل أولها وأظهرها النظم القرآني البديع[٥].

وذهب النورسي إلى قضية (التناسق اللفظي والعددي) بين عدد من ألفاظ القرآن الكريم أحد وجوه إعجازه[٦]، إلا أن ما أورده النورسي في هذا الأمر لم يسلم من الإعتراض والمناقشة والتتبع بما يثبت عدم دقة الأرقام المذكورة فيه[٧]، ولذا فإني أرى أن لا يُعدُّ التناسق اللفظي والعددي من وجوه إعجاز القرآن.

---

(١) اللمعات، ص ٤٠.

(٢) إشارات الإعجاز، ص ٦٤، والكلمات، ص ٥٢٢.

(٣) الكلمات، ص ٥٣١ ، والمكتوبات، ص ٥٢٢.

(٤) اللمعات، ص ٤٩، والمكتوبات، ص ٥٢٢.

(٥) الكلمات ٨٨١، وإشارات الإعجاز، ص ٢٣ و ١١٣ و ١٧٩.

(٦) انظر: المكتوبات، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ و ٤٨٩ و ٤٩٤ و ٥٢٢ – ٥٢٧.

(٧) يراجع بحثي : (آراء النورسي في وجوه إعجاز القرآن الكريم) مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث عن بديع الزمان سعيد النورسي.

وللنورسي بحث لطيف في معجزات الأنبياء السابقين فهو يراها تدعو إلى التأمل فيها والتعلم منها، واستلهام المخترعات والمكتشفات منها، والاجتهاد في الوسائل التي توصل إلى أشباهها[1]، ومن كلامه في توضيح هذه الفكرة قوله مثلاً ﴿ولسليمان الريح غدوُّها شهر ورواحُها شهر﴾[2] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له؛ أي أنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد، فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء، فيا أيها الإنسان، حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسعَ للدنو من هذه المنزلة ما دام الطريق ممهداً أمامك، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبداً من عبادي ترك هوى نفسه فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان، إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء.

ومثلاً : ﴿فقلنا إضرب بعصاكَ الحجر فانفجرت منهُ اثنتا عشرة عيناً﴾[3] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشيرُ إلى أنه يمكن الإستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه، فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: «ما دمت أسلم بيد عبد يعتمد عليَّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، فهيا اسعَ لتجد تلك الآلة..... »[4].

---

(1) إشارات الإعجاز، ص ٢٣٨ ، والشعاعات، ص ٤٣١.

(2) سبأ، آية ١٢

(3) البقرة، آية ٦٠.

(4) الكلمات، ص ٢٨٠.

كما ذكر من معجزات الأنبياء السابقين : إبراء الأكمه والأبرص وتليين الحديد وإذابة النحاس، وإحضار الأشياء من مسافات بعيدة، وتسخير الجن والشياطين في أمور نافعة، وغيرها[1].

وبعد هذا العرض لمباحث علوم القرآن في رسائل النور يتبين لنا أن النورسي لم يذكر جميع مباحث علوم القرآن، حيث اكتفى منها بما يخدم هدف رسائله، وما تستدعي مادة كتابته أن يعرض له، ولذا أطال الحديث في إعجاز القرآن وفصل في الحديث عنه فهو أقرب مباحث علوم القرآن لموضوع رسائل النور، ويمكن بواسطته إقناع الكثيرين بعظمة القرآن وصلاحيته لجميع العصور، وكان النورسي حريصاً على بيان أن لكل طبقة من الناس حظها من الإعجاز[2]، ترغيباً للجميع أن يقبلوا على القرآن ويحملوا رايته ويكونوا من أهله العاملين بما فيه.

---

(1) الكلمات، ص ٢٨٦ – ٢٩٠.

(2) المكتوبات، ص ٢٣٨ – ٢٤٠.

المبحث الثاني

التفسير في رسائل النور

يمكن تقسيم المواضع التي عرض فيها النورسي لتفسير القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: المواضع التي تشتمل على تفسير خالص، قصد فيها تفسير سورة أو آيات، ولم يخالط كلامه في التفسير في هذه المواضع موضوعات أخرى، وهذه المواضع هي: كتاب إشارات الإعجاز، وتفسير سورة الفاتحة[1].

الثاني: المواضع التي تشتمل على التفسير وغيره، وقد يكون مقصوده الأول في هذه المواضع البحث في التفسير، إلا أنه يستطرد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزءاً يسيراً منها. وقد يكون التفسير في هذه المواضع عارضاً بأن تذكر آية فيتم توضيحها، أو أن يستشهد بمعنى الآية على فكرة.

والنورسي لم يقصد تفسير القرآن آية آية، وإن كان قد شرع فيه في إشارات الإعجاز، إلا أنه اتجه بعد تفسير عدد قليل من الآيات اتجاهاً آخر، وانتقل إلى أسلوب مغاير تماماً، لم يلتزم فيه بتفسير ألفاظ القرآن الكريم كلها، أو بالسير على ترتيب المصحف في حديثه عن الآيات، ولكنه كان دائم الاستشهاد بها وهي محور جميع رسائل النور ومنطلق أفكارها، ولذا فقد كان النورسي دقيقاً حين عبر عن رسائله بأنها رشحات، ولمعات، وشعاعات، وقبسات من أنوار القرآن الكريم وفيوضاته .

وفي النقاط التالية أهمّ القضايا التي بحثها النورسي أو أكد عليها أو اعتنى بها في رسائله مما له علاقة بتفسير الآيات:

١- التزم النورسي في كتابه **«إشارات الإعجاز»** طريقة واحدة في التفسير فقد كان يبدأ بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية أو الآيات، وقد يتركها أحياناً، ثم يبين معنى الآية، وقد يقتصر على معنى واحد، وقد يذكر أقوالاً متعددة دون أن ينسبها إلى قائليها ولا يرجح بينها، واستعمل أسلوب الفنقلة في بعض المواضع،

---

[1] الشعاعات، ص ٦٤١ - ٦٥٣.

وقد يطيل الحديث في مباحث مقتبسة من الآية أو لها صلة بها، ثم يبين نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة.

كل هذا بعبارات سلسة مترابطة، وأسلوب أخاذ مؤثر وحجة قوية دامغة.

٢- بحث النورسي في أكثر من موضع في خواتيم الآيات وسماها (فذلكة نهايات الآيات) والحكمة من وجودها، ودلالاتها فبين أولاً أن هذه الفذلكات أو الخلاصات «إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكير والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها»[١].

فقد تكون هذه الفذلكات تعقيباً على حادثة جزئية فرعية، تجعل من تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة[٢]، وقد تكون تعقيباً على أفعال الخلق التي لا تستحق إلا العقاب بذكر الرحمة تسلية وتأنيساً[٣].

ثم ذكر أمثلة متعددة تؤكد ما قرره، وتبين للقارئ أهمية هذه الفذلكات ودورها الكبير في توضيح المراد.

وسأكتفي هنا بإيراد بعض أمثلته، فمنها قوله:

«إن القرآن قد يذكر الجزئيات المادية المعرضة للتغير، والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال، ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية وكلية وثابتة، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والاعتبار.

ومن أمثلة المعنى الأول ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا

---

(١) الكلمات، ص ٤٨٣.

(٢) الشعاعات، ص ٣٠٩ وانظر المثنوي، ص ٤١٠ و ٤٦٢.

(٣) المثنوي، ص ٣٣٩ و ٤٦٢، وفي رسالة المعجزات القرآنية عشر إشارات من إشارات كثيرة جداً لهذه الفذلكات أجاد فيها النورسي ومثل لها (انظر الكلمات، ص ٤٨٣ - ٥٠٠).

إنك أنت العليم الحكيم﴾[1] هذه الآية تذكر أولاً حادثة جزئية هي: أن سبب تفضيل آدم في الخلافة على الملائكة هو العلم، ومن بعد ذلك تذكر حادثة مغلوبية الملائكة أمام سيدنا آدم في قضية العلم، ثم تعقب ذلك بإجمال هاتين الحادثتين بذكر اسمين كليين من الأسماء الحسنى ﴿أنت العليم الحكيم﴾ بمعنى أن الملائكة يقولون: أنت العليم يا رب فعلّمت آدم فغلبنا، وأنت الحكيم فتمنحنا كل ما هو ملائم لاستعدادنا، وتفضله علينا باستعداداته.

ومن أمثلة المعنى الثاني : ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون* ﴾[2] تعرض هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الشاة والمعزى والبقر والإبل، وأمثالها من المخلوقات، ينابيع خالصة زكية لذيذة تدفق الحليب، وجعل سبحانه العنب والتمر وأمثالهما، أطباقاً من النعمة وجفاناً لطيفة لذيذة، كما جعل من أمثال النحل – التي هي معجزة من معجزات القدرة – العسل الذي فيه شفاء للناس إلى جانب لذته وحلاوته، وفي خاتمة المطاف تحث الآيات على التفكر والاعتبار، وقياس غيرها عليها بـ ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ »[3].

و«إن شئت فانظر إلى ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾، ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾، ﴿وهو العزيز الرحيم﴾[4]، وأمثالها من الآيات التي تفيد التوحيد وتذكّر بالآخرة، والتي تنتهي بها أغلب الآيات الكريمة، تر أن القرآن الكريم عند بيانه الأحكام الشرعية الفرعية، والقوانين الإجتماعية، يرفع نظر المخاطب إلى آفاق كلية سامية، فيبدل –بهذه الفواصل الختامية – ذلك

---

(1) البقرة، آية ٣١ و ٣٢.

(2) النحل، آية ٦٦ – ٦٩.

(3) الكلمات، ص ٤٨٩.

(4) من مواضعها : البقرة، آية ٢٠ ، الأنفال، آية ٧٥، إبراهيم، آية ٤، الروم، آية ٥ على الترتيب.

الأسلوب السهل الواضح السلس أسلوباً عالياً رفيعاً، كأنه ينقل القارئ من درس الشريعة إلى درس التوحيد. فيثبت أن القرآن كتاب شريعة وأحكام وحكمة، كما هو كتاب عقيدة وإيمان، وهو كتاب ذكر وفكر كما هو كتاب دعاء ودعوة، »[1]....

وكلام النورسي هذا يدل على علم غزير، وتأمل دقيق في الآيات، وفهم جليل للحكمة من تذييل الآيات بتلك الفذلكات، وهو أمر قل أن يتنبه إليه المفسرون أو أن يلتفتوا إليه، وقد توجد إشارات منه عند بعضهم كالبقاعي والألوسي وغيرهما.

٣- حرص النورسي على أن يَردَّ على الشبه والإشكالات التي تثار على الآيات، وعلى التوفيق بين موهم الخلاف والتناقض بين الآيات، بردود قوية مفحمة عميقة لا تبقي لتلك الشبه أو التوهمات أي بقية، وتقتلعها من جذورها ومن الشبه التي حرص النورسي على ردّها: زعم أن التكرار في الآيات القرآنية نقص في بلاغته، فبيّن في رده أن تكرار بعض الأمور في القرآن له حكم وفوائد عظيمة. وأن ما قد يتوهمه بعضهم من تكرار ليس كذلك لاختلاف أحكام الآيات ومقاصدها، وإليك كلامه عن التكرار في أحد المواضع:

«إعلم، أن القرآن لأنه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون؛ إذ الذكر يُكرر، والدعاء يُردد، والدعوة تُؤكد؛ إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد.

وإعلم أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره؛ لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فسّهل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

---

[1] الشعاعات، ص ٣٠٩.

إعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، كذلك الحاجات المعنوية الإنسانية أيضاً مختلفة في الأوقات، فإلى كل قسم في كل آن كـ (هو الله) للروح – كحاجة الجسم إلى الهواء– وإلى قسم في كل ساعة كـ (بسم الله) وهكذا فقس، فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرار الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه ، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

إعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها، وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الأقوال والأحوال، ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

إعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بدّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

اعلم أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً[1]، ولكل قصة وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر، وهكذا، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة»[2].

وردّ النورسي على شبهة أن القرآن يذكر قصصاً وحوادث جزئية مثل قصة ذبح البقرة، فما الداعي لذكرها وهي مجرد قصة قديمة وحادثة جزئية، وقد ذكرت في القرآن ضمن هالة من الأوصاف حتى تسمت السورة باسم البقرة، وبعد أن ردّ على شبهة قصة البقرة بالذات قرر قاعدة عامة للقصص الأخرى التي يمكن أن تشبهها، وفيما يلي كلامه في الرد على هذه الشبهة:

---

(1) الكلمات، ص ٤٥١، والملاحق، ص ٦٠.
ورد في هامش الكلمات، ص٤٥١، والملاحق، ص ٦٠ أن هذه العبارة جزء من قيمة حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) في رواية عند الطبراني بنص : لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع (باختصار عن كشف الخفاء، ٢٠٩/١). إنتهى، وقد حكم المحدث أحمد محمد شاكر على رواية الطبري لهذا الحديث بالضعف، وفي الرواية لكل حرف وليس «لكل آية» (ر: تفسير الطبري بتحقيق محمود محمد شاكر، وتخريج أحمد محمد شاكر ٢٢/١).

(2) المكتوبات، ص ٢٦٧ و ٢٦٨ ، وانظر الكلمات، ص ٢٦٥، والشعاعات، ص ٣٠٢ – ٣٠٨ و ٣١٣، والمثنوي، ص ٧٠ و ١٩٠.

«من المعلوم أن أراضي مصر جرداء قاحلة؛ إذ هي جزء من الصحراء الكبرى، إلا أنها تدّر محاصيل وفيرة ببركة نهر النيل، حتى غدت كأنها مزرعة تجود بوفير المحاصيل، لذا فإن وجود مثل هذه الجنة الوارفة بجنب تلك الصحراء التي تستطير ناراً جعل الزراعة والفلاحة مرغوبة فيها لدى أهل مصر، حتى توغلت في طبائعهم، بل أضفت تلك الرغبة الشديدة في الزراعة نوعاً من السمو والقدسية، كما أضفت بدورها قدسية على واسطة الزراعة من ثور وبقر، حتى بلغ الأمر أن منح أهل مصر -في ذلك الوقت- قدسية على البقر والثور إلى حد العبادة، وقد ترعرع بنو إسرائيل في هذه المنطقة وبين أحضان هذه البيئة والأجواء، فأخذوا من طبائعهم حظاً، كما يفهم من حادثة «العجل» المعروفة. وهكذا يعلمنا القرآن الكريم بذبح بقرة واحدة أن سيدنا موسى عليه السلام قد ذبح برسالته مفهوم عبادة البقر، ذلك المفهوم الذي سرى في عروق تلك الأمة، وتنامى في استعداداتهم، فالقرآن الكريم إنما يبين بهذه الحادثة الجزئية بياناً معجزاً، دستوراً كلياً ، ودرساً ضرورياً في الحكمة يحتاجه كل أحد في كل وقت.

فافهم قياساً على هذا أن الحوادث الجزئية المذكورة في القرآن الكريم على صورة حوادث تأريخية، إنما هي طرف وجزء من دساتير كلية شاملة ينبئ عنها... »[1].

كما رد النورسي على شبهة أثارها بعض الملحدين بقولهم : إلى متى نرفع أكفنا وندعو، وهو على كل شيء قدير؟ أي أنهم يشككون بقدرة الله تعالى وقد كان ردّ النورسي على هذه الشبهة بإثبات عظمة الله تعالى من خلال التدبر في آياته الكونية وفي خلقه مفتتحاً الرد بقوله سبحانه ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[2]، وقد أطال النورسي في الرد[3]، مظهراً من خلاله التناسق الجميل، والتوافق التام بين كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور.

---

(1) الكلمات، ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(2) فصلت، ص ٥٣.

(3) الكلمات، ص ٧٨٢ - ٨٣٣ الكلمة الثالثة والثلاثون، وهي المكتوب الثالث والثلاثون أيضاً، وتتكون من ثلاث وثلاثين نافذة، كان اختيار النورسي لهذا الرقم تبركاً بالأذكار التي تأتي عقب الصلوات الخمس.

ورد النورسي على شبهة تتعلق بحادثة انشقاق القمر المذكورة في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[1] إذ جنح قوم إلى إنكارها بقولهم: لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم ولذكرته كتب التاريخ كلها.

وكان جواب النورسي على هذه الشبهة قوياً ومباشراً، لم يدع فيه مجالاً لمرتاب ولا حجة لطاعن، قال فيه: «إن إنشقاق القمر معجزة لاثبات النبوة، وقعت أمام الذين سمعوا بدعوة النبوة وأنكروها، وحدثت ليلاً في وقت تسود فيه الغفلة، وأظهرت آنياً، فضلاً عن أن اختلاف المطالع ووجود السحاب والغمام وأمثالها من الموانع تحول دون رؤية القمر، علماً أن أعمال الرصد ووسائل الحضارة لم تكن في ذلك الوقت منتشرة، لذا لا يلزم أن يرى الانشقاق كل الناس، في كل مكان، ولا يلزم أيضاً أن يدخل كتب التاريخ...

ثم إنه في ذلك الوقت: كانت سحب الجهل تغطي سماء إنكلترا، والوقت على وشك الغروب في أسبانيا، وأمريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفس في الصين واليابان، وفي غيرها من البلدان هناك موانع أخرى للرؤية فلا تشاهد هذه المعجزة العظيمة فيها، فإذا علمت هذا فتأمل في كلام الذي يقول: «إن تاريخ إنكلترا والصين واليابان وأمريكا وأمثالها من البلدان لا تذكر هذه الحادثة، إذن لم تقع!» أي هذر هذا.. ألا تباً للذين يقتاتون على فتات أوروبا»[2]. كما رد النورسي على شُبَهٍ أخرى أثيرت حول القرآن الكريم[3]. أما التوفيق بين موهم الخلاف من الآيات، فقد عرض له النورسي في مواضع محدودة من رسائله، ومن ذلك توفيقه بين قوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾[4]، وقوله ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[5]، ببيان اختلاف طبائع البشر واستعداداتهم، فمنهم

---

(1) القمر، آية ١.

(2) الكلمات، ص ٧٠٢ و ٧٠٤ والمكتوبات، ص ٢٧١ و ٢٧٣.

(3) انظر: الكلمات، ص ٢٩٣ و ٥٨٥ و ٧٢٨ و ٧٣٧، والمكتوبات، ص ٤٠١ و ٤٠٧، والشعاعات، ص ٢٩٤، وإشارات الإعجاز ٢٢٣، والمثنوي، ص ٤٠١.

(4) الإسراء، آية ٧٠.

(5) الأحزاب، آية ٧٢.

من يرقى بخصاله الحميدة حتى يبلغ مرتبة الأنبياء والصديقين، ومنهم من يرضى بإلحاق الضرر بآلاف الناس في سبيل منفعة ذاتية، وكل إنسان جاهل كل ما يخص الحياة ويلزمها، ومضطر إلى تعلم كل شيء فهو (جهول) لأنه محتاج إلى ما لا يجد من الأشياء...»[1].

٤- كان النورسي يميل إلى القول بجميع ما تحتمله الآية من معانٍ، وهذا واضح في عدد من المواضع في رسائله، فأثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾[2] بيّن جواز جميع ما تحتمله من معان : «ابتداءً من بحر الربوبية في دائرة الوجوب، وبحر العبودية في دائرة الإمكان، وانتهاءً إلى بحري الدنيا والآخرة، وإلى بحري عالم الشهادة وعالم الغيب، وإلى البحار المحيطة في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، إلى بحر الروم وبحر فارس، والبحر الأبيض والأسود – وإلى المضيق بينهما الذي يخرج منه السمك المسمى بالمرجان – وإلى البحر الأبيض والبحر الأحمر وقناة السويس، وإلى بحار المياه العذبة والمالحة، وإلى بحار المياه الجوفية العذبة المتفرقة، والبحار المالحة التي على ظهر الأرض المتصل بعضها ببعض، وما يسمى بالبحار الصغيرة العذبة من الأنهار الكبيرة كالنيل ودجلة والفرات، والبحار المالحة التي يختلط معها.

كل هذه الجزئيات موجودة ضمن معاني تلك الآية الكريمة، وجميع هذه الجزئيات تصح أن تكون مرادة ومقصودة، فهي معان حقيقية للآية الكريمة ومعان مجازية»[3].

وعند تأمله في إطلاق لفظ (الصالحات) في القرآن الكريم دون تقييده بعمل أو قول معين، تبين له أن هذا الإطلاق مقصوده حمل اللفظ على أعم معانيه، وأن كل عمل صالح يندرج تحت هذا اللفظ، إلا أن الحكم على عمل ما بأنه صالح أوغير صالح أمر نسبي، يحصل فيه الاختلاف بسبب تغير المكان والزمان

---

(١) المكتوبات، ص ٤٢٦، ٤٢٧، وانظر الكلمات، ص ٢١٤ و ٢١٦.

(٢) الرحمن، آية ١٩و ٢٠.

(٣) المكتوبات، ص ٤٢٢ و ٤٢٣.

والجهة والصنف، ولما كان القرآن الكريم خطاباً إلهياً شاملاً لجميع طبقات الجن والإنس ولكل العصور، والأحوال والظروف كافة، «وحيث أن الحسن النسبي والخير النسبي كثير جداً، فإن إطلاق القرآن إذن في (الصالحات) إيجاز بليغ لإطناب طويل، وإن سكوته عن بيان أنواع الصالحات كلام واسع»[1].

إلا أن النورسي اقتصر في مواضع من رسائله على معنى واحد مما يمكن أن تحتمله الآية ولم يذكر غيره، وذلك لأن هذا المعنى هو الذي يرجحه، وهو الذي يوصل إلى المعنى الذي يريده، أو يناسب سياق كلامه، مثال ذلك أنه عندما قارن بين ما ورد في القرآن الكريم من صفة الصحابة الكرام، وما ورد في التوراة والإنجيل من صفتهم اقتصر في تفسير قوله تعالى لـ ﴿والذين معه﴾[2] انها تدل على أبي بكر الصديق، و﴿أشداء على الكفار﴾ تدل على عمر، و﴿رحماء بينهم﴾ تدل على عثمان، و﴿تراهم ركعاً سجداً...﴾ تشير إلى علي، فالآية تشير إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي ﷺ بعد وفاته، كما تشير إلى أبرز صفة خاصة بكل منهم مما اشتهروا به[3].

فالنورسي هنا لم يحمل المعنى على العموم بل اقتصر على ما يراه موصلاً إلى ما يريد في هذا الموضع. كما اقتصر في تفسير ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القُربى﴾[4] على قول واحد فقط هو : إلا محبة آل بيت النبي ﷺ[5].

ومن أمثلة اختيار النورسي للمعنى الذي يراه أرجح والتأكيد عليه دون سواه، قوله في تفسير الآية ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾[6] بأن هؤلاء الولدان الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ، ولم يكونوا يؤدون الفرائض الشرعية ندباً –حيث لم تفرض عليهم– أما الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ وكانت

---

(1) صيقل الإسلام، ص ٣٣٤.

(2) الفتح، آية ٢٩.

(3) اللمعات، ص٤٢ و٤٣، وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية: زاد المسير، ابن الجوزي، ٤٤٥/٧ و٤٤٦.

(4) الشورى، آية ٢٣.

(5) اللمعات، ص٣١ وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية : زاد المسير لابن الجوزي ٢٨٤/٧ و ٢٨٥.

(6) الواقعة، آية ١٧.

أعمارهم بين السابعة والبلوغ، وكانوا يؤدون الفرائض ندباً سيكونون في الثالث والثلاثين من العمر ليجازوا كالكبار الملتزمين بالدين[1].

واقتصار النورسي على هذا المعنى دون غيره ليحث الآباء على الاعتناء بأبنائهم وترغيبهم في أداء الفرائض وهم دون البلوغ، ولحث الأبناء على الالتزام بأداء الفرائض ابتداءً من سن السابعة لينشأوا على الالتزام وحب العبادة والتمسك بها.

٥- للنورسي استنباطات لطيفة من الآيات، وتعليقات جميلة عليها، واختيارات في معنى الآية، وخواطر شخصية وانفعالات، كل هذا ضمن عبارات وأسلوب شيق، وقد وجدت في رسائل النور مواضع كثيرة يمكن التمثيل بها لتأكيد هذه النقطة، وسأحاول الاختيار من بينها مع الإحالة إلى رسائل النور في باقيها.

أ) عند حديث النورسي عن الجزالة الخارقة في نظم القرآن، أورد مثالين لبيان نظم الكلمات المتعانقة لكل جملة والتي لا يصلح مكانها غيرها بتناسق وتكامل.

«المثال الأول: قوله تعالى : ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك﴾[2] هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول: فلفظ ﴿لئن﴾ هو للتشكيك، والتشكيك يوحي القلة، ولفظ (مس) هو إصابة قليلة، يفيد القلة أيضاً، ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي -مصدر المرة- فيفيد القلة، وتنوين التنكير في (نفحة) هي لتقليلها، بمعنى أنها شيء صغير إلى حدّ لا يعلم فينكر، ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة، ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال والعقاب، فيشير إلى القلة، ولفظ (ربك) بدلاً من : القهار، الجبار، المنتقم، فيفيد القلة أيضاً، وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الجملة أنه:

---

(١) الملاحق، ص ٣٤٧. وانظر الإشارة إلى هذا القول في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠٣/١٧.

(٢) الأنبياء، آية ٤٦.

إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكل يمد المقصد بجهته الخاصة. هذا المثال الذي سقناه يلحظ اللفظ والمقصد.

المثال الثاني: قوله تعالى : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] فهيئات هذه الجملة تشير إلى خمسة شروط لقبول الصدقة.

- **الشرط الأول:** المستفاد من (من) التبعيضية في لفظ (مما) أي: أن لا يبسط المتصدق يده كل البسط فيحتاج إلى الصدقة.
- **الشرط الثاني :** المستفاد من لفظ (رزقناهم)؛ أي: أن لا يأخذ من زيد ويتصدق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله بمعنى : تصدقوا مما هو رزق لكم.
- **الشرط الثالث:** المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) أي: أن لا يمن فيستكثر، أي لا منة لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، وتنفقون من مالي على عبدي.
- **الشرط الرابع:** المستفاد من (ينفقون) أي: ينفق على من يضعه في حاجاته الضرورية ونفقته، وإلا فلا تكون الصدقة مقبولة على من يصرفها في السفاهة.
- **الشرط الخامس:** المستفاد من (رزقناهم) أيضاً؛ أي يكون التصدق باسم الله؛ أي: المال مالي، فعليكم أن تنفقوه باسمي.

ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق؛ إذ كما أن الصدقة تكون بالمال تكون بالعلم أيضاً، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير إلى هذه الأقسام كلمة (ما) التي في (مما) بعموميتها، وتشير إليها في هذه الجملة بالذات، لأنها مطلقة تفيد العموم، وهكذا تفيد هذه الجملة الوجيزة –التي تفيد الصدقة– إلى عقل الإنسان خمسة شروط للصدقة مع بيان ميدانها الواسع وتشعرها بهيئاتها...»[2].

---

(1) البقرة، آية ٣

(2) الكلمات، ص ٤٢٦ – ٤٢٨ ، وانظر إشارات الإعجاز، ص ٤٥ و ٥٣، وصيقل الإسلام، ص ١٠٢.

ب) ذاق النورسي حلاوة طعم قوله تعالى : ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[1] في وقت كان يعاني فيه من ألوان الغربة، وأنواع المرض، وصراع بين نفسه التواقة للبقاء وعجزه وفقره، وإذا بهذه الآية الكريمة تمده من أنوارها ومراتبها القيمة بما يزيل كربه ويكشف غمه، وكتب عن تأملاته في هذه الآية وتبدل شعوره بسببها كلاماً جميلاً استوعب الشعاع الرابع[2].

جـ) للنورسي تعليق لطيف على قوله تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[3] من خلال وقائع حصلت له ولعدد من إخوانه وأتباعه استخلص منها، أنه كلما انشغل هو أو غيره بخاصة نفسه وترك خدمة القرآن أتاه تحذير من الله، على صورة لطمة تأديب رحيمة أو صفعة عتاب رؤوفة ، فيسرع بجد لخدمة القرآن مرة أخرى، ولما أراد أن يذكر الأمثلة لتأييد كلامه بدأ بنفسه قال: «فالأول منهم هو هذا المسكين.. سعيد، فكلما انشغلت بما يعود خاصة نفسي بما يفتر عملي للقرآن، أو انهمكت في أموري الخاصة، وقلت: ما لي وللآخرين، أتاني التحذير وجاءتني اللطمة، لذا بت على يقين من أن هذه العقوبة لم تنزل إلا نتيجة إهمالي وفتوري في خدمة القرآن، لأنني كنت أتلقى اللطمة بخلاف المقصد الذي ساقني إلى الغفلة، ثم بدأنا مع الأخوة المخلصين نتابع الحوادث ونلاحظ التنبيهات الربانية، والصفعات التي نزلت بإخوتي الآخرين، فأمعنا النظر فيها، وتقصينا كلاً منها، فوجدنا أن اللطمة قد أتتهم مثلي حيثما أهملوا العمل للقرآن، وتلقوها بضد ما كانوا يقصدونه، لذا حصلت لدينا القناعة التامة بأن تلك الحوادث والعقوبات إنما هي كرامة من كرامات خدمة القرآن ... »[4]، ثم ذكر أنه كلما انشغل بخدمة القرآن وتعليمه لم يتعرض للأذى والملاحقة، وكلما فكر بأمر نفسه وترك إفادة غيره تعرض للنفي أو للمراقبة والتضييق «وكنت فيها – أي بارلا– كلما أصابني الفتور في العمل للقرآن، واستولى عليَّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي، كان أحد

---

(1) آل عمران، آية ١٧٣.

(2) الشعاعات، ص ٦٨ – ١٠١.

(3) آل عمران، آية ٣٠.

(4) اللمعات، ص ٦٧.

ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ، وأحد المنافقين يتعرض لي..»[1] ثم ذكر حوادث مماثلة تعرض لها إخوانه في خدمة القرآن[2]. وختم كلامه بالإجابة على تساؤل يقول: «إنك تعدُّ المصائب التي تصيب إخوانك الخواص وأصدقاءك تأديباً ربانياً ولطمة عتاب لفتورهم عن خدمة القرآن، بينما الذين يعادون خدمة القرآن ويعادونكم يعيشون في بحبوحة من العيش، وفي سلام وأمان، فَلِمَ يتعرض صديق القرآن للطمة، ولا يتعرض عدوه لشيء؟

الجواب: يقول المثل الحكيم : (الظلم لا يدوم والكفر يدوم) فأخطاء العاملين في صفوف خدمة القرآن هي من قبيل الظلم تجاه الخدمة، لذا يتعرضون بسرعة للعقاب ويجازون بالتأديب الرباني، فإن كانوا واعين يرجعون إلى صوابهم.

أما العدّو فإن صدوده عن القرآن وعداءه لخدمته؛ إنما هو لأجل الضلالة، وإن تجاوزه على خدمة القرآن – سواء شعر به أم لم يشعر– إنما هو من قبيل الكفر والزندقة، وحيث أن الكفر يدوم، فلا يتلقى معظمهم الصفعات بذات السرعة، إذ كما يعاقب من يرتكب أخطاء طفيفة في القضاء أو الناحية، بينما يساق مرتكبو الجرائم الكبيرة إلى محاكم الجزاء الكبرى، كذلك الأخطاء الصغيرة والهفوات التي يرتكبها أهل الإيمان، وأصدقاء القرآن، يتلقون على إثرها جزاءً من العقاب بسرعة في الدنيا ليكفّر عن سيئاتهم ويتطهروا منها، أما جرائم أهل الضلالة فهي كبيرة وجسيمة إلى حد لا تسع هذه الحياة الدنيا القصيرة عقابهم، فيمهلون إلى عالم البقاء والخلود، وإلى المحكمة الكبرى، لتقتص منهم العدالة الإلهية القصاص العادل، لذا لا يلقون غالباً عقابهم في هذه الدنيا.

وفي الحديث الشريف : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[3] إشارةٌ إلى هذه الحقيقة التي ذكرناها؛ أي أن المؤمن ينال نتيجة تقصيراته قسماً من جزائه

---

(1) اللمعات، ص ٦٨.

(2) اللمعات، ص ٦٩ – ٧٨.

(3) رواه مسلم (حديث رقم ٢٩٥٩) «رقمه٢٩٥٦ بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢٧٢/٤»، والترمذي (٢٣٢٤) «هـ دار الحديث بالقاهرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر ورفاقه، ٥٦٢/٤» وابن ماجة (٤١١٣) «ط دار المعرفة/ بيروت، ٤٢٨/٤، وفي صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقمه ٣٣٢١»، وأحمد (٤٨٥/٢) «في ط دار الفكر رقمه ٨٢٩٦، ٢١٠/٣ تحقيق: عبدالله الدرويش» كما في هامش صفحة ٧٩ من اللمعات ما بين القوسين الصغيرين إضافة مني.

في الدنيا، فتكون بحقه كأنها مكان جزاء وعقاب، فضلاً عن أن الدنيا بالنسبة لما أعده الله له من نعيم الآخرة سجن وعذاب، أما الكفار فلأنهم مخلّدون في النار، ينالون قسماً من ثواب حسناتهم في الدنيا، وتُمهل سيئاتهم العظيمة إلى الآخرة الخالدة، فتكون الدنيا بالنسبة لهم دار نعيم لما يلاقونه من عذاب الآخرة، وإلا فالمؤمن يجد من النعيم المعنوي في هذه الدنيا ما لا يناله أسعد إنسان، فهو أسعد بكثير من الكافر من زاوية نظر الحقيقة، وكأن إيمان المؤمن بمثابة جنة معنوية في روحه، وكفر الكافر يستعر جحيماً في ماهيته»[1].

د) للنورسي تأمل لطيف في سبب إثبات التاء في ﴿قالت الأعراب﴾[2]، وحذفها في ﴿وقال نسوة﴾[3]، وكان حديثه في تعليل ذلك ضمن إجابته على تساؤل حول اختلاف أهل الحق والعلم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة والضلالة، مع أن الاتفاق من شأن أهل الوفاق، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق.

ويُلمح في إجابته على هذا السؤال حرصه العظيم على وحدة أهل الحق، ودعوته الحارة إليهم؛ أن يتمسكوا بكتابهم، ويوحدوا صفهم، ويتركوا هوى نفوسهم، وأجدني مضطراً هنا لنقل كلامه بطوله لئلا يؤدي تصرفي فيه إلى الإخلال به، والإنقاص من جميل عبارته، قال:

«إن اختلاف أهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعاً من ضعفهم، كما أن الاتفاق الصارم بين أهل الضلالة ليس نابعاً من قوتهم، بل إن عدم اتفاق أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة، لما يمدهم به إيمانهم الكامل من مرتكز قوي، وإن اتفاق أهل الغفلة والضلالة ناجم عن الضعف والعجز، حيث لا يجدون في وجدانهم مرتكزاً يستندون إلى قوته، فلفرط احتياج الضعفاء إلى الاتفاق تجدهم يتفقون اتفاقاً قوياً، ولضعف شعور الأقوياء بالحاجة إلى الاتفاق يكون اتفاقهم ضعيفاً، مثلهم في هذا كمثل الأسود والثعالب التي لا

---

(1) اللمعات، ص ٧٨ و ٧٩.
(2) الحجرات، آية ١٤.
(3) يوسف، آية ٣٠

تشعر بالحاجة إلى الاتفاق فتراها تعيش فرادى، بينما الوعل والماعز الوحشي تعيش قطعاناً خوفاً من الذئاب أي أن جمعية الضعفاء والشخص المعنوي الممثل لهم قوي، كما أن جمعية الأقوياء والشخص المعنوي الممثل لهم ضعيف[1]، وهناك إشارة لطيفة إلى هذا السر في نكتة قرآنية ظريفة، وهي أنه أسند الفعل قال بصيغة المذكر إلى جماعة الإناث مع كونها مؤنثة مضاعفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ بينما جاء الفعل قالت بصيغة المؤنث في قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب﴾ وهم جماعة من الذكور، مما تشير إشارة لطيفة إلى أن جماعة النساء الضعيفات اللطيفات تتخاشن وتتقوى وتكسب نوعاً من الرجولة، فاقتضت الحال صيغة المذكر ، فجاء فعل «قال» مناسباً وفي غاية الجمال، أما الرجال الأقوياء فلأنهم يعتمدون على قوتهم ولا سيما الأعراب البدويون فتكون جماعتهم ضعيفة، كأنها تكسب نوعاً من خاصية الأنوثة من توجس وحذر ولطف ولين، فجاءت صيغة التأنيث للفعل ملائمة جداً في قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب﴾.

نعم، إن الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة إلى معاونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي؛ يمدهم بسند عظيم ويبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة، أما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا، فيشعرون بحاجة ملحة إلى من يمد لهم يد التعاون، فيتفقون معهم اتفاقاً جاداً لا يخلو من تضحية وفداء.

وهكذا، فلأن طلاب الحق لا يقدّرون قوة الحق الكافية في الاتفاق، ولا يبالون بها، ينساقون إلى نتيجة باطلة وخيمة، تلك هي الاختلاف، بينما أهل الباطل والضلالة؛ فلأنهم يشعرون -بسبب عجزهم وضعفهم - بما في الاتفاق من قوة عظيمة، فقد نالوا أمضى وسيلة توصلهم إلى أهدافهم، تلك هي الاتفاق.

---

(1) إن ما يؤيد دعوانا هذه هو أن أقوى المنظمات الأوروبية وأكثرها تأثيراً في المجتمع وأشدها -من ناحية- هي منظمات النساء -وهن الجنس اللطيف- في أمريكا التي تطالب بحقوق المرأة وحريتها، وكذلك منظمات الأرمن الذين هم أقلية وضعفاء بين الأمم فتراهم يبدون تضحية وبسالة فائقة. المؤلف (النورسي).

وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتّاك، مرض الاختلاف الذي ألمَّ بأهل الحق؛ هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1] واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[2] دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية، ثم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ في الإسلام والمسلمين، وبمدى ما ييسّر السبيل أمام أهل الضلالة ليبسطوا أيديهم على أهل الحق، ثم الالتحاق بقافلة الإيمان التي تنشد الحق، والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء، وبشعور نابع من عجز كامل وضعف تام، وذلك مع نكران الذات، والنجاة من الرياء ابتغاء الوصول إلى نيل شرف الإخلاص »[3] .

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي لمعالم منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم من خلال ما بيّنته في الأوراق السابقة، ولا أدعي أني أحطت بكل شيء، بل أؤكد قصور بحثي.

وحسبي أني نهلت من معين رسائل النور، ورشفت من بحرها الحلو الفياض، واقتبست من شعاعاتها ولمعاتها البهيّة.

وقد تركت ذكر بعض الأمور اليسيرة المتعلقة بمنهج النورسي في تفسير الآيات اكتفاءً بما قدمت، ولتعلّقها بقضايا فرعية دقيقة، أو لعدم تكرر ورودها في رسائل النور، فلا تشكّل ظاهرة عامة فيها.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وآله وصحبه وأتباعه أجمعين.

---

(1) الأنفال: ٤٦.

(2) المائدة: ٢.

(3) اللمعات، ص ٢٣٣ و ٢٣٤.

التعقيبات

تعقيب د. أحمد مفلح القضاة على ورقة د. عبدالله الخطيب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فهذه الورقة المقدمة من الأخ الدكتور عبد الله الخطيب جزاه الله خيراً، تتحدث عن وجوه الإعجاز عند الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله تعالى.

والورقة تضمّنت دراسة واعية وافية لجهود النورسي في إعجاز القرآن الكريم، وبينت أنه كان صاحب علمٍ غزير وحفظ كثير، فقد أفاد من جهود السابقين، ودرس خُلاصة آرائهم وأقوالهم في الإعجاز؛ ليتخذ من ذلك أصلاً يبني عليه، فكان أن اجتهد في هذا المضمار، وأتى بلطائف جديدة في موضوع الإعجاز، وكانت له قدرته العجيبة في الغوص على مواطن الإعجاز، واستخراج الدقائق والكنوز المكنونة.

والنورسي حين ألف كتابه إشارات الإعجاز، ألفّه أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يكن لديه أي مرجع يرجع إليه عند التأليف. ومعنى ذلك أنه كان يحفظ كثيراً من النقول عن الحكماء، فيثبتها بنصها أو بمعناها.

وهذا يُذكّرنا بمنهج العلماء السابقين الذين كانوا يجمعون بين العلم والحفظ والذكاء، وبين توظيف هذا العلم في الجهاد والدعوة والعلم في سبيل الله تعالى.

والورقة تعرض -بصفاء وتسلسل- منهج النورسي في التعامل مع الإعجاز القرآني، وتقف بنا على معالم التجديد عنده، ومحاولاته النّاجحة في تطبيق نظريّة النظم على كثير من النصوص القرآنية، وقدرته على سبر غور النص والنظر إلى أبعاده المختلفة، وزواياه المتعددة.

والورقة فيها جهد مشكور وعلم كثير، وقد أجاد الباحث جزاه الله خيراً في عرض الأدلة والنصوص التي تُظهر لنا النورسي عالماً كبيراً فذاً، ومفكراً قوياً يفتح آفاقاً لاحبة للتأمل والتفكّر والعيش مع إيحاءات السور والآيات والكلمات القرآنية.

وكأي جهد بشري فلا بُدّ من نقص ونقد، وليس المقصود بالنقد بيان المثالب والعيوب ولكنّه إسهام في ترميم البناء، ومحاولة لإتمامه وإعلائه. وإن كان لا بد من ملحوظات فإني أريد أن أتجاوز القضايا الشكلية، كطول الورقة حيث بلغت (٨٨ صفحة)، ووقوع الأخطاء المطبعية واللّغوية التي لا يسلم منها بحثٌ أو كتاب.

سأقف فقط على مناقشة النقاط التالية:

أولاً : هناك بعض العبارات التي لم يُحكم سبكها، ولم تتقن صياغتها، ويمكن التأشير على بعضها بسهولة في النص.

ثانياً : هناك كلامٌ فيه مبالغة كثيرة، لم يناقشه الباحث بل أقره وارتضاه، فمن ذلك قول النورسي: «لا يمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة».

وقوله: «تحقق عندي أنه ليس القرآن كله معجزة، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة، بل حتى كل كلمة فيه معجزة».

فهل هذا الكلام مُسلَّم؟ ولو كان القدر المُعجز من القرآن كلمة لوقع التحدي بها. صحيح أن الكلمات قد تتفاضل فيما بينها، وفي القرآن الكريم يتم تخيّر الكلمة القرآنية التي تؤدي المقصد بعناية ودقة، مع مراعاة جرسها وحُسنها وخفتها على النطق والسمع، لكن ليس هناك من يُسلِّم أن الكلمة المفردة تكون معجزة بنفسها.

ثالثاً : يفهم من كلام الباحث أن السكّاكي يذهب إلى أن الإعجاز ذوقي، لا يُعبّر عنه، ولا يمكن شرحه بل يُذاق ذوقاً.

صحيح أن السكاكي يقول: «ثم تأخذ -أي البلاغة- في التزايد متصاعداً إلى أن تبلغ حداً لإعجاز عجيب يُدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن، تُدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين».

لكن هذا الكلام يُفهم من طريق غير ما فهمه الباحث الكريم. **فالسكّاكي** عندما يتحدث عن الإعجاز والبلاغة، فإنه يقف بنا على روائع الإعجاز بحسب ما يشرحه من مقتضيات صنعة البلاغة، مما يدل على أنه تهدّى إلى الفروق الدقيقة بين التعبيرات المتقاربة. وما الذي منها بلغ غاية الإعجاز وأقصى درجات البلاغة، ومن كان هذا

شأنه فقد وصف الإعجاز والبلاغة وصفاً دقيقاً جديداً، لكنه يُدرك بذوقه المبني على أصول البلاغة أن القرآن إنما فاق سائر الكلام لأنه تجاوز حدود الضوابط القياسيّة إلى درجة أعلى لا يدركها إلا الخواص.

والدليل على ذلك أن السكاكي يقول: (كاستقامة الوزن تدرك ولا توصف) وكالملاحة..).

إن استقامة الوزن تُدرك وتوصف ولكن هناك تفاوتاً بين استقامة واستقامة، وكلما كان المرءُ أقدر على التعبير كان أقدر على وصف الأمرين المتقاربين، وبيان الفرق بينهما. فاللذوق مرتبة خاصة لا تتأتّى إلا للخبير بهذا العلم وأصوله.

هذه أبرز الملحوظات التي أحببت أن أُبديها حول هذه الورقة الطيبة، شاكراً للباحث الكريم جهده المبارك، نسأل الله أن يهدينا إلى الطيب من القول، وأن يهدينا إلى صراط العزيز الحميد.

obeikandl.com

تعقيب د. أحمد مفلح القضاة على ورقة د. أحمد شكري شابسوغ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فهذه الورقة المقدّمة من الأخ الدكتور أحمد شكري نفع الله به، تتحدث عن جانب عظيم من اهتمامات النورسي رحمه الله. ألا وهو: **علوم القرآن الكريم وتفسيره.**

والورقة فيها جهد مشكور ودراسة متكاملة لجوانب علوم القرآن وتفسيره في رسائل النور، تلك الرسائل التي لم يكن مؤلفها يقصد من خلالها تفسير آيات القرآن بالطريقة التقليدية، وإنما كان يتتبع هداية القرآن وأسراره من خلال هذه الرسائل، فهو يعنون الرسالة بآية، ثم يبدأ ببيان إيحاءات وأسرار هذه الآية وصلتها بالموضوع الذي يتحدث فيه، ولا شك أن هذا العمل هو لون راقٍ وأسلوب رفيع من ألوان التفسير، الذي ينطلق من فكرة الآية أو السورة، ويتتبع أسرارها وظلالها وإيحاءتها ودلالاتها، وصلة ذلك بالواقع الذي يحياه المسلمون.

إنه تنزيل الآيات على الواقع ليتم بذلك إصلاح الخلل وتقويم الإعوجاج، وإعادة الأمور إلى نصابها. وبهذا تفهم هداية القرآن وواقعيته وإعجازه.

وقد أحسن د. شكري بتتبُّعه إشارات علوم القرآن والتفسير في رسائل النور، وتقسيمها إلى مباحث ثم عناوين صغيرة، والاستشهاد لها بالأمثلة المنتقاة للتدليل على سعة علم بديع الزمان –رحمه الله– وقدرته الفائقة في الغوص على المعاني اللطيفة ، واستخراج الدرر والكنوز القيّمة من الآيات التي يقرأها كثير من الناس، ثم لا يتوقفون عندها ولا يدركون شيئاً من أنوارها وأسرارها.

ولا بد هنا من وقفات يسيرة مع بعض القضايا التي تحتاج إلى مراجعة:

أولاً: «وذهب النورسي إلى قضيّة التناسق اللفظي والعددي بين عدد من ألفاظ القرآن الكريم كأحد وجوه إعجازه، إلا أن ما أورده النورسي في هذا الأمر لم يسلم

من الاعتراض والمناقشة والتتبع، بما يثبت عدم دقة الأرقام المذكورة فيه. ولذا فإني أرى أن لا يُعدّ التناسق اللفظي والعددي من وجوه إعجاز القرآن».

إنني أختلف مع أخي د. شكري في هذه القضية، فإذا أخطأ باحث في بعض الأرقام، فليس معنى ذلك أن ننسف موضوع التناسق العددي واللفظي من أساسه؛ لأننا نجد قضايا كثيرة ظاهرة تصلح للاستدلال على أن التناسق العددي أمرٌ مقصود لم يأتِ مصادفة، وأكتفي بالأمثلة التالية:

١- قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس﴾ هذه الآية التي تشير إلى وسطية الأمة، توسطت آيات سورة البقرة ونصفتها تماماً، فهي الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة التي يبلغ عدد آياتها ٢٨٦ آية.

٢- قوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

أثبت كثير من الباحثين أن متوسّط وقت صلاة العصر على مدار السنة هو الساعة ٢,٣٨ دقيقة، والرقم لم يأتِ مصادفة.

٣- في سورة الكهف إذا عددنا الكلمات من بداية الآية التاسعة التي تتحدث عن أصحاب الكهف والرقيم إلى قوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ سنجدها (٣٠٩) كلمات بالضبط. إنه تقدير العليم الخبير.

والأمثلة على التناسق العددي كثيرة جداً.

ثانياً يشير النورسي إلى أن قصة البقرة حادثة جزئية، وفي ذلك يقول الباحث: «وردَّ النورسي على شبهة أن القران يذكر قصصاً وحوادث جزئية، مثل قصة ذبح البقرة، فما الداعي لذكرها وهي مجرد قصة قديمة وحادثة جزئية ... ص٨٦.

أقول: إن قصة البقرة في سورة البقرة هي سورة التربية للأمة –لم تكن قصة جانبية ولا حادثة جزئية– بل إنها أساس مبني من أسس هذه السورة، التي

تشير إلى أن بني إسرائيل استحقوا الإبعاد والحرمان من وراثة النبوة والدين؛ بسبب صلفهم وبعدهم عن الحق، وإن هذه الأمة هي التي ورثت بني إسرائيل، فكان لا بدّ من بيان عيوب اليهود ومثالبهم وأخطائهم حتى يتجنّبها المسلمون.

ومن أبرز هذه الأخطاء عبادتهم العجل الذي صنعوه من ذهب أصفر، فكأن قصة البقرة الصفراء وذبحها -وهي أم العجل- إشارة صريحة إلى أن هذا المعبود لا يستحق أن يكون إلهاً، فذروا عبادته وأعبدوا رب العالمين.

لكنهم أصرّوا على عبادة العجل وأُشربوا حبّه في قلوبهم، فاستحقوا الإبعاد والحرمان.

ثالثاً: قول المؤلف: الشرط الثاني المستفاد من لفظ «رزقناهم» أي أن لا يأخذ من زيد ويتصدّق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله.

أقول: إذا أخذ المرء من زيد وأعطى عمراً، أليس ذلك برزق؟ فذهب أهل السنة أن ما يُسرق أو يؤخذ بغير وجه حق هو رزق أيضاً.

وقوله أيضاً: فلا تكون الصدقة مقبولة على من يصرفها في السفاهة.

وهذا القول فيه نظر، ويكفي أن نستذكر حديث الرسول ﷺ أن رجلاً قال: «لأتصدقن الليلة، فأخرج صدقته فوقعت بيد غني».

تعقيب د.عودة أبوعودة على ورقة د. أحمد شكري شابسوغ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لا يجوز الحمد إلا له جل شأنه، ولا يكون التوفيق إلا منه سبحانه، ما شاء الله كان، يحكم لا معقِّب لحكمه، يقضي لا رادّ لقضائه، سبحانه علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان. والصلاة والسّلام على سيدنا رسول الله ﷺ الذي كانت حياته، سيرته، وأعماله، وأقواله، كتاباً منشوراً، وقرآناً مقروءاً، وشرعة ومنهاجاً متبعاً، فينبغي على المسلمين حيثما كانوا على امتداد الزمان واتساع المكان أن يتقنوا إتباع الكتاب، وأن يحسنوا قراءة القرآن؛ حتى يوفقهم الله –عز وجل– إلى الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة، وبعد،

أيها الأخوة الكرام:

فلقد أسعدني أن ألبي دعوة الأخوة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، للمشاركة في هذه الحلقة الدراسية التي تعقد بالتعاون بين المعهد العالمي ومركز بحوث رسائل النور في تركيا، للتحدث عن بديع الزمان النورسي فكره ودعوته.

وسوف تقتصر مشاركتي على إبداء بعض الملاحظات التي أفدتها من قراءة البحث الجيد الذي أعده الأخ الدكتور أحمد خالد شكري عن «علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي».

أيها الأخوة والأخوات:

١– إن حياة هذا العالم المجاهد، إنما هي مَثَلٌ سَامٍ لما ينبغي أن تكون عليه حياة كل فرد مؤمن بالله، نَذَرَ نفسه للدعوة إلى دين الله –عز وجل– في هذا الزمن الذي تراجع فيه المسلمون عن تقديم دينهم الحق للناس، في الوقت الذي جمع فيه الناس كلَّ أسلحتهم لحرب الإسلام، يقيناً منهم بأن الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يعكّر صفو حياتهم، ويقف في طريق قوتهم وطغيانهم، إذا قُدّر له أن يكون كما أراده الله –عز وجل–.

٢- أدرك الإمام النورسي أن اعتقادنا بأن الإسلام دين الله في الأرض، وبأن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي فيه تشريعه الباقي إلى قيام الساعة، أدرك أن اعتقادنا هذا يوجب علينا أن نقدم القرآن للناس في هذا العصر، بما يقنعهم بكمال هذا القرآن وصدقه، وقدرته على صياغة الحياة الكريمة للإنسان حيثما كان في كل جوانبها.

إننا -أعني المسلمين- ندّعي أن الإسلام هو الرسالة الخالدة، وأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية، فكيف نقدّم هذا للناس الآن في عصر التقدم العلمي المذهل، عصر الحاسوب، والبريد الالكتروني، والاستنساخ الجيني، وما يقدمه العلم كل ساعة من مظاهر التفوق العلمي المتطوّر.

أيها الأخوة والأخوات: إن كون الإسلام هو الرسالة الخالدة، هذه عقيدة. وإن القرآن هو كتاب الله الخالد، هذا دين لا نحيد عنه، ولكن هذا الدين وهذه العقيدة، تفرض علينا واجباً كبيراً، إن على المسلمين أن يرتقوا في أساليب دعوتهم إلى الوسائل العلمية المقنعة، يجب أن يكون لدينا من المؤسسات والمراكز الثقافية والمعاهد، والجامعات والخبراء والعلماء والمختصين، ما يمكّن لهم أن يقدموا كلمة الإسلام بقوة وبيان ويقين.

يجب أن نقدم للناس ونقول لهم: هذا منهاج الإسلام السياسي في الحكم، وهذا منهاجه في الاقتصاد وتنظيم المال، وهذا منهاجه في التربية والتعليم، وهذا منهاجه في تنظيم الحياة الاجتماعية، هذه مناهجه المتكاملة التي تستمد كلها من آيات القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ ويجب ألا ننسى ونحن نقدم ذلك أننا نخاطب أناساً صاروا يتحدثون بلغة الكمبيوتر والإنترنت، وبلغة الواقع العلمي الملموس المتطور ولا يقبلون لغة غيرها.

أيها الأخوة والأخوات: إن هذه رسالة يجب أن نساهم بها، وأن نسعى إليها، ولقد نظرت في بعض تراث الإمام بديع الزمان النورسي؛ فرأيت أن هذه النظرية كانت واضحة لديه أشد الوضوح، وأنه قضى حياته يحققها ويعيشها، كما يعيش المسلم حياته كلها لله بوعي وفهم ويقين.

يقول الإمام النورسي -رحمه الله- «لا يمكن في العصر الحالي إعلاء كلمة الله إلا بالترقي مادة، والدخول في الحضارة الحقيقيّة» ويقول: «سنجاهد ضد الفقر، واختلاف الأفكار؛ اللذين هما العدوان اللدودان لأعداء كلمة الله، وذلك بسلاح العلم والفن»، وهو يشير بذلك -كما يرى الدكتور بنيامين دوران- إلى العلم والتكنولوجيا، اللذين هما المحرّكان الأساسيان لصفحة إعلاء كلمة الله.

كان الإمام بديع الزمان يؤمن بأن القرآن هو كتاب الله الخالد، الذي يجب أن يقود الناس إلى منهاج حياته الصحيحة في الدنيا والآخرة، وقد أورد الأخ الدكتور أحمد شكري تعريف النورسي للقرآن حيث يقول: «... هو أساس وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وهو خريطة للعالم الأخروي، وكذا هو مُربٍّ للعالم الإنساني، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلِق البشر له، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر».

القرآن في عقيدته هو كتاب ذكر وكتاب فكر، وهو هكذا ينبغي أن يكون في عقيدة كل مسلم، ولم تخرج الرسائل والبحوث التي كتبها الإمام النورسي في شرح آيات القرآن وفي التعليق عليها عن هذا الفهم. كان يحاول أن يربط بين الآيات القرآنية والحضارة المعاصرة.

انظر إليه يعلّق على إنكار بعض الناس حادثة انشقاق القمر، يقول: «كأن سحب الجهل تغطي سماء إنكلترا، والوقت على وشك الغروب في أسبانيا، وأمريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفّس في الصين واليابان، وفي غيرها من البلدان، .. فإذا علمت هذا فتأمل في كلام الذي يقول: إن تاريخ إنكلترا والصين واليابان وأمريكا وأمثالها البلدان لا يذكر هذه الحادثة، إذن لم تقع... أي هذر هذا؟ ألا تباً للذين يقتاتون على فتات أوروبا...» والذي يهمنا الآن، هذا الوعي المبصر لحقائق الكون التي يذكرها القرآن، وها نحن نرى الآن خسوف القمر، أو كسوف الشمس يشاهد في بلد ولا يشاهد في بلدان عديدة، نظراً لاختلاف منازل القمر، وحالات الشمس في هذه البلدان.

وفي تعليقه على قوله تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾ يظهر بديع الزمان النورسي في صورة العالم الباحث، ذي الفكر المستنير في طبيعة القرآن، وحقيقة إعجازه.

٣- تحدثت ورقة الدكتور أحمد شكري عن علوم القرآن والتفسير في رسائل النور للإمام النورسي. وقد ذكر الزميل الكريم عدداً من علوم القرآن وتفسيره، منها: تعريف القرآن، وفضائل القرآن، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والقول في حكم ترجمة القرآن، وإعجاز القرآن، فإذا علمتم أيها السادة أن الأستاذ النورسي -رحمه الله- لم يكتب بحثاً متخصصاً في أي من هذه العلوم، بل كتب رسائل متفرقة كان يهدف فيها إلى هداية الناس وتذكيرهم، وإيقاظ الإيمان في نفوسهم. علمتم الجهد الكبير الذي بذله الأخ الباحث في رصد هذه العلوم القرآنية من خلال تتبع تلك الرسائل الكثيرة التي ألفها الإمام النورسي، وجُمِعَتْ فيما بعد في ثماني مجموعات، هي: الكلمات، والمكتوبات، واللمعات، والشعاعات، وإشارات الإعجاز في مظآن الإيجاز، والمثنوي العربي النوري، والملاحق، وصيقل الإسلام.

وأودّ أن أتوقف عند مفهوم الإعجاز عند الإمام النورسي، وقد رأيتم أن الإمام النورسي ذكر أن أوجه الإعجاز عشرة، وذكر في موضع آخر أنها سبعة، وفي مواضع أخرى أنها أربعون، وهو في هذه المواضع يرى أن **«النظم القرآني البديع»** هو أظهر وجوه الإعجاز.

وقد كُتِبت بحوث أخرى حول مفهوم الإعجاز عند النورسي، مجموعٌ أكثرُها في السفر الكبير القيّم، الذي صدر بعنوان «المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي».

المتتبّع لآراء النورسي في تحليله لبعض الآيات القرآنية يجد أنه يمثل قنطرة أو جسراً كبيراً معلقاً بين مفهوم الإعجاز عند العلماء السابقين، ومفهومه الذي يجب أن يعتنقه النّاس اليوم في مواجهة التحدي العالمي للإسلام، وبتسخير أدوات المعرفة التي أتيحت لنا اليوم ولم تتح لأبناءنا العلماء السابقين رضي الله عنهم..

تقول الباحثة الألمانية المسلمة جاجليا مريم دمير: «وقد حلّل بديع الزمان القرآن لنا من أجل هذا القرن، ووضح لنا برسائل النور الطريق الذي رسمه القرآن للمستقبل».

يرى الإمام النورسي أن القرآن هو برهان الحقيقة، وإنني لن أنسى ما حييت هذه الجملة العجيبة التي وصف الإمام النورسي القرآن بها؛ لأنها تمثل المنهج الذي يجب أن نبحث عنه اليوم في فهم إعجاز القرآن، قال: «كلما شاب الزمان شبّ القرآن، وتوضحت رموزه»، وهذا لعمري هو فهم واع دقيق لحديث رسول الله ﷺ في وصف القرآن الكريم «... هو حبلُ الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنتهي عجائبه...».

أيها الأخوة والأخوات:

لو أننا تتبعنا وجوه الإعجاز وبيانه عند الإمام النورسي، وتحليله للآيات القرآنية، فإننا سوف نختلف معه كثيراً، ونتفق معه أيضاً، ولذا قلت إنه يمثل قنطرة بين المفاهيم السائدة من قبل، وما يجب أن يكون عليه مفهوم الإعجاز الآن. إن المفاهيم السابقة للإعجاز تتحدث عند كثير من العلماء عن الإعجاز البياني، والإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز في الحديث عن الأمم السابقة، وعن الإرهاصات بالأحداث القادمة، وعن كثير مما أعلم وتعلمون، وتقرأ وتقرأون. والحق أن هذه الأقوال إن كان لها ما يشفع لها في القرون الماضية؛ فإننا يجب الآن أن نفيد منها، وننطلق منها إلى تقديم نظرية متكاملة في الإعجاز القرآني، تتفق وأدوات المعرفة المعاصرة، إن هذا ما يعنيه رسول الله ﷺ «... ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنتهي عجائبه..».

وأضرب، مثلاً على ذلك.

إقرأوا ما قاله العلماء في تفسير قوله تعالى في سورة القصص الآية (٥١) ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾، وما قالوه في تفسير قوله تعالى في سورة الطارق الآية: (١١-١٢) ﴿والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع﴾،

وما قالوه في تفسير قوله تعالى في مواضع متعددة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى في سورة الحجر الآية (١٥): ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق...﴾، فما الذين بين السموات والأرض، وما معنى والسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع، وكيف وصّل الله -عز وجل- لنا القول، ولماذا جعله سبباً للتفكّر والتدبُّر؟ إن ما قاله العلماء السابقون صحيح في ميزان علومهم، ولكنه غير كافٍ الآن، ولا يجوز أن نقدم القرآن الكريم للناس بناء على هذا الفهم فقط.

إن القرآن الكريم معجز كله بلفظه ومعناه، وكلماته وحروفه وسوره وآياته، إنه بناء قرآني فريد عظيم. فيه الحقائق الكونية التي تمتاز بالصدق المطلق، وفيه ما يجب أن يكون عليه تشريع الإنسان في كل ما يلزم له في حياته من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية.

إننا إذا نظرنا إلى الإعجاز القرآني مجزءاً في تفسير علمي، أو روعة في نظم حرف أو كلمة أو جملة؛ فإننا نخشى أن يطلع علينا العام القادم فيجمع لنا أصوات الناس جميعاً منذ آدم -عليه السلام- حتى الأسماء، فنعرف كيف عاشت الأمم السابقة، أو أنهم يحشون في الكمبيوتر حروفاً وكلمات وجملاً تخرج لنا بيانات ونصوصاً وأشكالاً تنبهر بها العين.

إن القرآن معجز للإنس والجن ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ يجب أن يكون كلامنا في مستوى هذا الإعجاز، إعجاز لا يستطيعه الجن، ولا الإنس، ولا هما مجتمعان، إعجاز كإعجاز الله في خلق الإنسان وخلق الكون. هل رأيتم الشمس تتخلف يوماً عن الشروق أو تتأخر! هل رأيتم القمر يغادر منازله التي قدّرها الله -عز وجل- له! هل رأيتم الهواء يستنكف عن خدمة الإنسان! هل رأيتم الماء يمل من صنع الحياة! إن القرآن الكريم كتاب الله الخالد. يجب أن نحدد مصطلحات البحث، فنعلم ما الكتاب وما القرآن، ونعلم أن وظيفة كتاب الله هو بيان التشريع الإلهي

الخالد حتى قيام الساعة، ونعلم أن وظيفة قرآن الله هو إقامة الحجّة على كل مخلوق حتى قيام الساعة. إن الأمر عظيم أيها الأخوة، وإن المسؤولية كبيرة، وإني أشكر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وأشكر القائمين على مركز بحوث رسائل النور في تركيا على إقامة هذه الحلقة الدراسيّة، وأدعو المسؤولين في كل المواقع أن يجنّدوا كل طاقاتهم لخدمة القرآن الكريم، وتنظيم الندوات واللقاءات التي تبحث في علوم القرآن، وفي معانيه، وفي دلالاته. عسى أن نقوم ببعض ما يجب علينا تجاه ربّنا –عز وجل– وتجاه ديننا الحنيف والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

د. فتحي ملكاوي: وصلتني ثلاث أوراق: الورقة الأولى، فيها ملحوظة موجهة من الأستاذ الدكتور مصطفى عليان إلى الدكتور عبد الله الخطيب لعله قرأها وهو يجيب.

د. عبد الله الخطيب: بالنسبة لتعريف الإمام النورسي للقرآن الكريم، تفضّل الأخ الكريم بقوله: «إنه وصف إنشائي غير منضبط الدلالة، حقيقة لا أتفق مع الأخ بأنه غير منضبط الدلالة فدلالته واضحة، والتعابير التي تكلم عنها الإمام النورسي –كما قلت– عندما ذكرت التعريف؛ كل قضية يأتي بها يبرهن عليها ويوضحها أيضاً إيضاحاً تاماً. عندما يقول مثلاً: القرآن كتاب شريعة، يوضّحها، لكن كيف أن القرآن كتاب شريعة، أضف إلى ذلك كل الأوصاف التي أتيت بها، يوضحها ويجلي معانيها، لكن الأخ د. مصطفى يرجّح تعريف القدماء ،لا مانع من أن ترجح تعريف القدماء، لكن لا مانع أيضاً أن يكون عندنا التعريف الآخر الذي يوضح ويجلي ماهية القرآن الكريم، بالنسبة لنظرية النظم التي وضعها الإمام عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، الجديد عند الإمام النورسي هو أنه طبق هذه النظرية.

يقول الأخ: هو طبق النظرية حرفياً، هل يستطع أحد أن يطبق النظرية حرفياً؟؟ إن تطبيق هذه النظرية كما وضعها الإمام عبد القاهر الجرجاني، بدقة متناهية ووضوح، هذا هو التحدي. وشكراً.

د. فتحي: ملحوظة أخرى من الدكتور أمين عودة للدكتور عبد الله الخطيب. كان ينبغي الإشارة إلى ما قاله الشيخ محيى الدين بن عربي حول التجليات، والأسماء الإلهية في الكون عند الحديث عن الإعجاز العلمي؛ ذلك أن التجليات الأسمائية تشكل نظرية متكاملة في تصور ابن عربي. ويبدو أن النورسي قد أفاد من هذه النظرية بطريقة غير مباشرة، وعلى الأرجح عبر مجدد الألف الثاني الإمام السهردردي النقشبندي الذي تبنى نظرية ابن عربي مع بعض الإضافات، لعلك توافقه على هذا.

د. عبد الله الخطيب: لا شك أن الإمام النورسي اطلع اطلاعاً واسعاً على مؤلفات ابن عربي، وهو يمدح ابن عربي ويصحح الفكرة السائدة بأنه يقول باتحاد الله في الكون، يقول هذه نظرية خاطئة، ابن عربي لا يقول هذا، وله آراء في هذا الموضوع، مما يبدو أنه فعلاً قرأ كتبه وحلّلها.

د. فتحي: الأخ حسين المغربي يبدي بعض التحفظات على ما ورد في كلام الدكتور عبد الله الخطيب على الإمام النورسي وخاصة في إشارته إلى أن سور القرآن وآيات القرآن وكلماته وحروفه كُلها معجزة، هذا كلام فيه نظر شديد، نعم الآيات وبعض الكلمات، لكن الأحرف يبدو أنه يتردد في قبول هذا. ويتحفظ أيضاً على أن القرآن فيه كل شيء؛ لأن القرآن كتاب هداية وليس علوم، والأمر الأخير: القرآن خطاب لجميع البشر، وهذا فيه نظر فبعض العلماء أشاروا لهذا الوجه، ومن المحدثين الذين بيّنوا هذا التفضيل د. عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم.

د. عبد الله الخطيب: بالنسبة إلى أن القرآن احتوى على علم الأولين والآخرين، معظم العلماء المحققين يرون هذا الذي ذكرته، والذي يؤيده النورسي عندما يفسر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء﴾. مثلاً الإمام الشافعي –رضي الله عنه– ثابتٌ عنه أنه يقول: لا يوجد حكم شرعي إلا وهو مستنبط من القرآن الكريم، سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أو بطريق

الصراحة أو الإشارة أو الرمز، وكلكم يعلم بقصة المرأة التي أتت إلى عبد الله بن مسعود وسألته عن حكم النامصة والمتنمصة، فقال: إنها في كتاب الله، قالت: كيف أجدها في كتاب الله، قال: ارجعي فإنها في كتاب الله، قالت: قرأت كتاب الله فلم أجد هذا الحكم، قال: ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ هذه القضية تكلم عنها العلماء بغزارة، وبعض العلماء لا يؤيدون هذا الرأي ولهم أدلتهم ونحن نحترمها.

د. فتحي: الدكتور عبد السميع الأنيس كما يبدو متخصص في قضايا اللغة والبلاغة. يقول: «المقصود من كلام الأستاذ النورسي في الإعجاز المتعلق بالكلمة والحرف ليس لذات الكلمة أو لذات الحرف؛ وإنما موضع الحرف من الآية، وموضع الكلمة من الآية، فإنه معجز ويدخل في الإعجاز الذي تحدى الله به أن يأتوا بمثله»، والله أعلم.

د. عبد الله: أنا أويد الأخ الفاضل على هذا الإيضاح. نعم النورسي لا يقول إن الحرف بحد ذاته معجز، وإنما وضع الحرف في هذا المكان هو المناسب، مثلاً هو يأتي بمثال على قوله تعالى : ﴿قالت الأعراب﴾ و ﴿قال نسوةٌ﴾ لماذا حذفت التاء في الثانية وأبقيت في الأولى، أو مثلاً يقول: كنت أقرأ كلام الله ﴿إياك نعبدٌ﴾ لماذا النون هنا؟ ولماذا ليس إياك أعبدٌ. قال: إن النون هنا نقلتني من مسجدي إلى العالم الإسلامي، تصور نفسك في هذا الحال، إذاً يكون لصلاتك أثرٌ أكبر.

د. فتحي: ورقة تقول عبارة: كلما شاب الزمان شبّ القرآن كأنه يُفهم من العبارة أن القرآن لا يشبّ في مرحلة إلا أن يكون الزمان قد شاب، فلو كانت الجملة كالتالي لكان أفضل، «مهما شبّ الزمان أو شاب لبقي القرآن في الشباب».

الأستاذ أمين نايف ذياب، محور الجلسة (الإعجاز عند بديع الزمان النورسي). هذا العنوان بهذا الشكل معناه الإعجاز ليس في القرآن وإنما عند هذا الرجل. وأرى أن من الأفضل أن نقول: مفهوم الإعجاز في القرآن عند النورسي.

قضية الإعجاز لا يزال يجري عليها نقاش، أيُّ إعجاز يكون خلاف النظم! إنما هو فتح باب الجهالات المشرعة، الإعجاز هو إعجاز لأبي بكر، هو إعجاز لعمر، هو إعجاز لعلي، هو إعجازٌ لذلك الجيل، الإعجاز ثابت من أبي بكر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا يتغيّر الإعجاز بتغير الزمن، الخصائص أو المفاهيم أو الاستنباطات أو الاستخراجات هي التي تغيرت. الإعجاز ثابت ولا يتحرك ولا يتغير؛ إذاً الإعجاز هو النظم فقط، ولا يجوز لأحد أن يقول إنه خلاف ذلك، وخلاف ذلك يفتح باب الحروف وقضية العلم والأرقام.. إلخ ولا يمكن أن تغلقوه.

أخيراً، دائماً تقولون في الإعجاز ولا تنسبوه لأصحابه، الإعجاز في النظم قال به المعتزلة بلا منازع، فمن الجاحظ إلى الجبائي إلى القاضي عبدالجبار، حتى أن هناك رسالة دكتوراة في قضية النظم، تقول: إن نظرية النظم اكتملت اكتمالاً تاماً عند القاضي عبدالجبار، وأثبتت أن الجرجاني كان ناقلاً عن القاضي عبد الجبار، وأنتم تصرون تمام الإصرار على إلغاء هذه النظرية، لماذا؟

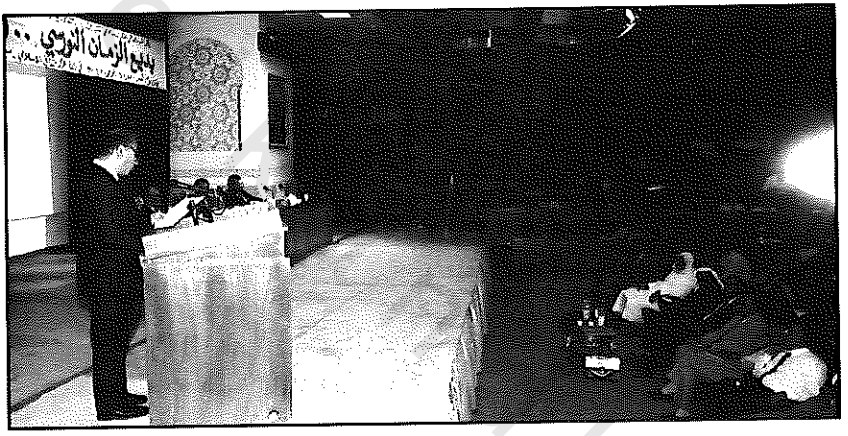

د. عودة أبوعودة: معقباً على ورقة د. أحمد شكري شابسوغ

جلسة العمل الثالثة

مدير الجلسة: د. فتحي ملكاوي

١. الورقة الأولى: منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي

الأستاذ عبدالله القنطاوي

٢. الورقة الثانية: المنهج الفقهي عند النورسي

الدكتور علي الصوا

٣. تعقيبات ومناقشات الجلسة الثالثة

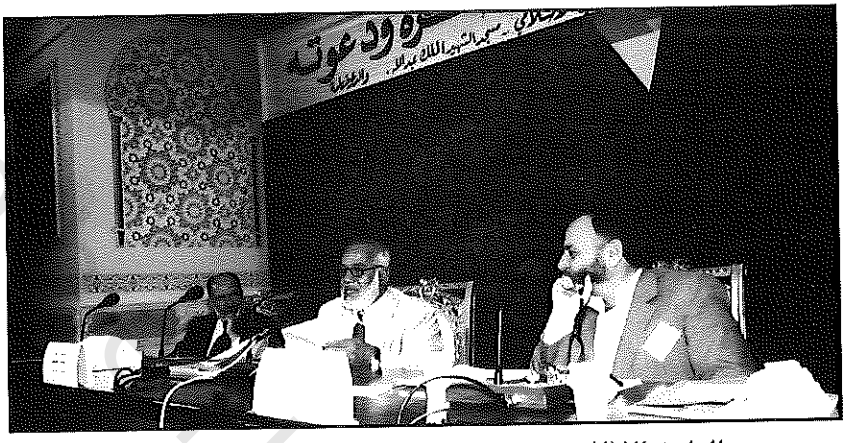

الجلسة الثالثة: من اليمين أ. عبدالله الطنطاوي
ود. علي الصوا، ود. فتحي ملكاوي

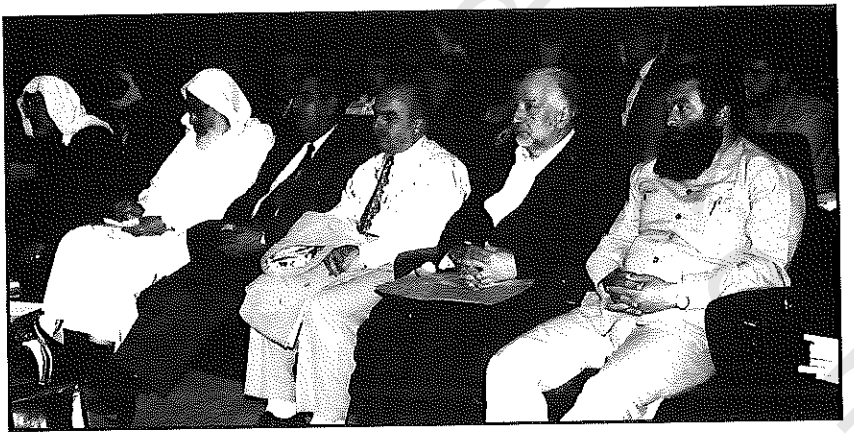

جانب من الحضور

منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي

الأستاذ عبدالله الطنطاوي

مدير مؤسسة يمان

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على مصطفاه، وبعد:

فهذه بضاعة مزجاة، يقدّمها عبد فقير قليل، عن عظيم من عظماء أمتنا الإسلامية في عصورها الحديثة، تتناول محوراً من محاور شخصيته العملاقة، هو عبارة عن ملامح في خطة عظيمنا: بديع الزمان النورسي – خطّته الإصلاحية، ومنهجه في التغيير لمجتمع كان مسلماً، نقياً، مجاهداً، ثم غزاه الغزاة من الخارج، واصطنعوا له صنائع يغزونه من الداخل، ليحطّموه، ويلغوا شخصيته، ويبدّلوا هويته، ويمسخوه مسخاً؛ ليغدو قزماً يتمسّح بعتبات عملاق شاكي السلاح، السلاح المادّي الذي يقتل به ويدّمر، والسلاح الفكري الظهير لذلك السلاح، بل كان الممهّد له في العقول والنفوس التي تربّت على أعين حاسدة حاقدة، طالما خططت ودبّرت للإجهاز على (الرجل المريض) فكانت المؤتمرات المؤامرات، وكان الغزو من البرّ والبحر، وكانت الخيانات سلوكاً لناسٍ غُدُرٍ، ائتمنتهم الأمة في غفلة منها ومن أولياء أمورها الحاكمين، فلم تنتبه ليهودية مطلية بطلاء زائف جاز على المسؤولين، فحسبوا أصحاب الطلاء مسلمين، ولم يعوا حقيقة الأقنعة وما تخفي تحتها من سخائم وضغائن، وكيد وتآمر، وأحقاد تاريخية، وتطلعات توراتية تلمودية، واستراتيجيات وتكتيكات يرسمها دهاقنة المحافل الماسونية التي انتشرت هنا وهناك وهنالك، وتحت أسماء صريحة حيناً، خفيّة حيناً آخر.

عصر النورسي

لن نستطيع معرفة مدى الظلام الذي خيّم على تركيا بعد ما يسمى بالانقلاب العثماني، وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني، وسيطرة (الاتحاد والترقي)، والقوميين الطورانيين الذين وصلوا بدولة الخلافة إلى حضيض التمزق، والتشرذم، والتخلف

السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والفكري، والخواء الروحي إلا إذا كنّا على اطلاع دقيق على حالة الفوضى التي عمّت البلاد التركية، بعد الاحتلال، وبعد التحرير، وما تبعها من مجازر قامت بها السلطة العلمانية ضدّ كلّ من تشتمّ فيه رائحة الإسلام، والتصدّي للعلمانية.. وعمليات قتل علماء الدين كانت نهجاً لحكومة مصطفى كمال، ولم ينجُ من العلماء إلا من هرب بدينه ودمه وأهله إلى البلدان المجاورة، أو من ناور، أو سار في ركاب العلمانيين، من ذوي النفوس الهزيلة التي لاتهمّها إلا مصالحها الشخصية، وتسعى وراء المنصب والمال.

وقد سمعنا من بعض الذين لقيناهم من المهاجرين أبناء العلماء الفارّين بدينهم، ما تقشعر له الأبدان، وتُدمي القلوب والنفوس.

عايش بديع الزمان النورسي أحداثاً جِساماً، كان أشدّها على نفسه، ذلك الغزو الثقافي والفكري، الذي تقوم به الدوائر الاستعمارية، وربائبها في الداخل، من خلال مؤسسات، لها امتدادات خارج البلاد، في أوروبا الحلفاء المنتصرين.. وتغذّيها المحافل الماسونية، ودعاة العلمانية والقومية والماركسية.. حتى صار المسلمون في تركيا الحديثة، كالقطعان الهائمة في الليالي المطيرة. كانوا كمن فقد وزنه.. مسلوبي الإرادة مستذلين مهانين، مستكينين للظالمين الذين أوقعوا بهم.. فساد إداري محموم، وعجز اقتصادي مريع، وديون مرهقة، وتخلّف وجهل، وفقر ومرض، وانحلال وفساد خلقي منظّم، ممنهج.. وحُماتهم لصوصهم، وأجهزة الأمن أجهزة قمع وفساد وإفساد..

الحاجة إلى إمام مجدّد

ما كان الله ليذرَ المسلمين على ماهم عليه، وعلى ما أرادهم لهم أعداؤهم في الخارج والداخل، فقد تكفّل الله سبحانه أن يبعث لهذه الأمة من يجدّد لها أمر دينها على فترات، وفي أماكن شتّى، وكان مدد الله لهذا الشعب المسلم المظلوم، واضحاً في هذا الرجل الذي أطلق عليه بعض الدارسين اسم (رجل القدر)[1]. كما أطلق عليه أساتذته وعارفوه لقب (بديع الزمان)[2] هذا الرجل العالم الرباني الذي كان

---

(1) أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة.

(2) ترجمة حياة سعيد النورسي، ص ٣٦.

يملك بين حناياه قلباً ذكياً، وعقلاً حصيفاً نقياً، ونفساً أبيّة، وروحاً عملاقة، وإيماناً شامخاً، وعلوماً يحار المرء وهو ينظر إليه، كيف حواها في صباه وشبابه المبكّر، وكيف حملها في هذا الرأس العجيب المستنير بأنوار القرآن، مع أنه «قد طوى في جوانحه كل آلام تركيا وعذاباتها في تلك السنوات الحالكات.. في وطن خربت معظم مرافقه ومدنه وقراه، بعد سنوات الحرب العالمية الأولى، وسنوات من حروب الاستقلال.. وقُتل معظم شبابه..)[1].

ونسينا أن نقول: إن النورسي كان يملك سلّة فيها كل ما يملكه في دنياه: إبريق شاي، وبضعة أقداح، وقليل من السكر والشاي، وقليل من الزبيب، وسجّادة الصلاة..)[2].

ولكنه كان يحمل في عينيه ولسانه وقلبه وعقله مصحفاً، هو أستاذه وشيخه ومرشده في دنياه وأخراه، ومن أراد أن يرى الإيمان والقرآن والإسلام متمثلة في رجل يمشي على قدمين، فيما تسبح روحه في ملكوت السماوات والأرض، فلينظر إلى النورسي، أو فليقرأ سيرته وكلماته، وليتأمل كل كلمة خطتها يراعة روحه، بمداد الوعي والزهد والعلم والإيمان والصبر.

هذا الرجل الذي كان آية من آيات الله في الصبر والمصابرة، والمثابرة، وفي الشجاعة والإقدام، وفي الوعي والإخلاص والحركة، وفي التفاؤل والأمل الذي لم يفارقه لحظة من لحظات حياته، برغم ما يحيط به من ظلم وّظلام وظلام .. الرجل الذي أخذ نفسه بالعزائم في سائر أحواله، فكان الطود الصامد في وجه الأعاصير. الرجل الذي أدركته وشملته دعوة الرسول القائد – عليه الصلاة والسلام – «رحم الله امرءاً عرف زمانه، واستقامت طريقته». هذا الرجل ، كان المجدّد في بلاد الأناضول، كما كان حسن البنا في بلاد العرب، والمودودي في شبه القارة الهندية..

المؤثرات في تكوينه الفكري

من دراسة حياة الإمام النورسي، نستطيع أن نتبين نوعين من المؤثرات التي كوّنت شخصيته الفكرية:

---

(١) أورخان محمد علي، ص ٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥ – ٦.

١ - **المؤثرات الاجتماعية: وتشمل:**

أ – أسرته الصغيرة المكوّنة من أب تقي ورع، بلغ به ورعه شأواً صار فيه مَضْرِب الأمثال، فالوالد الصوفي (ميرزا) لم يذق حراماً قط، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه كان إذا رجع ببقراته من المرعى، شدّ أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين[١].

وكانت أمّه الصالحة التقيّة (نورية) لا ترضع أطفالها إلا وهي على طهر ووضوء[٢]. وقد قال النورسي عنها يوماً: «أقسم بالله، إن أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدّد عليّ، إنما هو تلقينات أمي –رحمها الله– ودروسها المعنوية، حتى استقرتْ في أعماق فطرتي، وأصبحتْ كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهزالثمانين، رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص. بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما تُبنى على تلك البذور»[٣].

وكذلك أخوه الكبير الملا عبد الله الذي عُرف بعلمه ودينه وتقواه .

ب – قريته الصغيرة المحافظة، والقرى والبلدات القريبة منها، وكتاتيبها ومشايخها، وأهلها البسطاء الطيبون المحافظون على دينهم، وقيمهم المتمثلة بعادات وتقاليد منسجمة مع الدين الحنيف: بساطة وصدق، وعفوية، وكرم وشهامة ونبل، برغم ضيق ذات اليد، وبرغم الجهل والفقر والبؤس والتعاسة.

٢ - **المؤثرات الثقافية:**

أ – يعدّ النورسي الشيخ عبد القادر الكيلاني –رحمه الله– أستاذه الأول في كتابه: (فتوح الغيب). يقول النورسي عنه: «وبدأت أقرأ ذلك الكتاب، كأنه يخاطبني أنا بالذات.. كان شديد اللهجة، وقد حطّم غروري، وأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي.. استفدت منه فوائد جليلة، وأمضيت معه ساعات طويلة، أصغي إلى أوامره الطيبة، ومناجاته الرقيقة»[٤].

---

(١) إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ١٩.

(٣) سعيد النورسي، اللمعات، ص ٣٠٨ – ٣٠٩.

(٤) سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٤٥٩.

ب- الشيخ العالم الرباني أحمد الفاروقي السرهندي- مجدّد الألف الثاني - في كتابه: (مكتوبات) الذي «ورد في رسالتين منه لفظة (ميرزا بديع الزمان) فأحسست كأنه يخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي (ميرزا).. والإمام الرباني يوصي -مؤكداً- في هاتين الرسالتين، وفي رسائل أخرى أنْ: (وحّد القبلة) أي اتبع إماماً ومرشداً واحداً، ولا تنشغل بغيره»[1].

جـ - علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وسواها، تلك التي تلقاها على أيدي علماء قريته والقرى والمدن الأخرى، وقد حفظ - في شبابه المبكر- الكثير من متون أماتها بل من أمات الكتب الكبيرة، حتى القاموس المحيط - للفيروز أبادي- حفظ منه حتى حرف السين[2].

د - العلوم الإسلامية، من حديث شريف، وفقه، وأصول فقه، وتفسير، وعلم كلام وسيرة وأخلاق، وسواها من العلوم التي تدور في فلكها[3].

هـ- العلوم الكونية الطبيعية من فلك، وفيزياء وكيمياء، وعلم طبقات الأرض، وجغرافيا، وفلسفة حديثة، وتاريخ، ورياضيات، وسواها[4].

و - الغرب، وفكره المادي، وفلسفته القديمة أيام اليونان القدماء أو الإغريق، وفلسفاته الحديثة وكلها مادية المنطلقات والغايات. درسها، واستوعبها، واتخذ منها الموقف المناسب.

ز - أسفاره: فقد كان يتنقل في المدن والقرى، ويلتقي العلماء والوجهاء وعامة الناس، ورجال الحكم والإدارة، كرحلته إلى الأستانة (استنبول) والتقائه السلطان عبد الحميد الثاني، والسلطان رشاد والوزراء ومصطفى كمال، وكرحلته إلى طرابلس الغرب وبنغازي، حيث اتصل بالشيخ السنوسي، واطلع على تنظيمات الحركة السنوسية وزواياها، وتأثر بها، الأمر الذي جعله -بعد أن عاد إلى مدينة وان- يعمد إلى تشكيل فرق جهادية من طلابه وبعض المتطوعين، وقاتل بهم الجيش الروسي الذي اجتاح مدينة بتليس، فأُسر إثر جرح بليغ أصابه.

---

(1) المصدر السابق والصفحة.

(2) د. محسن عبد الحميد، النورسي الرائد الإسلامي الكبير، ص ١٣.

(3) المصدر السابق والصفحة.

(4) حياة النورسي، ص ١٠٢.

وكرحلته إلى بلاد الشام، والتقائه علماءها، وإلقائه خطبته الشامية البليغة في المسجد الأموي عام ١٩١١م وفيها شخّص أمراض الأمة الإسلامية، وعلاجاتها[١].

ح - ولكنّ المؤثر الأكبر في تكوينه الفكري والروحي والنفسي، إنما هو القرآن العظيم، فهو الأستاذ، وهو المرشد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وفيه يكون توحيد القبلة، لا في سواه.. يقول الأستاذ النورسي:

«إن بداية هذه الطرق جميعها، ومنبع هذه الجداول كلّها، وشمس هذه الكواكب السيارة.. إنما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي لا يكون إلا في القرآن الكريم.. فالقرآن أسمى مرشد، وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن، واعتصمت به واستمددت منه (فالكلمات) والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) ليست مسائل علمية فحسب، بل هي مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية، فهي بمثابة علوم إلهية نفسية، ومصارف ربانية سامية»[٢].

هذه هي المؤثرات الاجتماعية والثقافية التي عملت على تكوينه الفكري، فجعلت منه عالم عصره، وأهّلته لاقتحام ميادين الحياة الفكرية والعقدية والسياسية.

ولا نستطيع إغفال جهده الشخصي في هذا التكوين البديع، الذي جعله ينال الإجازة العلمية من الشيخ محمد جلالي وهو ابن أربع عشرة سنة، بعد أن تبحّر في العلوم العقلية والنقلية، وحفظ ثمانين كتاباً من أمّات العلوم العربية والإسلامية.. هذا التكوين هو الذي أهّله لخوض سائر جوانب الحياة الفكرية والعقدية، وتبيين رأي الشرع في العديد من المسائل الدقيقة، كالقضاء والقدر، وحكمة خلق الإنسان، والعالم، والروح، ودمار العالم ومسائل المسيح الدجال، ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، وظهور المهدي، وشخصية الخضر، ومسائل أخرى حول الملائكة، والجن، وأشراط الساعة، وثواب الأعمال، وغيرها كثير من المسائل الغيبية، تقرؤها في مجموعة (الطلاسم)[٣] وسواها من كتاباته التي تؤكد أنه عالم لا يشق له غبار، بل بحر من العلم لا ساحل له.

---

(١) الصالحي، ص ٣٦.

(٢) المكتوبات، ص ٤٥٩.

(٣) الصالحي، ص ١٩١.

منهجه في التعامل مع الخلافات الفكرية

يقول الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمّة واحدة، ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم﴾[1].

فالاختلاف ظاهرة طبيعية لتباين العقول والمدارك والتصورات والأفكار، «وكل تلك الأمور تفضي إلى تعدد الآراء والأحكام، وتختلف باختلاف قائليها»[2] وقد تباينت آراء العلماء في الاختلاف؛ فمنهم من عدّه شراً كلّه كابن مسعود -رضي الله عنه- ومنهم من قال: «إن الرحمة تقتضي عدم الاختلاف» كالسبكي الذي تسامح في الاختلاف في الفروع، وإن كان الاتفاق فيه خيراً من الاختلاف، أما ابن حزم -رحمه الله- فقد ذمّ الاختلاف، ولم يجعل شيئاً منه رحمة، بل عدّه كلّه عذاباً، ومع ذلك ظهر الاختلاف منذ عصر الصحابة -رضي الله عنهم- واستمر إلى يومنا هذا، ولكن العلماء وضعوا له ضوابط، استنبطوها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، كالعدل، والإنصاف، والاجتهاد في الوصول إلى الحق والمجادلة بالحسنى، والموضوعية، والبعد عن الإفحاش في القول، أو السخرية من الطرف الآخر، والتجرد عن الهوى، وما إلى ذلك من الضوابط التي تحافظ على روح الأخوّة، وتلتزم التقوى، وتقلل من حجم الخسائر. والله سبحانه يعلمنا كيف نتعامل مع الذين نختلف فكرياً معهم من الناس، فيقول:

﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[3]، ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[4]، بل ويقول سبحانه: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾[5].

والنورسي رجل قرآني ،ومنهجه - في سائر أحواله- هو المنهج الذي نصّ عليه القرآن، ولذلك نراه يتعامل مع مخالفيه في الرأي بموضوعية. لا يتعصب لرأي ولا ينحاز لفريق دون آخر فيما اختلف فيه الناس، كالموقف من الأولياء، وأصحاب الكرامات، والشخصيات التي تُكلّم فيها، كالشيخ محي الدين بن عربي وسواه،

---

(1) سورة هود آية ١١٨ - ١١٩.

(2) د. طه العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص ٣٠ - ٣١.

(3) سورة النحل: ١٢٥.

(4) سورة البقرة: ٨٣.

(5) سورة الجاثية: ١٤.

وكأصحاب الجذب من الصوفية.. يجادل هؤلاء باللين، وبالتي هي أحسن -غالباً- إلا إذا وجد شططاً أو خروجاً عن دين الله، فإنه يثور، ويحتدّ، ويشتدّ.

يقول الأستاذ النورسي حول الخلافات في القضايا الاجتهادية، فيما ليس فيه نصّ صريح:

«إن تسعين في المئة من أحكام الشريعة مسلَّمات وضروريات دينية، شبيهة بأعمدة من الألماس.

أما المسائل الاجتهادية الخلافية الفرعية، فلا تبلغ إلا عشرة في المئة. فلا ينبغي أن يكون تسعون عموداً من الألماس، تحت حماية عشرة منها من ذهب، ولا تابعة لها.

إن معدن أعمدة الألماس وكنزها: الكتاب والسنة، فهي ملكهما، ولا تُطلب إلا منهما.

أما الكتب الأخرى، والاجتهادات، فينبغي أن تكون مرايا عاكسة للقرآن، أو مناظير إليه ليس إلا، إذ إن تلك الشمس المنيرة المعجزة، لا ترضى لها ظلاً ولا وكيلاً»[1]. فعوامل الاتفاق تسعة أضعاف عوامل الاختلاف، وهي جديرة بأن تجمع المسلمين ولا تفرقهم، ولا ينبغي لها إلا أن تكون كذلك.

ونستطيع تلخيص منهجه الذي التزمه طوال حياته، تجاه مخالفيه في الرأي، بالنقاط التالية:

١ - لا يذكر أسماء الأشخاص والهيئات التي ينتقدها، أو يردّ عليها وعلى ما أثارته من شبهات حول الإسلام.

٢ - لا يشرح الشبهة، ولا يبسط المسألة التي سيردّ عليها، حتى لا يشوّش العقول، ويعكّر القلوب، بل يكتفي بالردّ عليها، ودحضها بالأدلة والبراهين.

٣ - يستخدم أسلوب الاستثناء في الردّ. مثلاً عندما يهاجم الأستاذ أوروبا وحضارتها، لا يهاجمها ككل، بل يستثني منها الطيب النافع، ويشدّد هجومه على القسم الفاسد منها، وكذلك الأمر في موقفه من القومية، عندما هاجم النوع السلبيّ منها، واستثنى الجانب الإيجابي.

٤ - الحذر فيما يكتب ويردّ، حتى لا يقع هو ورسائله وتلاميذه فرائس سهلة في أيدي المتربصين به وبدعوته.

---

[1] الكلمات، ص ٨٤٦.

٥ – اللين مع العلماء ومشايخ الصوفية، والشدّة والحدّة مع الملاحدة من علمانيين وقوميين وبلاشفة ودعاة التغريب.

٦ – وضع أسساً وقواعد للبحث العلمي، والتزمها في مباحثه وردوده، ودعا الآخرين إلى الالتزام بها، ليقلل من تشعب الخلافات، وهي:

أ – أن يسبر الباحث غور الموضوع.

ب – أن يتجرد من المؤثرات الزمانية.

جـ – أن يغوص إلى أعماق الماضي، للحصول على تجارب الآخرين.

د – أن يزن الأمور بموازين منطقية بحتة، دون تدخل العواطف.

هـ – أن يفتش عن منبع ومصدر كل شيء في بحثه.

وفيما يلي بعض القضايا التي تتضارب حولها الآراء، واختلف فيها النورسي مع الآخرين:

١ - **التصوف:**

كان الإمام النورسي من أزهد الناس في عصره، بل إن الذين كانوا في مثل زهده قلائل «ولكنه لم يكن صوفياً، ولا صاحب طريقة صوفية مطلقاً. لذا فليست رسائل النور رسائل صوفية، ولا طلابها من الصوفيين . إذ كان الأستاذ يقول دائماً: ليس هذا العصر بعصر تصوف وطريقة، إنما هو عصر إنقاذ الإيمان..»[1]. ويقول:

«إني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني، والنقشبندي والإمام الرباني، وأمثالهم من أقطاب الإيمان– رضوان الله عليهم أجمعين– أجل.. لو كان هؤلاء في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية، والعقائد الإسلامية، لأن منشأ السعادة الأبوية فيهما، وإن أي تقصير–مهما كان– فيهما، يعني الشقاء الأبدي»[2].

لماذا؟ لأن «قبول أقوال الأشخاص العظام لا يفيد اليقين ولا القطعية– في علم المنطق– بغير دليل، بل ربما تكون قضية مقبولة يقتنع بها الإنسان بالظن الغالب. أما البرهان الحقيقي –كما هو في المنطق– فلا ينظر إلى مكانة الشخص القائل، وإنما إلى الدليل الذي لا يُجرح.

---

(١) الصالحي، ص ٢٠٢.

(٢) المكتوبات، ص ٢٠

فجميع رسائل النور من هذا القسم، أي من البرهان اليقيني. وإن ما يراه أهل الولاية الصوفية من الحقائق في العمل والعبادة والسلوك والرياضة الروحية، وما يشاهدونه من الحقائق الإيمانية وراء الحجب، فرسائل النور أيضاً مثلهم، غير أنها في موضع العلم شقّت طريقاً إلى الحقيقة من خلال العلم، وفي موضع السلوك والأوراد فتحت سبيلاً إلى حقيقة الحقائق، ضمن براهين منطقية، وحجج عقلية.. لذا فقد انتصرت على الضلالات الفلسفية المعاصرة، وتغلّبت عليها، في حين أن تيار (الحقيقة) و (الطريقة) قد تراجع أمامها»[1].

إنه يردّ ويقارن ويبيّن الفرق بين نهج مدرسة النور، ونهج المتصوفة، في هدوء، وعقلانية، ومنطق، ولكننا نراه في موقف آخر، يثور بأصحاب البدع، ويعدّهم من جملة العاملين على هدم صروح هذا الدين. اسمعه يصرخ بهم:

«يا علماء السوء البائسين الذين يصدق عليهم اسم (الصادق الأحمق)

ويا أيها الصوفيون الجهلاء المجذوبون الفاقدون للعقل:

إن شجرة طوبى الإسلام قد ترسّخت عروقها في صلب الكون وحقيقته، وبثّت جذورها في ثنايا حقائق الكون كلّه، فهذه الشّجرة العظيمة لا يمكن غرسها في تراب العنصرية الموهومة المؤقّتة الجزئيّة الخصوصيّة السلبيّة، بل التي لا أساس لها أصلاً، وهي المشحونة بالأغراض الظالمة المظلمة، وإن السعي لغرسها هناك، محاولة بدعية هدّامة رعناء»[2].

وحُقَّ للنورسي أن يخاطبهم بهذه اللهجة العالية، حتى يعودوا إلى رشدهم الذي فقدوه بسيرهم في ركاب القوميين المنحرفين، بحجة أنهم يغرسون الدين في مزرعة القومية، وهم كاذبون في هذا، سادرون في غيّ القوميين العلمانيين أعداء هذا الدين. والملاحظ أنه لم يذكر اسماً بعينه من أولئك العلماء الضالين، والمشايخ الغاوين.

٢ - قضية الاجتهاد:

هذه القضيّة الاجتهادية أثارت -وما تزال تثير- جدلاً شديداً حولها، من مُغْلق لباب الاجتهاد، رافض تحت أي ذريعة أن يفتحه، وبين داع إلى فتح مغاليق تلك الأبواب، فالذين اجتهدوا رجال، و(نحن) رجال، الأئمة: أبو حنيفة، ومالك،

---

(١) الصالحي، ص ٢٠٤، نقلاً عن ملحق أمير داغ: ص٩٠.

(٢) المكتوبات، ص ٥٦٥ - ٥٦٦

والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، والثوري، وابن عيينة، وسواهم من الأئمة المجتهدين (رجال)، ودعاة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه (رجال) وإن كان كثير منهم لا يقيم عبارة.. وقد أدلى الأستاذ النورسي بدلوه في هذه القضية المهمّة، وناقشها بعقلانية ووعي للواقع المعيش فقال، دون أن يذكر آراء الآخرين، أو يشرح وجهات نظرهم:

«إن باب الاجتهاد مفتوح، إلا أن هناك ستة موانع في هذا الزمان تحول دون الدخول فيه:

١ – حتى لا نمهّد للمتسلّلين والمخرّبين باسم الاجتهاد، ولاسيّما في زمن المنكرات، ووقت هجوم العادات الأجنبية، واستيلائها، وأثناء كثرة البدع، وتزاحم الضلالات، ودمارها.

٢ – إن الجوانب النظرية للإسلام قد استغنت بأفكار السلف الصالح، وتوسّعت باجتهاداتهم الخالصة، حتى لم تعد تضيق بالعصور جميعاً، فالانصراف عنها إلى اجتهادات جديدة اتباعاً للهوى، هو خيانة مبتدعة.

٣ – العالم الذكيّ في العصر الحاضر: قد غرق فكره في مستنقع الفلسفة المادية، وسرح عقله في أحداث السياسة، وصار قلبه أمام متطلّبات الحياة المعيشية، وابتعدت استعداداته عن الاجتهاد. وبهذا ابتعد عن القدرة على الاجتهادات الشرعية، بمقدار تفننه في العلوم الأرضية الحاضرة، وقصّر عن نيل درجة الاجتهاد، بمقدار تبحّره في العلوم الأرضية.

٤ – تطلُّعُ الذين استحبّوا الحياة الدنيا إلى الاجتهاد، وتلوّثوا بالفلسفة المادية: وسيلةٌ إلى تخريب الوجود الإسلامي.

٥ – هناك ثلاث نقاط تدعو إلى التأمل والنظر، تجعل اجتهادات هذا العصر أرضية، وتسلب منها روحها السماوي، بينما الشريعة سماوية، والاجتهادات بدورها سماوية، لإظهارها خفايا أحكامها:

أولاً: إنّ (علّة) كل حكم تختلف عن (حكمته) فالحكمة والمصلحة سبب الترجيح، وليست مناط الوجود، ولا مدار الإيجاد، بينما (العلة) هي مدار وجود الحكم.

(وضرب مثلاً بقصر الصلاة في السفر).

«تُقصر الصلاة في السفر، فتُصلى ركعتان، فعلّة هذه الرخصة الشرعية: السفر. أما حكمتها: فهي المشقّة، فإذا وُجد السفر ولم تكن هناك مشقة، فالصلاة تُقصر، لأن العلة قائمة، وهي السفر. في حين إن لم يكن هناك سفر، وكانت هناك أضعاف المشقة، فلن تكون تلك المشقات علّة القصر.

وخلافاً لهذه الحقيقة، يتوجّه نظر الاجتهاد في هذا العصر إلى إقامة المصلحة، والحكمة، بدل العلة، وفي ضوئها يصدر حكمه. فلا شك أن اجتهاداً كهذا أرضيّ وليس بسماويّ.

ثانياً: إن نظر هذا العصر متوجه أولاً وبالذات إلى تأمين سعادة الدنيا، وتوجّه الأحكام نحوها، والحال أن قصد الشريعة متوجّه أولاً وبالذات إلى سعادة الآخرة، وينظر إلى سعادة الدنيا بالدرجة الثانية.

ثالثاً: إن القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) ليست كليّة، لأنّ الضرورة إن كانت ناشئة عن طريق الحرام، لاتكون سبباً لإباحة الحرام.

وحيث إن أهل اجتهاد هذا الزمان قد جعلوا تلك الضرورات مداراً للأحكام الشرعية، لذا أصبحت اجتهاداتهم أرضية، وتابعة للهوى، ومشوبة بالفلسفة المادية، فهي إذن ليست سماوية، ولا تصح تسميتها اجتهادات شرعية قطعاً.

٦ – قرب عهد المجتهدين الأوائل من عصر الحقيقة والنور، يسّر لهم أن يأخذوا النور الصافي من أقرب مصادره، فتمكنوا من القيام باجتهاداتهم الخالصة، في حين أن مجتهدي العصر الحديث ينظرون إلى كتاب الحقيقة من مسافة بعيدة جداً، حتى ليصعب عليهم أن يروا أوضح حرف فيه.

والخلاصة: «أما جزئيات الأحكام غير المنصوص عليها، التي تقتضي التبديل تبعاً للظروف، فإن اجتهادات فقهاء المذاهب كفيلة بمعالجة التبديل.»

«تعددت المذاهب لعجز البشرية عن الوصول إلى مستوى واحد في حياتها الاجتماعية»[1].

---

[1] الكلمات، ص ٥٦٢ – ٥٦٩ باختصار.

ثم يقول أخيراً:

«كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد، وحائز على شروطه، له أن يجتهد لنفسه، في غير ماورد فيه النص، من دون أن يلزم الآخرين به، إذ لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الأمة إلى مفهومه، إذ فهمه يُعدُّ من فقه الشريعة، ولكنه ليس الشريعة نفسها.

لذا.. ربما يكون الإنسان مجتهداً، ولكن لايمكن أن يكون مشرّعاً. فالدعوة إلى أي فكر كان، مشروط بقبول جمهور العلماء له، وإلا، فهو بدعة مردودة، تنحصر بصاحبها ولا تتعدّاه، لأن الإجماع، وجمهور الفقهاء، هم الذين يميزون ختم الشريعة عليه»[1].

إنه يناقش القضية مناقشة علمية هادئة، منطلقة من واقع حال علماء المسلمين في عصره، لا يحجر على أحد، ولا يغلق ما حقّه الفتح، ولا يفتح ما حقُّه الغلق.. درس المسألة من جميع جوانبها، وسبر أغوارها، حسب قواعد البحث العلمي الذي ارتآه، دون أن يبسط آراء الآخرين القائلين بفتح باب الاجتهاد دون قيود وشروط. إنه عالم رباني، عرف زمانه، واستقامت طريقته.

٣ - العلماء والوعّاظ.

لم يَغفل الأستاذ النورسي عن واقع العلماء والوعّاظ الذين يتصدّون لتعليم الناس وإرشادهم، ووعظهم، بل شرح واقعهم، وشخّص أمراضهم، ووصف لهم العلاج الناجع، ليؤدّوا مهمّتهم على خير وجه، من غير تسمية واحد منهم، أو تجريح هيئة علمية معيّنة، فقال:

«لقد استمعت إلى الوعاظ، فلم تؤثّر فيّ نصائحهم ووعظهم، فتأملت في السبب، فوجدت أن هناك ثلاثة أسباب، علاوة على قسوة قلبي:

الأول: أنهم يتناسون الفرق بين الحاضر والماضي، فيبالغون كثيراً في تصوير دعاواهم، محاولين تزويقها، دون إيراد الأدلة الكافية التي لابدّ منها للتأثير وإقناع الباحث عن الحقيقة. فالزمن الحاضر أحوجُ إلى إيراد الأدلة.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٤٨.

الثاني: أنّهم عند ترغيبهم في أمر ما، وترهيبهم منه، يُسقطون قيمة ما هو أهمّ منه، فيفقدون -بذلك- المحافظة على الموازنة الدقيقة التي هي في الشريعة، (أي بين المهمّ والأهم).

الثالث: إن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، هي أرقى أنواع البلاغة، فلا بدّ أن يكون الكلام موافقاً لحاجات العصر. إلا أنهم لا يتكلمون بما يناسب تشخيص العلة لهذا العصر، وكأنهم يجرّون الناس إلى الزمان الغابر، فيحدّثونهم بلسان ذلك الزمن».

ثم يأتي توجيهه لهم، وإرشاده إياهم إلى الأسلوب الأمثل فيقول:

«فعلى الوعّاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محقّقين، كي يتمكّنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضاً حكماء مدقّقين، كي لا يفسدوا توازن الشريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين، كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بموازين الشريعة»[1].

كلام مقنع، يرضاه حتى العلماء الموجَّه إليهم هذا النقد، بأن كلاً منهم يستطيع أن يزعم أنه موجَّه لغيره، ثمّ لأنه نقد موضوعي قائم على وعي ودراسة ودراية لواقع الحال.

وتعيد رسائل النور وتكرر الدعوة إلى الوفاق والتصالح بين المدارس المختلفة، يقول الأستاذ النورسي: «ولقد قلت مئة مرة، وأعيدها أيضاً: إنه لا بدّ من الوفاق والتصالح بين أهل المدارس الفقهية، والمدارس الحديثة، والزوايا الصوفية، لأجل وحدة الهدف، وذلك بتبادل الأفكار، وميل بعضها إلى بعض، ذلك أننا نرى -مع الأسف- أن تباين أفكارهم، كما أنها تفرّق الصفّ، فإنها توقف الرقيّ والتقدم كذلك»[2].

وهكذا تبيّن لنا منهجه العلمي المنطقي القائم على دراسة واقع الحال للمخالفين له في الفكر، من المحسوبين على الإسلام، ومن بعض القضايا الإسلامية، وهو لا يعوّل فيه على بسط آرائهم ونظرياتهم، إلا من خلال مناقشتها، ودحض المخطىء منها، في لين حيناً، وفي حدّة حيناً آخر، حسب مقتضى الحال.

---

(1) المحكمة العسكرية العرفية، ص ٦٩.

(2) المناظرات، ص ٨٢.

٤ - موقفه من الأطروحات العلمانية:

العلمانية بضاعة غربية، وربما يهوديّة، صدّرها من صدّرها إلينا، واستوردها المستغربون الذين كانوا يحجّون بعقولهم وقلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وعواطفهم نحو أوروبا، استوردوها -على علاّتها- من هناك، وحاولوا تطبيقها على المجتمع المسلم في تركيا، كما شاء لهم أساتذتهم وشاء لهم الهوى، فباسمها اضطهدوا المسلمين، وقهروهم وأرغموهم على تنفيذ ما ترشّح عنها من قرارات جائرة كافرة، ومن سلوكيات فاسقة، ومن ظلم وسجن وقتل وتشريد.

وكانت جمعية (تركيا الفتاة) ووصيفتها جمعية (الاتحاد والترقي) من أوائل من تبنّى العلمانية في بلاد المسلمين عامة، وفي تركيا خاصة، وحاول أعضاؤها الذين كانوا يتلقون التعليمات والأوامر من المحافل الماسونية في سلانيك، ومن خارج الحدود -حاولوا ثم عملوا على عزل الدين عن الحياة.. عن الدولة ودوائرها، وعن التعليم في مراحله المختلفة. وقد تصدّى لهم النورسي الذي ما كان يأوي إلا إلى ركن الله الشديد، وبيّن لهم خطأهم هذا في كثير من كلماته ومرافعاته وخطبه، وكلما أتيحت له فرصة الحديث، للتشنيع عليهم. ومنها قوله:

«إن خطأ (تركيا الفتاة) نابع من عدم معرفتهم أن الدين أساس الحياة، فظنّوا أن الأمة شيء، والإسلام شيء آخر، وهما متمايزان، ذلك لأنّ المدنيّة الحاضرة أوحت بذلك، واستولت على الأفكار بقولها: إن السعادة في الحياة نفسها، إلا أن الزمان أظهر الآن أن نظام المدنية فاسد ومضرّ. (أي المدنية الظالمة الملحدة التي تعاني السكرات)، وأن التجارب القاطعة أظهرت أن الدين حياة للحياة، ونورها وأساسها.. إحياء الدين إحياء لهذه الأمة، والإسلام هو الذي أدرك هذا..

إن رقيّ أمتنا هو بمقدار تمسّكها بالدين، وتدنّيها وسقوطها بمقدار إهمالها له، بخلاف الدين الآخر.. هذه حقيقة تاريخية قد تُنوسيت»[1].

ونلاحظ هنا أن الأستاذ ذكر جمعية تركيا الفتاة بالاسم، مع أنه -في أكثر رسائله- يتجنّب ذكر الهيئات والشخصيات بالاسم، ولكن الذي يقرأ ما يكتبه أو يلقيه، يستطيع معرفة المراد من كلامه.. وهو بهذا الأسلوب الحصيف الذي ألزم به

---

[1] الكلمات، ص ٨٦١.

نفسه وطلاب النور، استطاع النجاة -بفضل الله- من أولئك الحكام الذين حرّموا على الناس نقد العلمانية.

في شهر تشرين الأول عام ١٩٢٦م وافق البرلمان التركي على مجموعة من القوانين المنافية للإسلام ، المناوئة لتعاليمه وأحكامه، هي:

١ - تحريم تعدد الزوجات.

٢ - إلغاء المهر، وعدم فرضه على الزوج.

٣ - إلغاء حقّ الزوج في الطلاق.

٤ - حرية زواج المسلمة التركية من نصراني أو يهودي، دون التقيد بشرط الإسلام.

٥ - التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث.

٦ - إلغاء نظام الإرث بالتعصيب، والإرث بالقرابة البعيدة.

٧ - وضع حدّ لسنّ الزواج.

٨ - إلغاء نظام فصل النساء عن الرجال في الحافلات والقطارات والسفن والمراكب ودور السينما[1].

وبناء على هذه القرارات التي تبيّن توجّهات رجال الحكم الجمهوري العلماني، وبعد إلغاء المحاكم الشرعية، وقانون الشريعة الإسلامية، وإقرار العمل بالقانون المدني السويسري - دبّت الفوضى في المجتمع التركي الذي أصبح ساحة مفتوحة أمام الغزو الفكري الأوربي، فانتشرت العادات الأوربية في ذلك المجتمع المهزوم، وصارت بديلاً للعادات والأخلاق الإسلامية، نذكر منها:

- انتشار الفسق والفجور على نطاق واسع، وكان للصحافة السياسية والأدبية دورها الكبير في الترويج لها.
- الاحتفال بالأعياد الغربية، كعيد رأس السنة الميلادية وسواه.
- دخول العادات الغربية بمناسبات الفرح والعزاء، كالموسيقى، والرقص، والخمور، والاختلاط، والتبرّج، والسّفور.
- انتشار أماكن بيع الخمور، والدعاية لها.

---

(١) د. فرج محمد الوصيف، بديع الزمان سعيد النورسي، ص ٣٦، نقلاً عن جهان أقطاش، اللبس والحكومة منذ التنظيمات إلى اليوم، ص ١٧٨.

- انتشار أندية القمار، والدعاية لها.
- انتشار البنوك الربوية بشكل عجيب، في كلّ المدن والبلدات وكثير من القرى.

وصدرت قرارات بلبس القبعة، بدلاً من العمامة، وبإيفاد البنات إلى أوربا بدون محارم، باسم العلم، وصدر قرار بنفي البنات الأبكار إلى خارج الحدود التركية، لإرغامهن على العهر، وقرار بتفكيك الأسرة، واعتبار الأولاد مسؤولين عن أنفسهم في سنّ معينة، الأمر الذي تسبّب في تسيّب أخلاقي فظيع، كما عمل على عقوق الوالدين، إلى جانب القرار الذي يلزم النساء بالسفور والاختلاط، وبقصر الوظائف على المعادين للدين، وإلغاء الحروف العربية، وتتريك الأذان والقرآن الكريم، إلى آخر ما هنالك من موبقات الحكومة الكمالية.. كل هذه الأوضاع المحزنة في تركيا، عاصرها بديع الزمان، فاعتصر لها قلبه ألماً وحزناً، وكانت محرّكاً قوياً له في دعوته»[1]. وسوف نطالع مواقفه الشجاعة والعلمية على الأطروحات العلمانية التي كانت تعجّ بها الصحافة والأندية والمحافل والشوارع والأماكن العامة، وكان يتولى كِبْرها الحاكمون بأمر سادتهم من يهود ونصارى ومستغربين وقوميين وعلمانيين وبلاشفة.

٥ - التغريب:

بدأت حركة التغريب منذ عهد التنظيمات (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)، ووصلت إلى أبعد أمدائها في عهد الكماليين، ونستطيع أن نحصي بعض أسباب نشوئها وتطورها بالتالي:

أ. المبتعثون إلى أوربا من أجل الدراسة وسواها.

ب. المؤسسة العلمية لوضع الخطط والمناهج التي أسست عام ١٨٥١م.

جـ. مكتب الترجمة (١٨٣٢م) الذي اعتمد على أبناء الأقليات، ثم تحوّل إلى مدرسة فكرية ترمي إلى نشر الفكر الغربي.

د. الغربيون المستقدمون للعمل في المدارس والكليات العسكرية.

هـ. موظفو السفارات المبتعثون إلى أوربا.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤١.

و. الجمعيات الفرنسية في كل من فرنسا واستانبول.

ز. المؤسسات التعليمية الأجنبية في استانبول[1].

وكان من مظاهر التغريب -إضافة إلى ما تقدم- في عهد الكماليين:

أ - الطعن بالإسلام ونبيّه المصطفىﷺ.

ب - النيل من علماء الدين.

جـ - الدعوة إلى تغريب ما بقي من العبادات والأوامر الإلهية، كالدعوة إلى أن تصاحب الموسيقى ما في الصلوات من قراءة وأدعية، لإضفاء أجواء (روحانية) على تلك الطقوس (زعموا) وكوضع الكراسي والمنصات في المساجد.

د - تطويع الأدب ليكون أداة لنشر الأفكار الإلحادية، والجنس والعهر، فيما يسمّى الأدب المكشوف.

هـ - تغريب التعليم، وإلغاء التعليم الديني.

و - استبدال النعرة القومية بالدين.

ز - زيادة نشاط الاستشراق[2].

هذا النشاط المحموم لحركة التغريب أذهلت كثيرين، وأحبطت كثيرين، وساقت في ركابها عدداً من المهزومين من الداخل، من علماء الدين وأشباههم، ولكنه كان محرّضاً للإمام النورسي، ودافعاً إياه من أجل التصدّي لهؤلاء، والردّ عليهم بمنطقية وعقلانية، وعِلْم الدارس للحضارة الغربية، وفلسفتها القديمة والحديثة، ولدينها النصراني، ولتوجّهاتها الاستعمارية، ومنطلقاتها وتطلعاتها المادية.. وقد فنّد كلّ ذلك بعشرات المقالات والمباحث الباهرة التي كان يقارن فيها بين المدنيّة الغربية المادية، والمدنيّة الإسلامية التي تسدّ حاجات الإنسان المادية، وترضي أشواقه الروحية.

يقول الأستاذ في (المَثْنَويّ العربيّ النّوريّ) لأولئك الأتراك المسلمين المستغربين «إن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق، وأكثر الفلاسفة في الغرب، رمز للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقوّمه إنما هو الدين والقلب، وليس العقل والفلسفة»[3].

---

(1) المصدر نفسه باختصار، ص ٤٢ - ٤٤.

(2) المصدر نفسه باختصار، ص ٤٧ - ٥٣.

(3) المثنوي، ص ١٩٧.

ويهاجم ذلك التيّار البدعي المترشّح من الجانب الخبيث للحضارة الأوربيّة، ويبشّر باضمحلال ذلك التيّار الذي سوف تسفيه الرياح، وينبّههم إلى أنّه «ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء، مع التهاون في الدين»، ويلفت انتباههم إلى أن العالم الإسلامي بُعدٌ استراتيجي مهم، وأن المسلمين الصادقين هم الذين يحبون الأتراك المسلمين، ويفرحون لانتصاراتهم على اليونان، وإذا عرف العالم الإسلامي بُعدكم عن الدين، فسوف ينصرفون عنكم، وعدم تمسككم بالدين يؤدي إلى العصيان والانشقاق، وإن الأعداء يحاولون تدمير شعائر الإسلام، مما يستوجب عليكم إحياءها، والمحافظة عليها، وإلا، فسوف تعينون -بغير شعور منكم- العدوّ المتحفّز للانقضاض عليكم.

وأوضح لهم أن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية، يفضي إلى ضعف الأمة، والضعف يغري العدوّ ويشجعه عليهم[1].

ويعرّي المدنية الغربية، وهو يقارن بينها وبين المدنية الإسلامية فيقول: «إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها:

* **فنقطة استنادها:** القوة بدل الحقّ. وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض. ومن هذا تنشأ الخيانة.
* **هدفها وقصدها:** منفعة خسيسة بدل الفضيلة. وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم. ومن هذا تنشأ الجناية.
* **دستورها في الحياة:** الجدال والخصام بدل التعاون. وشأن الخصام: التنازع والتدافع. ومن هذا تنشأ السفالة.
* **رابطتها الأساس بين الناس:** العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوّى بابتلاع الآخرين. وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد. ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.
* **وخامستها:** هي أن **خدمتها الجذابة**، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، واتباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية، وتمسخ مسخاً معنوياً.

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٩٨ - ٢٠٠

إن معظم هؤلاء المدنيين، لو قلبتَ باطنهم على ظاهرهم، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير.

نعم.. إن خيالك ليمس فراء تلك الحيوانات وجلودها.. وآثارهم تدل عليهم»[1].

أما أسس المدنية الإسلامية، فيقول عنها: «إنه لا ميزان في الأرض غير ميزان الشريعة.. إنها رحمة مهداة، نزلت من سماء القرآن العظيم».

أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية، تدور سعادتها على خمس أسس إيجابية:

* **نقطة استنادها:** الحقّ بدل القوة. ومن شأن الحقّ دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام، ويزول الشقاء.
* **وهدفها:** الفضيلة بدل المنفعة. وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب. ومن هذا تنشأ السعادة، وتزول العداوة.
* **دستورها في الحياة:** التعاون بدل الخصام والقتال. وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.
* **وخدمتها للمجتمع:** بالهدى بدل الأهواء والنوازع. وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به، مع تنوير الروح، ومدها بما يلزم.
* **رابطتها بين المجموعات البشرية:** رابطة الدين والانتساب الوطني، وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان. وشأن هذه الرابطة: أخوّة خالصة، وطرد العنصرية والقوميّة السلبيّة.

وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع ضدّ أي عدوان خارجي»[2]. ثم يتساءل: لماذا أعرض المسلمون عن المدنية الغربية؟ ويجيب: «لأنها لا تنفعهم، بل تضرّهم.

لأنّها كبّلتهم بالأغلال. بل صارت سُمّاً زُعافاً للإنسانيّة، بدلاً من أن تكون لها ترياقاً شافياً، إذ ألقت ثمانين بالمئة من البشرية في شقاء، لتعيش عشرة في المئة منها في سعادة زائفة. أما العشرة الباقية، فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء.

---

(1) الكلمات، ص ٨٥٥.

(2) المصدر نفسه، ص ٨٥٦.

وتتجمع الأرباح التجارية في أيدي أقليّة ظالمة، بينما السعادة الحقّة، هي في إسعاد الجميع، أو في الأقل، أن تصبح مبعث نجاة الأكثرية.

والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين، لايقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو للأكثريّة، بينما المدنيّة الحاضرة، قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حرٌّ طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبدّ، والشّهوة تتحكّم، حتى جعلت الحاجات غير الضروريّة في حكم الضروريّة. وهكذا مُحيت راحة البشريّة، إذ كان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن، وجعلته في حاجة إلى مئة حاجة وحاجة، حتى لم يعد السعي الحلال كافياً لسدّ النفقات، فدفعت المدنيّة البشرية إلى ممارسة الخداع، والانغماس في الحرام. ومن هنا فسدت أسس الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشريّة بهالة من الهيبة، ووضعت في يدها ثروة النّاس فأصبح الفرد فقيراً وفاقداً للأخلاق.

والشاهد على هذا كثير، حتى إن مجموع ما ارتكبته البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى، قاءتها واستفرغتها هذه المدنيّة الخبيثة مرّة واحدة، وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها»[1].

لقد قاءت في حربين عالميتين حتى لطخت بالدّم البرّ والبحر والهواء.

وإذا كان في المدنيّة الغربيّة محاسن، فهي «ليست من صنع هذا العصر، بل هي نتاج العالم، وملك الجميع، إذ نشأت بتلاحق الأفكار وتلاقحها، وحثّ الشرائع –ولا سيّما الشريعة المحمديّة– وحاجة الفطرة البشريّة.

فهي بضاعة نشأت من الانقلاب الذي أحدثه الإسلام، لذا، لايتملّكها أحد من النّاس»[2].

ثم يبيّن أن الإسلام يستعصي على الحضارة الغربية: «إن النور الإلهي في الشريعة الغرّاء، يمنحها خاصة مميزة، وهي الاستقلال الذي يؤدي إلى الاستغناء.

«هذه الخاصية لاتسمح أن يتحكم في ذلك النور دهاء روما الممثل لروح هذه المدنية، ولا يطعّم بها، ولا يمتزج معها. ولن تكون الشريعة تابعة لذلك الدهاء»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص ٨٥٦ – ٨٥٧.

(2) المصدر نفسه، ص ٨٥٩.

(3) المصدر نفسه، ص ٨٥٧.

فالنورسي «يرفض الأسس الثقافية في الحضارة الغربية، بدءاً من عصر اليونان إلى اليوم. ويحاول في رسائله كلها قطع جذور الثقافة الغربية وتأثيرها في الثقافة الإسلامية المعاصرة؛ لأنها انطلقت من مبادىء الفلسفات الجاحدة التي أوجدت حالة من القلق والفوضى الفكرية، والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي، مستغلة تأخر المسلمين، وجهلهم بدينهم»[1].

ولكن موقفه هذا ليس موقف الرافض لكل ما يأتي من الغرب، فهو – مثلاً – يميّز بين نوعين من الفلسفة الغربية.. الفلسفة الجاحدة التي ترفض الوحي الإلهي، وتنادي بالإلحاد، وهي فلسفة مادية كافرة مرفوضة. وبين الفلسفة المؤمنة الخادمة للدين التي تخدم الحياة الاجتماعية، وتعمق الأخلاق والمثل الإنسانية، وتمّهد للرقي الصناعي، فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن، فلا تعارضها، ولا يمكنها ذلك.

وكذلك موقفه من الجوانب العلمية من الحضارة الغربية، هو موقف المسلم الذي فرض عليه الإسلام أن يتحرك لاكتشاف قوانين الحياة، والاستفادة منها، لإقامة الحضارة، وبناء التقدم. ولذلك دعا المسلمين إلى الأخذ بأسباب الحضارة الصناعية، وإلى تبنّي التكنولوجيا الحديثة[2] وتبنّي العلوم الكونية الحديثة. قال الأستاذ رحمه الله: «ضياء القلب هو العلوم الدينية. ونور العقل هو الفنون المدنية – أي العلوم الكونيّة الحديثة – وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك»[3].

فإذا كان دعاة الاستغراب يريدون القضاء على العلوم الدينية، بزعم أنها رجعية متخلّفة..

وإذا كان بعض علماء الشريعة، وعامة الناس، يرون في العلوم الحديثة كفراً بواحاً يجب أن يبعدوا أبناءهم عنها في المدارس الحديثة.

فإن كان وسطاً بين هؤلاء وأولئك، يريد إقامة الجسور، لاهدم ما هو قائم منها. إنه من المدرسة الوسطية المعتدلة التي عرفت زمانها، واستقامت طريقتها، وراحت

---

(1) د. محسن عبد الحميد، النورسي، ص ٧١ – ٧٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(3) المثنوي، العربي النوري، ص ١٤.

تفتش عن ضالّتها، فنادى بالمزج بين هاتين، وطالب عامة الناس بأن يرسلوا أولادهم إلى المدارس الحديثة، فالعلوم الكونية ليست كافرة، بل هي تهدي إلى الله، وقد يكون مدرّسوها هم الكافرين والزنادقة.

وأخيراً نختم حديثنا عن موقفه من التغريب والحضارة الغربية والغرب بهذه المقولة الرائعة التي جاءت في خطبته الشامية سنة ١٩١١م:

«إن أمريكا وأوروبا حاملتان بالإسلام، فكما أن الإمبراطورية العثمانية كانت حاملة بأوربا فولدتْ، فلا بدّ أن يولد من أوروبا دولة للإسلام»[1] وليس بمستغرب أن يغزو الغربُ الشرق بالإسلام، في قابل الأيام.

٦ - القومية:

والقومية بأنواعها، الطورانية، والعربية، والسورية، والفرعونية، وسواها من القوميات الضيّقة، من نتاج الفكر الغربي التي استوردها دعاة التغريب والعلمانيون إلى بلاد المسلمين، مع أنها بضاعة كاسدة فات أوانها، وتخلّت عنها أوروبا منذ حين، ثمّ صدّرتها إلينا.

ودعاة القومية هم هم في طروحاتهم، بل العجب أن ترى رائد الدعوة إلى القومية العربية (ساطع الحصري) كان من أوائل من نادى بالقومية الطورانية في الأستانة، وحاول التنظير لها، وتأسيس مبادئها ومقوماتها وعناصرها، ثم جيء به إلى العراق وسورية ومصر، ليؤلّف العديد من الكتب التي تشرح نظرية القومية العربية.

وقد تنبّه بعض العلماء والمفكرين والسياسيين إلى خطورة هذه الدعوة التي سوف تمزّق الأمة الإسلامية شرّ ممزق، بل سوف تمزّق الشعب الواحد في القطر الواحد. فدولة كتركيا فيها الأتراك وفيها الأكراد وفيها العرب، وفيها غيرهم، ومثل هذه الدعوة العنصرية كفيلة بخلق المشكلات، وزرع العداوات بين أبناء الشعب الواحد، إذ سوف ينهض من كل عرق من ينادي بقوميته، فهذا قومي كردي، وذاك قومي عربي و.. و..

وكانت حساسية الأستاذ النورسي مفرطة في هذا، لأنه كردي ويعرف ما سيفكّر به قومه والأقوام الأخرى، ولذلك تصدّى لهذه الدعوة الغريبة، وردّ على

---

[1] عبد الفتاح أبو غدة، العلماء العزّاب، ص ٢٤٤.

دعاتها في العديد من المقالات والكتابات والرسائل، وفنّد مزاعم العرقية، والدماء الصافية، والأصل الواحد، فالشعوب اختلط بعضها ببعضها الآخر، بسبب الهجرات، ولم يعد في إمكان أحد إثبات صفاء العرق الواحد في أي شعب من شعوب العالم، ناهيك عن تركيا التي كانت إلى عهد قريب مركز الخلافة الإسلامية، وحامية حمى الإسلام والمسلمين، وموئل أبناء الأمة الإسلامية وملجأهم، وهم ينتمون إلى شعوب شتى. يقول الأستاذ:

«نقول لأولئك الذين يغالون في العنصرية، وفي القومية السلبية:

أولاً: لقد حدثت هجرات كثيرة جداً في بقاع الأرض كلها، ولا سيما في بلادنا هذه، منذ سالف العصور، وتعرّضت أقوام كثيرة إلى تغيّرات وتبدّلات كثيرة، ازدادت تلك الهجرات إلى بلادنا، بعد أن أصبحت مركزاً للحكومة الإسلامية، حتى حامت سائر الأقوام كالفراش حولها، وألقت بنفسها فيها، واستوطنتها فلا يمكن والحال هذه تمييز العناصر الحقيقية بعضها عن بعض، إلا بانفتاح اللوح المحفوظ.

لذا.. فبناء المرء أعماله وحميته على العنصرية لا معنى له ألبتة، فضلاً عن أضرارها».

ثم يبيّن لدعاة القومية الطورانية، فائدتين من مئات الفوائد التي تكسبها الحمية الإسلامية:

الأولى: أن الذي حافظ على حياة الدولة الإسلامية وكيانها -رغم قلة عدد أفرادها- تجاه جميع دول أوروبا العظيمة، هو هذا المفهوم النابع من القرآن الذي يحمله جيشها:

«إذا متُّ فأنا شهيد، وإذا قَتَلْتُ فأنا مجاهد» هذا المفهوم دفع أبناء هذا الوطن إلى استقبال الموت باسمين، ممّا هزّ قلوب الأوروبيين وأرهبهم.

تُرى. أيّ شيء يمكن أن يبرز في الميدان، ويبعث في روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء، وهم ذوو أفكار بسيطة، وقلوب صافية؟

أيّ عنصرية يمكن أن تحلّ محلّ هذا المفهوم العلوي؟

وأيُّ فكر غيره، يمكن أن يجعل المرء يضحّي بحياته وبدنياه كلّها طوعاً في سبيله؟

الثانية: الأمة الإسلامية كالجسد الواحد، وقد بكى ٣٥٠ مليون مسلم لسقوط هذه الدولة الإسلامية، وهذا ما حمل المحتلين الأوروبيين على الانسحاب من المناطق التي احتلوها منها، حتى لا يثيروا عليهم مشاعر مئات الملايين من المسلمين.

فهل تُستصغر هذه القوة الظهيرة المعنوية والدائمة لهذه الدولة؟

وهل يمكن إنكارها؟

تُرى.. أيّ قوة أخرى يمكن أن تحلّ محلّها؟

هذا هو ميدان التحدّي، فليظهروا تلك القوة.

لذا لا يجوز أن نجعل تلك القوة الظهيرة العظمى تعرض عنا، لأجل التمسك بقومية سلبية، وحمية مستغنية عن الدين.

«ونقول للذين يبدون حماسة شديدة للقومية السلبية: إن كنتم -حقاً- تحبّون هذه الأمة.. فعليكم أن تحملوا في قلوبكم غيرة تسع الإشفاق على غالبية هذه الأمة، لا على قلّة قليلة منها.. إذ الحمية بمفهوم العنصرية يمكن أن تجلب النفع والفائدة لاثنين من كل ثمانية أشخاص، فائدة مؤقتة، فينالون مالايستحقون من الحمية، أما الستة الباقون، فهم محرومون»[1].

وأحياناً لا يملك إلا أن يصرخ بملء فيه، في وجوه أولئك القوميين أهل البدع: «يا أدعياء القومية السّكارى! إن العصر السابق، ربّما كان يُعدُّ عصر القومية، أمّا هذا العصر، فليس بعصر القومية، إذ إن مسائل البلشفية والاشتراكية تستحوذ على الأفكار، وتحطم مفهوم العنصرية، فقد ولى عصر العنصرية.

واعلموا أن ملّيّة الإسلام الدائمة الأبدية، لا ترتبط مع العنصرية المؤقتة المضطربة، ولا تلقح بلقاحاتها. وحتى لوحدث هذا التطعيم بلقاحات العنصرية، فإنها تفسد أمة الإسلام»[2].

٧ - وهكذا ديدن الأستاذ النورسي في مواجهة التيارات المعادية للإسلام، كالاشتراكية والشيوعية والصهيونية والمذاهب الوضعية، والفلسفات المادية الطبيعية، وما إليها من تيارات ضجّ بها هذا القرن، وضجّت منها بلاد

---

(١) المكتوبات، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٦.

المسلمين، يقول بديع الزمان: «إن الخطط المرسومة ضدّ الإسلام من قبل الشيوعية والصهيونية قد أخفقتها رسائل النور».

ثم يقول: «إن مجابهة أولئك، والتصدي لهم، أو حتى النقاش معهم، لا يكون إلا بقراءة رسائل النور، فالرسالة الواحدة تقابل آلاف الخطط الخفية ضدّ الإسلام، لأنها تخاطب جميع الطبقات. ابتداء من الأمي، وانتهاء بالفيلسوف»[1].

ويخاطب المفكرين الظلاميين من عبّاد الفكر الغربي والعلماني المعادي للإسلام:

«على المفكرين الذين غشيهم ظلام، أن يدركوا الكلام الآتي: لا يتنوّر الفكر من دون ضياء القلب، فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلام دامس، يتفجّر منه الظلم والجهل، فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نور الفكر) زوراً وبهتاناً.

ففي عينك نهار، لكنه بياض مظلم، وفيها سواد، لكنّه منوّر. فإن لم يكن فيها ذلك السواد المنوّر، فلا تكون تلك الشحمة عيناً، ولا تقدر على الرؤية.

وهكذا.. لا قيمة لبصر دون بصيرة، فإن لم تكن سويداء القلب في فكرة بيضاء ناصعة، فحصيلة الدماغ لا تكون علماً ولا بصيرة.. فلا عقل دون قلب»[2].

وكان أولئك المفكرون الظلاميون، سماسرة الظلم الإنساني، يروّجون للربا وللبنوك الربوية، ويسخرون من الزكاة والصدقات، فانبرى لهم، وبيّن فساد القائلين بمدنيّة الربا، ورجعية الدين الآمر بالزكاة، وفساد ما يدعون إليه، وظلمه، فقال: «الربا يسبّب العطل، ويطفىء جذوة الشوق إلى العمل.

إن أبواب الربا ووسائطه (هذه البنوك) إنما تعود بالنفع إلى أفسد البشر وأسوئهم، وهم الكفار، وإلى أسوأ هؤلاء وهم الظلمة، وإلى أسوأ هؤلاء وهم أسفههم.

إن ضرر الربا على العالم الإسلامي ضررٌ محض. والشرع لا يرى تحقيق رفاهية البشر قاطبة في كل حين، إذ الكافر الحربيّ لا حرمة له، ولا عصمة لدمه»[3].

«فإن أرادت البشرية دوام الحياة، فعليها أن تستمسك بالزكاة، وتطرد الربا، إذ إن عدالة القرآن واقفة بباب العالم، وتقول للربا: (ممنوع. لا يحق لك الدخول. ارجع).

---

(1) أسيد إحسان قاسم، ذكريات عن سعيد النورسي، ص ١١٥.

(2) الكلمات، ص ٨٤٨.

(3) المصدر نفسه، ص ٨٧٧ – ٨٧٨.

ولكنّ البشرية لم تصغ إلى هذا الأمر، فتلقّتْ صفعة قوية (الحرب العالمية الثانية) وعليها أن تصغي إليه، قبل أن تتلقّى صفعة أخرى أقوى وأمرّ»[1].

وأخيراً اسمعه وهو يتحدث عن الطريق غير المشروع، وكيف أنه يؤدي إلى خلاف المقصود، فيقول لعشّاق أوروبا وحضارتها المادية العارية من الأخلاق: «القاتل لا يرث» دستور عظيم.

إن الذي يسلك طريقاً غير مشروع لبلوغ مقصده، غالباً ما يجازى بخلاف مقصوده، فمحبّة أوربا غير المشروعة، وتقليدها، والألفة بها، كان جزاؤها العداء الغادر من المحبوب، وارتكاب الجرائم.

نعم.. فالفاسق محروم لا يجد لذة ولا نجاة»[2].

كان أسلوب الأستاذ يتصف مع هؤلاء بالهجوم العنيف، وذلك بدحض أباطيلهم، بإيراد الأدلة القوية الكافية، وتفنيد اتهاماتهم الظالمة، مع التذكير المستمر بأن هناك عذاباً ينتظرهم في الدنيا، كما أن هناك عذاباً أليماً في الآخرة.

ورسائل الأستاذ «لا تكتفي بالهجوم أو الكشف عن السيئات الظاهرة لأهل الضلالة فحسب، وإنما تغزو أفكارهم وحججهم الواهية، ونقاط استنادهم الفكري، فتغزوها في جحورها، وتشنّ هجوماً شديداً عليها، محطّمة جميع الأسس التي يقوم عليها بناؤهم الفكري، وأباطيلهم لتشويه حقائق الإسلام، وجماله المقدّس، كاشفة عن دسائسهم في التفريق بين المسلمين، وصدّهم عن التلذذ بنعمة الإيمان»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص ٨٥١ – ٨٥٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٨٥٢.

(3) الصالحي، ص ١٦١–١٦٢.

ملامح خطته الإصلاحية والتغييرية

أولاً: صفات لابدّ منها في حامل لواء التغيير

ليس كل قائد قادراً على الإصلاح والتغيير، وإن زعم لنفسه وللناس، وإن زعم له من يحيط به من بطانة وأتباع ذلك، والقادة التاريخيون الذين قاموا بعمليات التغيير قلائل عبر التاريخ، والذين زعموا أنهم قادة عظام كثر، ولكن الزمان طواهم فيمن طوى من الناس، ولم يعودوا شيئاً مذكوراً في التاريخ.

ولكثرة أولئك (القادة) الأدعياء، وجدنا من يضع صفات لابدّ من تحققها في القائد القادر على التغيير والإصلاح، كالباحث الإداري ماكوين الذي بيّن مواصفات القادة الذين ظهروا في أعوام النموّ اللانهائي (الأيام الذهبية) في الستينيات والسبعينيات فقال:

«إن الخصال الحميدة للمقدام والجريء -أي النمط القيادي الناجح في تلك الأيام- هي:

- التفاؤل.
- تحمّل الخسارة أو الخطر.
- المساواة بين العاملين مع تقدير المتفوق.
- التعطش من أجل كل جديد ومستحدث.
- أخلاقيات مهنية لايطرأ الشك في جدواها على أصحابها.

وأمّا خصاله السيئة فهي:

- المداورة.
- الإغواء.
- الحاجة المستديمة للمغامرة كالمراهقين.

وهذا يؤدي إلى مشاكل ينشأ عنها: عدم الثقة، وأزمات»[1].

---

[1] بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، ص ٣٨ - ٣٩.

ويلخّص الأستاذ الجابري ويحدّد بعض ما تتميز به القيادات المغيّرة بالتالي:

- المقدرة على الفهم العميق لسنن التغيير وأساليبه.
- والمقدرة على صياغة الرؤى.
- والاستقامة الضرورية لبناء الثقة، والحصول على تأييد التابعين، وتعبئة الالتزام.
- ثم أهلية بناء الوضع الجديد، من إدخال التغيير إلى نظم المنظومة، والالتزام الشخصي بالسلوك المطلوب.
- الاهتمام بالربط بين الأفكار وبين سلوك الأتباع»[1].

ونظرة شاملة ودقيقة إلى حياة الإمام النورسي، تنبئ عن تحقق أكثر هذه الصفات فيه.. نقول: أكثر، ولا نقول: كل.. لأن طبيعة الحياة القاسية.. بل التي لم أسمع بمثلها، ولم أقرأ عن الأقل منها بكثير.. هذه الحياة التي أمضاها أو أمضى زهرتها القادرة على العطاء، في السجون والمعتقلات، وفي المنافي والمحاكمات (٢٨ سنة سجن ونفي – ١٥٠٠ محاكمة) لم تتح له شيئاً ولو يسيراً من الاستقرار، لوضع نظرية متكاملة في البناء الداخلي لتنظيم عصري يتناسب مع ضخامة الرأس الذي ملىء علماً وفهماً، ومع تفكيره العميق، وسعة آفاقه، كما لم تتح له وضع خطة للتغيير، بعناصرها ومقوّماتها.. بل أزعم أن النورسي لو تمتع بهامش من الحرية، كما تمتع الإمام البنا في مصر، والإمام المودودي في شبه القارة الهندية، لكان لنا منه ما كان من الإمامين المذكورين، والله أعلم، ولكن (لو) تفتح باب عمل الشيطان، فلنمسك، ولنقل: ماشاء الله كان.

١ - **التفاؤل:** كان الأستاذ –رحمه الله– متفائلاً دائماً، وما ينبغي له إلا أن يكون كذلك، لأن التشاؤم واليأس والقنوط من صفات الكافرين، والنورسي من سادة المؤمنين المتفائلين بالنصر المبين لهذا الدين، وقد سبق أن ذكرنا نظرته المستقبلية عن أوروبا الحبلى بهذا الدين الحنيف، وسوف تلد يوماً نراه قريباً بإذن الله وعونه، ويراه غيرنا بعيداً أو مستحيلاً.

برغم المثبّطات والمحبطات والحياة المريرة، والمؤامرات الداخلية والخارجية على الإسلام والمسلمين، وبرغم السجون والمعتقلات والمنافي والمحاكمات.. برغم هذا

---

[1] المصدر نفسه، ص ٧٠ – ٧١.

كله، كان الأستاذ -رحمه الله- متفائلاً، ومؤملاً بإصلاح الفساد الذي استشرى في الدولة العثمانية، وفي صفوف المسلمين ورجال الإدارة والحكم. «ففي سنة ١٩١١م سافر النورسي إلى بلاد الشام، وألقى خطبته البليغة من على منبر الجامع الأموي، دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية، مبتدئاً باليأس، وبيّن سبل علاج تلك الأمراض، مستهلاً بالأمل[1].

«ولمّا آلت الدولة العثمانية إلى السقوط، ودخلت الجيوش الكافرة استانبول، كان بديع الزمان يحسّ بآلام في أعماق قلبه، وبدأ بتأليف كتابه (الخطوات الست) هاجم فيه الغزاة بشدّة، وأزال دواعي اليأس الذي خيّم على كثير من الناس»[2].

برغم الظلام الذي لفّ آسيا ومسلميها، كان يرى مستقبلها في هذا الإسلام، وليس في تلك الدعوات الهدامة التي اجتاحتها في جملة ما اجتاحت من ديار الإسلام والمسلمين. اسمعه يقول، وعينه تمتد إلى المستقبل المأمول: «وغداً أنطلق إلى ساحة عقباي، وأنا على يقين: أن مستقبل آسيا بأرضها وسمائها يستسلم ليد الإسلام البيضاء، إذ يمينه يمن الإيمان يمنح الطمأنينة والأمان للأنام»[3].

وهو متفائل بمستقبل الإنسان المستضعف المظلوم الذي سيكسر قيوده يوماً ما، ضمن نظرة مستقبلية قائمة على دراسة الماضي بمراحله التي اجتازها هذا الإنسان: «إن الحروب الطفيفة بين الدول والشعوب، تتخلّى عن مواضعها إلى صراعات أشدّ ضراوة بين طبقات البشر، لأن الإنسان لم يرض في أدواره التاريخية بالأسر، بل كسر الأغلال بدمه، ولكنه الآن أصبح أجيراً يتحمل أعباءه، وسيكسرها يوماً ما.

لقد اشتعل رأس الإنسان شيباً بعد أن مرّ بأدوار خمسة: الوحشية، والبداوة، والرق، وأسر الإقطاع. وهو الآن أجير. هكذا بدأ، وهكذا يمضي»[4].

---

(١) المثنوي العربي النوري، ص ١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.
(٣) الكلمات، ص ٨٣٧.
(٤) المصدر نفسه، ٨٥٢.

ولنسمع شهادة أحد تلاميذه وهو يروي هذه الحادثة التي تدل على تفاؤله من كل ما يحيط به:

«كنت جالساً مع الأستاذ في جامع (نور شين) فقال لي:

– يا ملاّ حميد. انظر. إنني محاط بالأنوار.

فلم أفهم قصده من هذا الكلام، فبدأ يوضّح كلامه بقوله:

– إن القرية التي ولدت فيها اسمها (نورس)، واسم والدتي (نورية) وجدّي هو (نوري) والجامع الذي أبيت فيه (نورشين).

ثم تبسّم وقال:

– انظر إلى اللوحة المعلّقة هنا على الحائط، فقد كُتب: (عثمان ذو النورين) رضي الله عنه»[1].

٢ - **تحمّل الخسارة أو الخطر.** ولسنا في حاجة للوقوف طويلاً عند هذا البند، فحياة النورسي كلّها –إذا قيست بالمقاييس المادية الدنيوية– خسارة في خسارة، خرج من دنياه كما دخل فيها أول يوم، ولم يشكُ، ولم يتأفف، ولم يسأل أحداً مساعدة، بل كان ينفق من القليل الذي عنده على من معه من تلاميذه ومريديه، أو من سائر الناس، بل كان لايقبل هدية من أحد، لأنه لا يتحمّل أذى المنّ عليه من أحد، بهدية أو سواها، لأسباب:

أ – لأن أهل الضلالة يتهمون العلماء باتخاذهم العلم وسيلة للتكسب. ويجب تكذيبهم.

ب– يجب الاستغناء عن الناس، كما فعل الأنبياء.

جـ– المعطي يعطي باسم نفسه، فيتمنّن ضمناً.

د– إن التوكل والقناعة والاقتصاد خزينة عظيمة، وكنز ثمين لا يعوّضان بشيء. لا أريد أن أسدّ أبواب تلك الخزائن والكنوز التي لا تنفد، بأخذ المال من الناس»[2].

وكان يقول: «إنني أعيش بالاقتصاد والبركة، لا أقبل من غير رزّاقي الله منّة من أحد، وقررت ألاّ أقبلها طوال حياتي»[3].

---

(١) الصالحي، ص ٢٣.

(٢) المكتوبات، ص ١٦ و ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٢ وانظر الصفحات: ٨٤ – ٣٦٩ – ٤٧٢ – ٥٤١.

وأمّا الخطر الذي كان يلاحقه كالليل ويحيط به، فقد تحمّله وتقبّله راضياً.. حاولوا قتله بالسمّ مراراً، كما حاولوا توهين عزيمته وقواه الجسدية إلى درجة القتل في السجون والمعتقلات والمنافي، ولم يأبه لتلك الأخطار، ولم يكترث بالمتآمرين على حياته، لأنه كان يعتقد أن الأجل خير حارس للإنسان، فـ ﴿لكل أجل كتاب﴾[1] و﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[2].

ولذلك كان يناضل ويجاهد على عدة جبهات، وكلّها محفوفة بالأخطار، نذكر منها:

أ – «في سنة ١٩١٢ وقبيل نشوب حرب البلقان، عُيّن بديع الزمان قائداً للقوات الفدائية التي تشكلت من المتطوعين المسلمين القادمين من شرقي الأناضول»[3].

ب– «على الرغم من معارضته دخول الدولة العثمانية الحرب، فإنه حالما أُعلنت، شكّل من طلابه ومن المتطوعين فرق (الأنصار) وخاض بهم ميادين القتال، وأبلوا البلاء الحسن ضدّ القوات الروسية المعتدية في جهة القفقاس.

وعندما دخل الجيش الروسيّ مدينة (بتليس) كان بديع الزمان يدافع مع طلابه عن المدينة دفاعاً مستميتاً، حتى جُرح جرحاً بليغاً، وأُسر من قبل الروس، وسيق إلى معتقلات الأسرى في سيبريا.

وفي الأسر كان يلقي دروسه الإيمانية على الضبّاط الذين كانوا معه، وهم تسعون ضابطاً»[4].

جـ – عندما احتلت قوات الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين) مدينة استانبول، ودُعي إلى أنقرة، أبى أن يغادر العاصمة المحتلّة، وحياته فيها محفوفة بالخطر، وقال: «إنني أريد أن أجاهد في أكثر الأماكن خطراً، وليس من وراء الخنادق، وأرى أن مكاني هنا أخطر من الأناضول»[5].

---

(١) سورة الرعد، آية ٣٨.

(٢) سورة يونس، آية ٤٩.

(٣) محسن عبد الحميد، ص ٢٠، نقلاً عن (سعيد النورسي وجوانب مجهولة من حياته)، ص ١٤٨

(٤) المثنوي العربي، ص ١٥.

(٥) صيقل الإسلام، ص ٥٤٦ – ٥٤٧.

هذا برغم أن القائد الإنكليزي الذي احتلّ استانبول كان قد حكم عليه بالإعدام، ثم تراجع عن تنفيذ الحكم ، خوف ثورة المسلمين عليه، وكان النورسي قد ألّف كتابه: (الخطوات الست) وهاجم فيه المحتلين، وردّ على شبهاتهم التي أثاروها حول الإسلام[1].

د – وأخيراً نذكر هذا الجزء اليسير من مرافعته الهائلة أمام محكمة دنيزلي، قال لقضاة المحكمة في جرأة مَنْ لَمْ يَسْمَع بالموت:

«إن الزنادقة والمنافقين غرّروا بكم، وصفعوا العدل والحق، وانحرفوا بالدولة عن وظيفتها الأساسية، إلى مشاغل لا فائدة منها، واتخذوا من الاستبداد جمهورية، ومن الردّة نظاماً، ومن الجهل والسفه مدنيّة، ومن الظلم قانوناً، وبذلك خانوا وطنهم، وضربوه ضربة ما كان لأجنبي أن يضرب مثلها»[2].

وقال في أحد دفوعه في أخريات أيامه، موجّهاً كلامه للقضاة: «ألا فلتعلموا جيّداً، أنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفُصل كلّ يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية، أمام الزنادقة»[3].

٣ – أمّا مساواته بين تلاميذه والعاملين معه، وحتى مع المجرمين الذين كانوا معه في السجن، فكانت خلقاً من أخلاقه، وصفة بارزة من صفاته، بل كانت من ضمن الدستور الاجتماعي الذي وضعه لنفسه ولطلاب النور، وهو القائل: «إن العدالة التي لا مساواة فيها، ليست عدالة أصلاً».

٤ – وأمّا تعطشه لكل جديد ومستحدث، فقد مرّ معنا موقفه من العلوم الكونية، وخاصة التكنولوجيا، ودعوته إلى تدريس العلوم العصرية إلى جانت العلوم الدينية في المدارس الدينية، وحثّه الناس ليرسلوا أبناءهم إلى المدارس الحديثة. «وعندما دخلت رسائل النور المطابع، وبدأت في الانتشار، لم تكن ترى الأستاذ جالساً في مكانه قط، بل كان يصول ويجول في فعالية مستمرة، ونشاط دائم. كان فرحاً سعيداً دائماً، بحيث يكاد يطير من فرحه»[4].

---

(١) الوصيف، ص ١٤٢.

(٢) سيرة إمام مجدد، ص ٥٧، والشعاعات، ص ١٨، والدكتور محسن عبد الحميد، ص ٣١.

(٣) الشعاعات، ص ٢٩٤.

(٤) أسيد إحسان قاسم، ص ١١٠.

٥ – وسوف يرى دارس رسائل النور مدى فهمه العميق لسنن التغيير وأساليبه، ومقدرته على صياغة الرؤى، ومدى اهتمامه بالربط بين الأفكار التي ينشرها بين أتباعه، وبين السلوك العملي لأولئك الأتباع الذين ربّاهم على عينه، من خلال سلوكه الذي غدا قدوة لهم أولاً، ومن خلال رسائل النور التي كانت تنوب عنه، وهي تتسلل إلى أيدي تلاميذه الكثر، ثم إلى قلوبهم وعقولهم.

٦– ما عرف الناس عن الأستاذ شيئاً من المداورة أو الغش أو الكذب، أو اللف والدوران، ولنتمعن في هذه الكلمة القيمة، التي توضّح نظافة سلوك هذا الإمام المتوضّىء بالزهد والعفة والصدق وبسائر الفضائل: «حبة واحدة من صدق، تبيد بيدراً من الأكاذيب.

إن حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال.

فالصدق أساس عظيم، وجوهر ساطع. وربما يتخلى عن مكانه للسكوت، إن كان فيه ضرر، ولكن.. لا موضع للكذب قطعاً، مهما يكن فيه من فائدة ونفع.

ليكن كلامك كله صدقاً، ولتكن أحكامك كلها حقاً، ولكن عليك أن تدرك هذا : أنه لا حقّ لك أن تبوح بالصدق كلّه.

اتخذ هذه القاعدة دستوراً لك: «خذ ما صفا، دع ما كدر، فانظر بحسن، وشاهد بحسن، ليكون فكرك حسناً، وظُنّ ظناً حسناً، وفكّر تفكيراً حسناً؛ لتجد الحياة اللذيذة الهانئة.

إن الأمل المندرج في حسن الظن ينفع الحياة في الحياة.

بينما اليأس المخبوء في سوء الظن، ينخر سعادة الإنسان، ويقتل الحياة»[1].

إنه بعيد بعد السماء عن الأرض، عن سفاسف الأمور، وترّهاتها، وما ينبغي لمثله إلا أن يكون كذلك.. لا يغشّ أتباعه، ولا أحداً من الناس، لأن الغاش ليس من المسلمين، ولا يخدعهم، ولا يلقي بهم في المهالك، نتيجة نزوة صبيانية، أو مراهقة فكرية أو عاطفية، وبهذا استطاع المحافظة على تلاميذه جهد المستطاع، وكان قمة في افتدائهم بنفسه، وكان في الوقت نفسه لا يساوم على حساب دينه وعقيدته، وكان

---

[1] الكلمات، ص ٨٥٤.

يقف في وجوه الطغاة في أقسى الظروف، لا يخشى في الله لومة لائم، وقد تسامى بإيمانه فوق كل أعراض الدنيا، وما كان يرضى الدنيّة في دينه[1].

وبهذا تجاوز الأزمات مع أتباعه ومريديه، ونال ثقتهم إلى أبعد حدّ متصوَّر.

ثانياً: بعض ملامح خطته التغييرية والإصلاحية: أعترف بادىء ذي بدء أنني لم أطلع على كل ما كتبه الإمام النورسي رحمه الله رحمة واسعة، ولذلك قلت: (بعض ملامح) ولم أقل: (ملامح) لأن هذا يتطلب أكثر من الجهد الفردي لتراث فكري ضخم، ولحياة حافلة ما زال كثير من جوانبها مجهولاً إلى الناس، بسبب الإمام نفسه، وبفعل الظروف التي أحاطت به، وبفعل القوى السياسية والفكرية والثقافية المعادية له، وهي قوى كبيرة ضخمة لا يستهان بها، وكم كانت تتمنى لو استطاعت القضاء على فكر الرجل، وتجهيل الناس بذلك الفكر العملاق، بإخفائه ودفنه في مكان مجهول، كما فعلوا بجثمانه الشريف بعد موته، ولكن.. هيهات.

أحسّ بديع الزمان -في وقت مبكر، وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله- بالفساد والفوضى والتخلف الذي أصاب الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والروحية، وعرف أن الجهل الضارب أطنابه في أوساط العامة، يحتاج إلى حركة تغييرية قبل فوات الأوان، فالنذر كثيرة، وهي تشير إلى الموقع المتخلف للدولة والأمة اللتين تواجهان تحدّيات ضخمة، داخلية وخارجية، وهما غير قادرتين على مواجهة تلك التحديات الحضارية، والمؤامرات المتداخلة، إلا إذا غيّر الناس ما في أنفسهم، من بُعد عن الله العظيم، وعن دينه القويم، وأخلاقه السمحة، ومبادئه العادلة.. عرف الموقع المتخلف للأمة، كما عرف أين يجب أن تكون، حتى تحافظ على نفسها، وعلى كيانها، وعلى دينها وقيمها.. يقول بديع الزمان:

«إن هذه الدولة التي أخذت على عاتقها منذ السابق، حماية استقلال العالم الإسلامي، وإعلاء كلمه الله، بالقيام بفريضة الجهاد -فرضاً كفائياً- ووضعت نفسها موضع التضحية والفداء عن العالم الإسلامي الذي هو كالجسد الواحد، حامل راية الخلافة.. أقول: إن هذه الدولة، وهذه الأمة الإسلامية ستعوّض عن هذا البلاء الذي أصابها، سعادةَ يرفل بها العالم الإسلامي، وحرية يتمتع بها، وستتلافى المصائب

---

(1) نبيه زكريا عبد ربه، الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية، ٣٠٣.

والأضرار الماضية، فالذي يكسب ثلاث مئة يدفع ثلاث، لا شك أنه غير خاسر. وذو الهمّة يبدل حاله الحاضرة إلى مستقبل زاهر. فهذه المصيبة قد بعثت الشفقة والأخوة والترابط بين المسلمين بعثاً خارقاً»[1].

ويعزو أسباب الحرب العالمية التي أنزلت بالبشرية الكوارث، وحصدت ملايين الرؤوس.. إلى «الضلال الناشىء من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى.

أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام، وتركنا الفرائض، إذ طلب منا –سبحانه وتعالى– ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة، طلبها لأجلنا نحن، لأداء الصلوات الخمس، فتقاعسنا عنها، وأهملناها غافلين، فجازانا بتدريب شاق دائم لأربع وعشرين ساعة، طوال خمس سنوات متواليات. أي أرغمنا على نوع من الصلاة.

وإنه –سبحانه– طلب منا شهراً من السنة نصوم فيه ، رحمة بأنفسنا، فعزت علينا نفوسنا، فأرغمنا على صوم طوال خمس سنوات، كفّارة لذنوبنا.

وإنه سبحانه طلب منا الزكاة عُشراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي أعطاه لنا، فبخلنا وظلمنا وخلطناه بالحرام، ولم نعطها طوعاً، فأرغمنا على دفع زكاة متراكمة، وأنقذنا من الحرام. فالجزاء من جنس العمل»[2].

وهذا يعني أنه لا بدّ من إصلاح هذا الخلل، حتى لا تستشري المصائب والكوارث والانتقام الرباني.

ثم ازداد إحساسه ووعيه بواقع الحال البئيس، والأوضاع التي تزداد تردّياً، بسبب السياسة الحمقاء التي ينتهجها العلمانيون القوميون الكماليون، أصحاب الفكر الدخيل، على أيدي الدخلاء من يهود الدونمة، ومن الذين يتلقون الخطط والدسائس من المحافل الماسونية، لإفساد عامة الناس وخاصتهم، من خلال سياسة المنافع، هذا الوحش الرهيب الجائع المتعطش إلى امتصاص دماء كل الفضائل والقيم التي ارتقت بهذه الأمة حتى جعلتها فوق سائر الأمم، إنسانية وعدالة ورحمة وجمالاً وجلالاً.

---

(1) الكلمات، ص ٨٥٤.

(2) المصدر نفسه، ص ٨٥٩.

«والتودد إلى وحش جائع لا يدرّ عطفه، بل يثير شهيته، ثم يعود ويطلب منك أجرة أنيابه وأظفاره»[1].

تساءل بديع الزمان: أين نحن الآن؟

وأجاب نفسه: في ذيل الدول.

– لماذا؟

– لبعدنا عن ديننا العظيم، بسبب الجهل والتخلف والفقر والاختلاف والاستبداد والخمول والتآمر.

– وماذا علينا أن نفعل؟

– كما أمر الله –سبحانه– وكما بيّن أعظم سبب للتغيير: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[2]، عندما غيّرنا قيمنا، وتركنا إسلامنا، وقلّدنا غيرنا، وماتت الفضائل في أنفسنا، غيّر الله ما بنا من نعمة، فانتكسنا، ورجعنا القهقرى، ونحن الآن في ذيل الأمم، وإذا أردنا النهوض من جديد، فما علينا إلا تغيير ما في أنفسنا من فساد، وإلا العودة إلى هذا الدين العظيم، نتمسك بأهدابه، ونطبق تعاليمه في حياتنا العامة والخاصة.

يقول بديع الزمان: «إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تضحّي قلة قليلة ظالمة، بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها (مصالحها).

أما عدالة القرآن، فلا تضحّي بحياة برّيء واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة، إذ الآية الكريمة: « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً» تضع سرّين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور (القاعدة) العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة ، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية، وهذه سنّة دائمة.

---

(1) المصدر نفسه، ص ٨٥٦.

(2) سورة الرعد، آية ١١.

والسرّ الثاني: هو لو قتل مغرور بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه، وإشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع»[1].

إذن.. وضع بديع الزمان يده على الداء، كما وضع يده على الدواء..

الداء: هو البعد عن هذا الدين، وما تبعه من جهل وتخلّف وفوضى أخلاقية، **والدواء** بكل بساطة: يكمن في العودة إلى هذا الدين.. بإنقاذ الإيمان.. هذا هو الهدف الاستراتيجي الذي ألزم به نفسه وإخوانه منذ صمّم على الإصلاح والتغيير، فإذا عاد الناس إلى إسلامهم وإيمانهم، سلم مسارهم عبر الدروب الموصلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

وكان هاديه ومرشده في كل خطوة يخطوها في هذا المسار، هو القرآن والسنة.. يهتدي بنورهما في ذلك الظلام الذي لفّ تركيا، وهو يسير فوق الأشواك وبين الألغام، كما سار قائده الأعظم –صلى الله عليه وسلم– وهو يشق طريقه إلى القلوب والعقول التي كانت غارقة بلوثات الجاهلية الوثنية العمياء. ومن هنا كان لابد من الإعداد من أجل عملية الإصلاح والتغيير:

أولا: إعداد النفس والفرد:

أ – ولكي يقوى على مكابدة وعثاء الطريق الشائك، كان لا بدّ له من أن يأخذ نفسه بالترويض والتربية التي تزكّيها، وتعينها على تذليل العقبات الكؤود التي ستعترض طريقها، وعلى تحّمل الآلام والأحزان وألوان العذاب الذي ينتظره، سنة الله في الدعوات والدعاة..

بدأ بنفسه فعالج أمراضها، وخلصها من أوهاق الحياة المادية، ومن كل ما يخدش المروءة والعفّة والفضيلة، وزهد في كل ما يقتتل الناس من أجله.. زهد في المال والجاه والمنصب، وزهد بالشهرة والسمعة، وكل ما يتهافت عليه أبناء الدنيا، حتى غدا مثلاً حياً لما يدعو إليه .. تطابقت عنده النظرية مع السلوك، ولم تعد ثمة هوّة تفصل بينهما كدأب أكثر الناس ومنهم الدعاة أو علماء الدين.. أصلح نفسه قبل أن يدعو الآخرين، فوقع في قلوب الناس.. وقع كلامه وسلوكه وشخصيته المعنوية في قلوب الناس، حتى صار مثلاً يحتذى، وقدوة

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٦٢.

تربي طلابها بأفعالها قبل أقوالها. وقد قال عن نفسه: «لا بدّ أن أبدأ بها أولاً، لأن من عجز عن إصلاح نفسه، فهو عن غيرها أعجز»[1].

والذي يطالع كتابه البديع: (المثنوي العربي النوري) الذي كتبه لنفسه قبل أن يكتبه للآخرين، وفيه خلاصة أفكاره، بما فيه من موازين علمية، ومعايير منطقية، ومناهج فطرية، تسدّ جوعة الروح، وهزال الفكر -يجد فيه نمطاً جديداً وفريداً من أساليب التزكية والتربية، فقد «مزج فيه أدقّ الموازين العقلية، والمقاييس المنطقية، بأرفع الأشواق القلبية، وأسطع التفجرات الروحية، ضمن أمثلة ملموسة تكاد لا تخفى على أحد، آخذاً بيد القارىء برفق، متجولاً معه في ميادين النفس والآفاق، مبيناً له ما توصّل إليه من نتائج يقينية، بعد تجارب حقيقية، خاض غمارها تحت إرشاد القرآن الكريم.. المنهج القرآني الفريد لكل مسلم، بل لكل إنسان»[2].

ب - ثم ثنّى بإخوانه، ليكونوا الدعاة الوعاة في مجتمع تتناوشه العلمانية، ليشكّل منهم القاعدة الصّلبة، والدروع القوية، ومنابع النور في مجتمع الكمالية التي ضرب العدّو فيها رواقه، ومدّ أطنابه.. تعهّدهم بدروسه ومواعظه ورسائله، يكشف لهم حقيقة ما يجري على الأرض التي حمى أصحابها الإسلام والمسلمين قروناً، ويهدم أروقة العلمانيين والمستغربين والقوميين، ويفنّد مزاعمهم وطروحاتهم، ويملأ قلوب طلاب النور بأنوار القرآن الكريم، وسنّة النبيّ العظيم، ويشحن نفوسهم بطاقة إيمانية، ويسلّح عقولهم بالأدلة والبراهين، لينطلقوا -من ثمّ- إلى بيوتهم، وقراهم، وأحيائهم، وأماكن عملهم، يبشّرون بتعاليم الإسلام، لا يخشون في الله لومة لائم، ولا يأبهون بكيد الكائدين، ولا بسجون الحاكمين، ولا بضلالات البلاشفة الملحدين.

كانت حياة الإمام مع القرآن، ومع منزل القرآن، ومع مبلّغ القرآن، وكذلك كانت حيوات الخلّص من تلاميذه طلاب النور.. ولا بدّ لمن عاش مثل هذه الحياة، أن يبادر إلى تصحيح المسار، وتقويم الانحراف، والتبشير بالأفكار المحورية التي تساعد في إنجاح مشروع التغيير والإصلاح.

---

(1) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(2) من مقدمة المثنوي للصالحي، ص ٥ - ٦.

كان يبثّ الأمل في نفوسهم ، وكان –بلسان حاله الدائب على العطاء، وبلسان مقاله –يؤكد عليهم للاستمرار الجاد في الدعوة، بلا كلل ولا ملل ولا خوف، ويحذرهم من الأمراض القلبية التي شاعت في سلوك الناس، فكان لا يقبل أن يُغتاب في مجلسه أحد[1]، وكان يقول لهم وللناس جميعاً: «منبع التكبّر: صغر النفس. ومنبع الغرور: ضعف القلب. والعجز منشأ الخوف. والضيق معلّم السفاهة. ومنبع الضيق: هو اليأس وسوء الظن. والضلال ضلال الفكر. والظلمات عمى القلب»[2].

ومن أجل التركيز على مطاردة هذه الأوباء، كان يكرر هذه المعاني في أكثر من مكان: «يا من يحمل (أنا) مضاعفة. ويحمل في رأسه غروراً وكبراً. عليك أن تعرف هذا الميزان: إن مقياس العظمة في الكاملين هو التواضع، أمّا الناقصون القاصرون، فميزان الصِّغر فيهم هو التكبر»[3].

يقول أحد تلاميذه، كما جاء في كتاب (ذكريات عن سعيد النورسي): «كان يتحدث في أغلب دروسه عن الأخوة والإخلاص، وكان يشخص مرض زماننا هذا بالغرور، والأنانية، وحب النفس»[4].

«وسمّى زماننا هذا بزمان الغفلة عن الله. يقول: «في هذا الزمان ترى أصحاب الأفكار المنحرفة عن الدين، يجعلون كل شيء آلة ووسيلة لمصالحهم الخاصة، فتراهم يستخدمون الدين والعمل الأخروي وسيلة لمغانم دنيوية»[5].

أمّا طلابه طلاب النور، فلا ينبغي لهم أن يكونوا أنانيين أو مغرورين..

لقد قام الأستاذ النورسي بعملية تنوير وترشيد لطلاب النور، ليستطيعوا أداء المهمات المنوطة بهم:

– فأوصاهم بالبعد عن الجدال العقيم مع الآخرين، خاصة مع العلماء والصوفية والمبتدعة، حتى لا يندفع هؤلاء إلى جانب الملاحدة، ولا مع رجال الحكم.
– وفضح لهم خطط الملاحدة، وفند دعاوى العلمانيين الباطلة.
– ودعاهم إلى الوقوف بحزم في وجه المادية الطاغية.

---

(1) أسيد إحسان قاسم، ص ٨٨.
(2) الكلمات، ص ٨٧٣.
(3) المصدر نفسه، ص ٨٧٠.
(4) ذكريات عن سعيد النورسي، ص ٩١.
(5) المصدر نفسه والصفحة.

- وصّبرهم على المحن، فالسجن للعبادة والتوبة والإنابة، وهو حائل دون الذنوب ومدعاة لتطهير النفس. وضرب لهم الأمثال بالأئمة الممتحنين، كأبي حنيفة وابن حنبل.
- ودعاهم إلى الصفح عمن أساء إليهم، وألا يحملوا في نفوسهم روح الانتقام منهم ولو بمقدار ذرة[1].

وقد عُني بتلاميذه كل هذه العناية، لأنه يعتقد بحق، أن «الكيف أهم وأفضل من الكم، وتبليغ حقائق القرآن إلى عشرة أفراد بإخلاص وصدق ، أهم عندي من إرشاد آلاف في طريقة صوفية، وتبليغ الدعوة إلى عشرة أشخاص، بمنزلة نواة تنبت وتصبح شجرة ثابتة بإذن الله.. لكن هؤلاء الآلاف من المتصوفة، يمكن أن تزلزل أفكارهم أمام الهجوم الفلسفي المضلل».

ثانياً: البيت والأسرة.

وركز الأستاذ النورسي على البيت والأسرة، زوجاً وزوجة وأولاداً، ودعا إلى الحفاظ عليها، فهي الخلية الأولى في المجتمع الصالح فقال: «إن الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة، ولا سيما المسلم.. هي كالجنة المصغّرة، ودنياه الصغيرة»[2].

ولهذا «تعهد طالبات النور، فأرشدهن من خلال رسائل متعددة إليهن، إلى حسن الإقبال على الله، ورعاية البيوت، والأولاد، وحسن العشرة الزوجية، والحفاظ على عفتهن وطهارتهن النابعة من الدين الحنيف، وعدم الجري وراء مادياتها الحاضرة الغربية المهلكة[3].

وكتب رسالة (الحجاب) وحوكم بسببها، «وتوجّه بها أولاً إلى كل مسلمة تركية، صيانة لها من الأفكار الإلحادية التي انتشرت في تركيا، والمنادية بانسلاخ المسلمة من عقيدتها وشريعتها، ثم من عفّتها وحشمتها وحجابها، بحجة التقدم ومسايرة ركب الحضارة الغربية، فأوصاهن بالتمسك بأوامر الله، لأنها كلها رحمة، وعرّفهن بسفاسف المدنية الغربية وزيفها»[4].

---

(1) الملاحق، ص ٣٧٢.
(2) الوصيف، ص ١١٩.
(3) المصدر نفسه، ص ١٦٥.
(4) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

ودعا المرأة إلى الكسب الحلال بعمل يدها، وأوصى بالوالدين والأقارب وبإحسان تربية الأولاد، وقال: «اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة، على الإيمان، فيكونوا لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا[1].

وحذّر من إهمالهم هذه التربية، ومن التربية الأوربية، لأنهم يكونون وبالاً عليهم في الدنيا، ومحاسبين لهم في الآخرة، يوم يسألونهم: لمَ لم تنقذوا إيماننا؟ فيندمون، ولات ساعة مندم.

وحذر من مظاهر الميوعة في النساء والرجال فقال: «إذا تأنث الرجال السفهاء بالهوسات، ترجّلت النساء الناشزات بالوقاحات.

لقد أطلقت المدنية السفيهة النساء من أعشاشهن، وامتهنت كرامتهن، وجعلتهن متاعاً مبذولاً.

بينما شرعُ الإسلام يدعو النساء إلى أعشاشهن، رحمة بهن، فكرامتهن فيها، وراحتهن في بيوتهن، وحياتهن في دوام الأسرة.

الطهر زينتهن

الخلق هيبتهن

العفة جمالهن

الشفقة كمالهن

الأطفال لهوهن

ولا تصمد إزاء جميع هذه الأسباب المفسدة إلا إرادة من حديد».

وحذر من الاختلاط وما ينجم فيه من مفاسد: «كلما دخلت حسناء في مجلس تسود فيه الأخوة، أثارت فيهم عروق الرياء والمنافسة والحسد والأنانية، فتتنبه الأهواء الراقدة».

وبيّن مفاسد التبرج، والسفور، وأثرهما على الأخلاق: «إن تكشف النساء تكشفاً دون قيد، أصبح سبباً لتكشف أخلاق البشر السيئة، وتناميها».

---

[1] الوصيف، ص ١١٧.

وكان قد شاع انتشار الصور العارية في الصحافة، حتى السياسية والأدبية منها، ناهيك عن الصحف الفنية، فحذر منها وشرح أخطارها: «هذه الصور التي هي جنائز مصغّرة، رأموات متبسمة، لها دور خطير جداً في الروح الرعناء للإنسان المتحضر، بل إن تأثيرها مخيف رعيب».

كما أن النظر إلى جثة المرأة نظرة شهوانية دليل على دناءة النفس وخستها، كذلك النظر بشهوة إلى صورة جميلة لحسناء ميتة محتاجة إلى الرحمة، يطمس مشاعر الروح السامية.

وكذلك التماثيل التي بدأت تنتشر، كما في العواصم والمدن الأوربية: روما وباريس وغيرهما، وهي تماثيل عارية.. هاجمها، وبين آثارها السلبية على الإنسان: «إن الهياكل والتماثيل الممنوعة شرعاً، والصور المحرمة، إمّا أنها ظلم متحجر، أو رياء متجسد، أو هوى متجمد، أو طلسم يجلب تلك الأرواح الخبيثة»[1].

وإنما كان هجومه على الصور العارية، والتماثيل الفاضحة، بسبب ما تتركه من وطأة على حياة الفرد، ثم الأسرة التي يدعو إلى المحافظة عليها.

ثالثاً: ودعا إلى إصلاح المجتمع، بتخليصه من الأمراض النفسية المهلكة، من عداوة، وتحاسد، وتباغض، وفرقة، وعطالة، وتهالك على اللذات.

وكان يحارب العجز والجزع اللذين هما شأن الضعفاء فيقول: «إن رمت الحياة، فلا تتشبث بالعجز فيما يمكن حلّه، وإن رمت الراحة، فلا تستمسك بالجزع فيما لا علاج له»[2].

إنه طبيب نفساني وروحاني ملهم، لا يكاد يدع جانباً من جوانب الضعف في المجتمع، إلا ويبادر إلى معالجته بما يناسبه من دواء: «أيها الخائف الضعيف!

إن خوفك وضعفك يذهبان سدى، لا طائل وراءهما، بل يكونان عليك لا لك، لأنهما يشجعان الآخرين، ويثيران شهيتهم لافتراسك.

إن لله أن يختبر عبده، وليس للعبد أن يختبر ربه.

أيها المرتاب!

---

(1) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(2) الكلمات، ص ٨٥٣.

إن مصلحة محققة، لا يُضحَّى بها في سبيل مضرّة موهومة.

فعليك بالسعي، والنتيجة موكولة إلى الله تعالى»[1].

ومن تلك الأمراض النفسيَّة، هذا النفاق الاجتماعي على ألسنة الناس الذين يغالون في المديح، وخاصة لذوي السلطان: «إذا وصفتَ شيئاً، فصفه على ما هو عليه.. أعتقد أن المبالغة في المدح، ذمٌّ ضمني.. لا إحسان أكثر من الإحسان الإلهي».

وكان يربّي تلاميذه على الحياة البسيطة، البعيدة عن الانغماس في الترفه، كشأن أكثر الغافلين، وخاصة في هذا الزمان الذي يتضوّر فيه أكثر المسلمين جوعاً: «كلما نادت اللذائذ، ينبغي الإجابة: (كأنني أكلت).

فالذي جعل هذا دستوراً له، لم يأكل مسجداً.

لم يكن أكثر المسلمين في السابق جائعين

فكان الترفّه جائز الاختيار إلى حدّ ما.

أما الآن، فمعظمهم يبيتون جياعاً، فلم يعد لنا إذنٌ شرعي للتلذذ.

إذ إن معيشة السواد الأعظم، وغالبية المسلمين بسيطة، فينبغي الاقتداء بهم في الطعام الكفاف البسيط.

وهذا هو الأفضل بألف مرة من الانسياق وراء أقلية مسرفة، أو ثلة من السفهاء في ترفههم في الطعام»[2].

وكان يخاطب سائر شرائح المجتمع، يكاد لا يغفل عن شريحة، حتى المرضى وأصحاب الابتلاء لهم نصيب فيما كتب، ومن رسائله القيمة في هذا المضمار (سلوة المرضى) التي قدّم فيها خمسة وعشرين دواء لأهل البلاء الذين هم عشر أبناء البشر. نذكر منها هذه المقتطفات: «أيها المريض المسكين! لا تقلق. اصبر. فإن مرضك ليس علّة لك، بل هو نوع من الدواء، ذلك لأن العمر رأسُ مَالٍ يتلاشى، فإن لم يُستثمر، فسيضيع كل شيء، وبخاصة إذا انقضى بالراحة والغفلة، وهو يحثّ الخطى إلى نهايته».

---

(1) المصدر نفسه، ص ٨٦٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٨٦٠.

ويبرر هذا بقوله: «أيها المريض النافد الصبر. تحلَّ بالصبر، بل تجمل بالشكر، فإن مرضك هذا يمكنه أن يجعل من دقائق عمرك في حكم ساعات من العبادة، ذلك لأن **العبادة قسمان:**

الأول : العبادة الإيجابية (بالجوارح) المتجسدة في إقامة الصلاة، والدعاء، وأمثالهما.

الثاني : العبادة السلبية (بالقلب) الذي يتضرع منه المصاب، ويلجأ إلى خالقه الرحيم، مستجيراً به، متوسلاً إليه، منطلقاً من أحاسيسه التي تشعره بعجزه وضعفه أمام تلك الأمراض والمصائب، فينال بذلك التضرّع عبادة معنوية خالصة متجردة من كل أنواع الرياء»[1].

«فتذكر جيداً نتيجة المرض المؤقت الذي تعانيه، وفكّر في الثواب المرجو المنتشر في ثناياه، وتشبث بالشكر، وترفع عن الشكوى، وقل: يا هذا.. كل حال يزول»[2].

«تفكر في معنى العبادة المعنوية التي يتضمنها مرضك، والثواب الأخروي الذي يخفيه لك، واسْعَ لتنال ذلك الذوق الخالص الذكي»[3].

«فلا تبذر -يا أخي- ما وهبك الحق -سبحانه وتعالى- من قوة الصبر - يميناً وشمالاً، بل احشدها جميعاً مقابل الألم الذي يعتريك في هذه الساعة، وقل (يا صبور) وتحّمل صابراً محتسباً»[4].

ولا ينسى البعد الإنساني الأخوي في المرض: «إن المرض يلقّن صاحبه أهمّ عرى الحياة الاجتماعية والإنسانية، وأجمل أواصرها، وهما الاحترام والمحبة، لأنه ينقذ الإنسان من الاستغناء عن الآخرين، ذلك الاستغناء الذي يقود إلى الوحشة، ويجرد الإنسان من الرحمة، لأنه كما يتبين من الآية الكريمة: «إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»[5].

---

(1) سلوة المرضى، ص ٧ - ٨.
(2) المصدر نفسه، ص ١٤.
(3) المصدر نفسه، ص ١٦.
(4) المصدر نفسه، ص ٢٣-٢٤.
(5) سورة العلق، آية ٦ - ٧.

إن النفس الأمارة الواقعة في شباك الاستغناء، الناجم عن الصحة والعافية، لن تشعر بالاحترام اللائق تجاه العلاقات الأخوية، ولن تحس بالرحمة والرأفة اللائقتين بالمبتلى بالمصائب أو المرضى»[1].

ويعدّ الرأفة والرحمة أهمّ الخصال الإسلامية، ولهذا كان يربّي الناس عامة، وتلاميذه خاصة عليهما، ليكونوا الرحماء بالناس، الداعين إلى الله بهذه الصفات التي أكدها الإسلام مراراً في القرآن والسنة.

ويرى الدعوة إلى اللهو وما يتبعه من فجور قد استفحلت، وهي كفيلة بالقضاء على مروءة الناس، فبادَرَ إلى بيان رأي الشرع في هذا في أكثر من مكان، فقال:

«نهت الشريعة الغراء عن اللهو وما يُلهي.. فحرّمت بعض آلات اللهو، وأباحت أخرى. بمعنى : أن الآلة التي تؤثر تأثيراً حزيناً حزناً قرآنياً، وشوقاً تنزيلياً، لا تضرّ، بينما إن أثرت في الإنسان تأثيراً يتيمياً، وهيجت شوقاً نفسانياً شهوانياً، تحرم الآلة.. تتبدّل هذه الحالة حسب الأشخاص، والناس ليسوا سواء»[2].

ويحزنه هؤلاء العاطلون عن العمل، ويعدّ عطالتهم نوعاً من الموت:

«إن أشدّ الناس شقاء واضطراباً وضيقاً، هو العاطل عن العمل؛ لأن العطل هو (عدمٌ) ضمن الوجود، أي موت ضمن حياة. أما السعي فهو حياة الوجود، ويقظة الحياة»[3].

وهكذا انطلق في رسائله وفي مواعظه وخطبه، وفي اتصالاته الشخصية، وفي الندوات والمؤتمرات والمناسبات، وفي المقالات التي كان يكتبها في الصحف –وهذه هي كل الوسائل التي أتيحت له في زمنه لطرح أفكاره– يعمل على إنقاذ الإيمان الذي كاد يضيع في ركام الأفكار المستوردة الدخيلة، وكانت وظيفة تلاميذه ليست إنقاذ إيمانهم وحدهم، بل هم مكلفون –أيضاً– بالحفاظ على إيمان غيرهم[4] من المسلمين في بيئاتهم المختلفة، ونشر الوعي الإسلامي حسب المنهج الذي اختطه النورسي لهم وليس الانغمار في السياسة.

---

(1) سلوة المرضى، ص ٣٢.
(2) الكلمات، ص ٨٦٩.
(3) المصدر نفسه، ص ٨٨٧.
(4) المصدر نفسه، ص ٨٧٧.

رابعاً: ودعا إلى بعث الفكر الإسلامي من جديد، وإلى تجديد علوم الشريعة؛ لأن «الشريعة الغراء. باعتبارها أزلية قديمة، ستبقى إلى الأبد، والنجاة والخلاص من ظلم النفس وشرّها، يكون بالاعتماد على الإسلام، وبالتمسك بحبل الله المتين، والاستمتاعُ الحقيقي بالحرية الحقة جزء من الإيمان، ومستمدّ منه»[1].

وبيّن فضل الإسلام على البشرية في العديد من رسائله وخطبه:

«كانت هناك هوّات سحيقة بين طبقات البشر قبل الإسلام، مع بُعد شاسع عجيب بينهما؛ فاستوجب تعدد الأنبياء، وظهورهم في وقت واحد، كما استوجب تنوع الشرائع وتعدّد المذاهب.. ولكن الإسلام أوجد انقلاباً في البشرية، فتقارب الناس، واتحد الشرع، وأصبح الرسول واحداً»[2].

«وعقب حوادث آذار الشهيرة، اعُتقل مع الذين اعُتقلوا، وفي المحكمة سأله الحاكم العُرْفي:

سمعتُ أنك من المطالبين بأحكام الشريعة؟

فأجاب: لو أن لي ألف نفس لما ترددت بفدائها في سبيل حقيقة واحدة، وحكم واحد من أحكام هذه الشريعة. إنها طريق السعادة والعدالة والفضيلة المحضة».

«وكان في هذه الفترة، جُلُّ همّه تحكيم الشريعة في كل الشؤون، والرد على أولئك الذين وضعوا نصب أعينهم إبعاد الشريعة عن الحياة العامة، وغرّتهم الحياة الأوربية وبهرجها»[3].

خامساً: العلماء:

وأولى العلماء الذين هم نمط آخر من الأمراء، عناية كبيرة، فهم ذوو مسؤوليات كبيرة تجاه العامة والخاصة، وهم أولى الناس بابتعاث الفكر الإسلامي، وحمل أعباء الدعوة إلى الله، ولهذا عرّفهم بواجبهم تجاه المدّ العلماني الإلحادي، وحذّرهم من الركون إلى الظالمين، كما حذرهم من انتقاد بعضهم بعضاً بقصد التشهير، لأن

---

(1) عبد الفتاح أبو غدة، ص ٢٤٣.

(2) الكلمات، ص ٨٦٤.

(3) عبد الفتاح أبو غدة، ص ٢٤٣.

المستفيد من تناحرهم وتنابذهم هم الملاحدة، وطالبهم أن يكونوا قدوات عملية للناس، وشكر الواعين والعاملين منهم.. ترى هذا وأضعافه في العديد من رسائله.

سادساً: رجال الحكم:

لم يكن الأستاذ النورسي منعزلاً عن أصحاب الإدارة والقرار، وسيرة حياته تحكي لنا عن لقائه السلطان عبد الحميد الثاني، والسلطان محمد رشاد، ومصطفى كمال، والنواب في «مجلس المبعوثان»، وغيرهم.. كان يلتقي بعضهم، ويراسل بعضهم الآخر، ويخطب ويحاضر أمام آخرين، كما فعل في مجلس الأمة.. كان يطالبهم بحقوق الأمة عليهم، ويذكّرهم بواجباتهم تجاه الدين والأمة والوطن.. وكان يلين أحياناً كما في رسالته إلى السلطان عبد الحميد، والرئيس جلال بايار، ورئيس الوزراء عدنان مندريس، ويشتد أحياناً أخرى، خاصة مع الكماليين الملاحدة، وزعيمهم مصطفى كمال.

سابعاً: والحق إن الأستاذ النورسي لم يكن يوفر أحداً في دعوته، مسلماً وغير مسلم، أمياً ومتعلماً، عاملاً وعالماً وفلاحاً وطالباً، كما لم يكن ليوفر مناسبة سعيدة أو حزينة، عامة أو خاصة، إلا ويذكّر بدعوته، وبأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها ويدعو الآخرين إلى السعي معه في سبيل إنجاز ما يمكن إنجازه منها.

أهدافه: كان الهدف الرئيس للأستاذ -رحمه الله تعالى- إنقاذ الإيمان، ليعود الناس إلى دينهم، ويقيموا بيوتهم ومجتمعهم ودولتهم على الإسلام، يقول الأستاذ:

«إن غايتي إصلاح الأسس التي يُبنى عليها الإيمان، فإذا أصبح الأساس صلباً قوياً، فلا يؤثر فيه مؤثر بعد، حتى الزلازل..»[1].

فليس له من غاية في هذه الحياة، سوى إنقاذ الإيمان، وإعادته إلى القلوب التي خَوَت، وإلى الحياة، بعدما ران عليه ما ران من الضلالات والإلحاد، الذي يسعى إلى القضاء عليه، وفي القضاء على الإيمان قضاء على الأمة في الدنيا والآخرة. لذلك ركّز جلّ مساعيه على بيان (حقيقة الإيمان) التي تبعث الطمأنينة في الفرد، والسعادة في المجتمع، بدلاً من تقديم وصفات اجتماعية غير قابلة للتطبيق.

---

(1) أسيد إحسان قاسم، ص ٢١.

وهذا الهدف النبيل ضروري جداً لأي جماعة تحترم نفسها، وتسعى لتحقيق طموحاتها السامية، يقول الأستاذ:

«إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نُسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحوّلت الأذهان إلى أنانيات الأفراد، وحامت حولها، أي يتقوى (أنا) كل فرد، وقد يتحدد ويتصلّب، حتى لا يمكن خرقه، ليصبح (نحن) فالذين يحبون (أنا) أنفسهم، لا يحبون الآخرين حباً حقيقياً»[1].

أما الأهداف الأخرى التي سوف تنبثق بشكل طبيعي من هذا الهدف الكبير، فكثيرة نذكر منها:

- **القضاء على الجهل بنشر العلم**، وتعميم المدارس والجامعات في أنحاء الدولة، ولم يألُ جهداً في ذلك، فقد اتصل بالسلطان عبد الحميد وحاور وزير داخليته، من أجل إنشاء جامعة في شرقي الأناضول، تكون على غرار الجامع الأزهر، ثم اتصل من بعده بالسلطان محمد رشاد، من أجل هذه الغاية، ولكنه لم يفلح، مع أنه قدّم بين يدي السلطانين دفوعاً مقنعة، وبيّن مصلحة الدولة والأمة في ذلك، ثم عاود المطالبة أيام الكماليين، وبقيت جامعة الزهراء حلماً يداعب خياله طوال عمره المديد، وكان ذا نظر ثاقب في إنشاء (الزهراء) التي لو أنشئت، وتعلم الشعب الكردي في شرقي الأناضول، وعرف ربه ودينه، لما حصل الذي حصل ويحصل الآن في تركيا الطورانية العلمانية.

كما دعا إلى الأخذ بالعلوم الحديثة، وتدريسها إلى جانب العلوم الدينية، ولم يرفضها لأنها جاءت من أوروبا، لأن الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها فيلتقطها. وعدّ الجهل من ألدّ أعداء الأمة، إلى جانب الفقر والاختلاف والاستبداد، وكان يرى أن العلم كفيل بالقضاء على هذه الأعداء الثلاثة.

ولهذا رأيناه يتبحر في مختلف العلوم الدينية والكونية، ويؤلف ويكتب ويحاضر، ضارباً بنفسه وبإخوانه العلماء والمتعلمين أروع الأمثال في التعلق بالعلم، وبالدعوة إليه.

- **القضاء على الفقر**، عن طريق العمل والكسب الحلال، وعن طريق العلم.
- **القضاء على الاستبداد**، بالدعوة إلى الشورى، وتحكيم شرع الله والقرآن الذي

---

[1] الكلمات، ص ٨٦٣.

ينص على الشورى (وأمرهم شورى بينهم) ويأمر نبيّه الكريم بمشاورة أصحابه: (وشاورهم في الأمر). والعلم والإيمان كفيلان بالاستبداد والمستبدين.

ظهر هذا في مقالاته الصحفية، وفي مقابلاته مع رجال الإدارة والحكم، وفي تجواله بين الناس، وأحاديثه معهم.

- **الدعوة إلى وحدة المسلمين أو اتحادهم**، ونبذ الخلافات فيما بينهم، تمهيداً لتحقيق هدف عظيم، هو عودة الخلافة الإسلامية التي قضى عليها الكماليون العلمانيون. يقول النورسي، موجهاً كلامه إلى طوائف الأمة: «إن لم تزيلوا هذا النزاع، فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً، تستغل أحدكما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر[1].

إذن .. كان يدعو إلى الاتحاد والوحدة دائماً، ويتجنب كلياً الأمور التي تعوق الاتحاد وتعرقله كتلك الاختلافات التي ينشبها الأعداء بين المسلمين أفراداً ودولاً وشعوباً مستغلاً غرقها في بحار التخلف والجهل والغفلة، ولهذا كان يقول لتلاميذه داعياً إياهم إلى التآخي والتوادّ والتحابّ: «إخوتي. إن الإسلام لاحاجة له بخدمتكم وعملكم، بقدر ما هو في حاجة ماسة إلى تساندكم وترابطكم. فعليكم أن تقرؤوا بين حين وآخر، كلاً من رسائل: (الإخلاص) و (الأخوة) و (الهجومات الستة) فيما بينكم، ذلك لأن تساندكم وإخلاصكم وثباتكم وصلابتكم السائدة فيما بينكم منذ البداية، ستكون مفخرة لهذه البلاد»[2].

لماذا؟ لأنها مظهر حقيقي من مظاهر الوحدة الصغرى التي ستكون نواة لوحدة فصائل الأمة الإسلامية وشعوبها.

وكان دائم الهتاف: «أيها العالم الإسلامي. إن حياتك في الاتحاد» وإن موتك في الفرقة والاختلاف.

---

(1) الكلمات، ص ٨٦٣.

(2) أسيد إحسان قاسم، ص ٨٩.

لأنه كان يرى أن من أهم أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم، هذه الفرقة وهذا التمزق الذي طالما سعى إليه الأعداء حتى حقّقوه. ولا يمكن للمسلمين أن ينهضوا إلا بوحدتهم أو اتحادهم على أقل تقدير.

في نظريات التغيير: هناك عدة نظريات للتغيير، وقد أحصاها الأستاذ منير شفيق بالتالي:

١ – نظرية العمل المسلح: كفعل الأمير عبد القادر الجزائري، وعمر المختار، وعبد الكريم الخطابي.

٢ – نظرية العمل السياسي: وهي نظرية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

٣ – نظرية الثورة المتحالفة: وهي التي انتهجها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تحالفه مع الأمير محمد بن سعود.

٤ – النظرية التربوية: وهي التي تحضّر لمرحلة أخرى أو أكثر، وينتقل فيها العمل إلى الجهاد، وهي نظرية الإمام الشهيد حسن البنا.

٥ – نظرية الثورة على الحاكم الجائر. كما حدث في اليمن.

٦ – نظرية استخدام مختلف أشكال المقاومة ضد الاستعمار المباشر، كما حدث في ثورة الجزائر.

٧ – نظرية التحريض اليومي، كثورة الإمام الخميني في إيران»[1].

نظرية التغيير عند النورسي

الغريب أن الأستاذ منير شفيق لم يذكر الإمام النورسي بين هؤلاء، ولعل السبب يعود إلى عدم اطلاعه على التراث الفكري الهائل لبديع الزمان، أو لأن أحداً لم يبلور نظرية النورسي في التغيير.

ومن خلال اطلاعي على بعض تراث النورسي، أرى مشابه كثيرة في عملية التغيير بينه وبين ما جاء به الأستاذ البنا، أي النظرية التربوية التي تتطور إلى عمل سياسي لم تنفكّ عنه يوماً، برغم لعن النورسي للشيطان والسياسة معاً، وقد تتطور إلى عمل جهادي –لو أتيح لها ذلك في قابل الأيام– كما فعل الأستاذ البنا عندما

---

[1] منير شفيق، في نظريات التغيير، ص ٥٧ و٥٨ بتصرف.

خاض مع إخوانه في مصر وسورية والأردن وفلسطين حرباً مع يهود، وكما جاهد النورسي وإخوانه في القفقاس.

على أي حال، لم يكن في مشروع بديع الزمان أيّ توجه نحو العمل المسلح داخل تركيا، ضد الحكام الملاحدة من الكماليين، برغم إعلانهم الحرب الضروس على الإسلام وعلمائه والدعاة إليه، ولذلك لم يؤيد ثورة الشيخ سعيد بيران على النظام الكمالي القومي العلماني، لأسباب نعرف بعضها، ولا نعرف بعضها الآخر.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد:

«ولإيمان الأستاذ بالتغيير في إطار انتشار الوعي الاجتماعي، والدعوة السلمية، فإنه لا يبيح الجهاد المسلح الداخلي الموجه إلى حكام المسلمين، لأن ذلك لايخدم – من وجهة نظره– إلا العدوّ الخارجي المتربص بالمجتمع الإسلامي من حيث هو كلّ.

فهو يقول: «إن الجهاد المسلّح لا يحشد كلياً إلا ضدّ العدو الخارجي، والصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية، هو ما يصبو إليه العدو الخارجي، إذ إن سفك دماء المسلمين فيما بينهم، أمر يهمهم» ويضيف: «إن الجهاد في أي مجتمع إسلامي، إنما هو جهاد معنوي، يتوصل إليه عن طريق تنوير الأفكار، وإصلاح القلوب والأرواح.

ويكون جهاداً إيجابياً بنّاء لصدّ التخريبات المعنوية، ويُتصرف فيه وفق سرّ الإخلاص. فهناك بون شاسع بين الجهاد في الخارج والجهاد في الداخل. فنحن نبذل قصارى جهودنا للحفاظ على استقرار البلاد، وأمنها، وفق العمل الإيجابي البنّاء..

في هذا الوقت، الفرق عظيم جداً بين الجهاد الداخلي والجهاد الخارجي»[1].

وقارىء تراث الإمام النورسي لابد له من أن يلاحظ اتسام نظريته الإصلاحية التغييرية بالسمات التالية:

١ – التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير. يقول الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه عن النورسي:

كان النورسي «يؤمن (بالنظام)، ويبعد (الفوضى) ويؤمن (بالتدرج) ولا يعتقد (بالطفرة). فالنظام والتدرج هما أساس الوجود كله، وأي خروج عليهما، يعني إدخال الفساد عليه، وهو خروج واضح على تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية

---

(١) محسن عبد الحميد، ص ٦٢ و٦٣ عن ملحق أمير داغ: ص٢١٤.

الشريفة، والقرآن هو الكون المقروء، والسنّة هي الكون المطبق في الحياة العملية».

«وفي ضوء ذلك، فإن النورسي يدعو إلى تغيير اجتماعي منظم، يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، ويجب أن يبدأ من القاعدة، ويصعد إلى القمة، لا العكس، لأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية، ويحصل منه شر مستطير، وتخريب كبير».

فهو يقول: «إن من يشق طريقاً في الحياة الاجتماعية، ويؤسس حركة. لا يستثمر مساعيه، ولن يكون النجاح حليفه، مالم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله لأجل التخريب والشر»[1].

«إذن فلا بدّ أن يكون قانون التغيّر في حياته هو التغيّر التدريجي، حتى لا يختلّ توازن الحياة، فيؤدي إلى نتائج عكسية»[2].

ولهذا بدأ بالأهم ثم المهم في سلّم الأولويات الذي هو منهج الأنبياء. ومن هنا كان تركيزه على إعادة الإيمان إلى النفوس والقلوب والحياة، وكل الأهداف الأخرى كانت تابعة للإيمان، ونابعة منه، يقول: «إنه لابد لهذا العصر من مجدد له شأنه، ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الشرعية، ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهو أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث. لذا، تبقى دوائر «الشريعة» و«الحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، بالنسبة إلى دائرة الإيمان»[3].

أي أنه كان قد وضع سلم أولوياته على النحو التالي: الإيمان، ثم التربية، ثم الشريعة. ولهذا تدرج في دعوته الإصلاحية من الفرد؛ عاملاً، وفلاحاً، وطالباً، وعالماً، ورجل إدارة وسياسة، يغرس في نفوسهم العقيدة والإيمان والأخلاق ومبادىء الإسلام وفضائله، ثم ينتقل إلى البيت؛ زوجاً وزوجة وأولاداً وأسرة،

---

(1) اللمعات، ص ١٦٠

(2) محسن عبد الحميد، ص ٦٢.

(3) الملاحق، ص ١٩٦.

ثم إلى المجتمع بكل ما فيه من شرائح وطبقات وفئات، ثم إلى الأمة الإسلامية.

واستمر النورسي في تطبيق نظريته التغييرية عن طريق:

- نشر حقائق الإسلام بالأدلة والبراهين.
- وتكوين الجيل المؤمن الصالح.
- وبثّ الوعي الإسلامي بخطورة الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين.
- وتهيئة صفوف الأمة للوقوف أمام الموجة اللادينية الطاغية.
- ونقل التربية الإسلامية إلى داخل البيوت».

«وقد نجح أسلوبه هذا إلى حد بعيد»[1].

٢ - وكان منهجه في الإصلاح والتغيير يقوم على الوسطية، وعدم التعصب أو المغالاة في التحيز. يقول الأستاذ النورسي:

- «أيها العالم الإسلامي، إن حياتك في الاتحاد.
- إن كنت طالباً للاتحاد، فاتخذ هذا دستورك.
- لابد أن يكون «هو حق» بدلاً من (هو الحق)

إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه:

«إن هذا حق» ولا أتعرض لما عداه، فإن يكن جميلاً فمذهبي أجمل.

بينما لايحق له أن يقول في مذهبه:

(إن هذا هو الحق، وما عداه باطل، وما عندي هو الحسن فحسب، وغيره قبيح وخطأ).

إن ضيق الذهن وانحصاره على شيء، ينشأ من حب النفس، ثم يكون داء، ومنه ينجم النزاع»[2].

وبهذا السلوك يكون التعاون والاتحاد، وبغيره يكون التنازع والتخاصم والتنابذ، وهو مايسعى إليه أعداء هذه الأمة. وعلى هذه الوسطية ربّى تلاميذه،

---

(١) محسن عبد الحميد، ص ٦٥.

(٢) الكلمات، ص ٨٩٦.

ليصلح بهم الناس، وبهذه الوسطية نفسّر موقفه من حضارة الغرب وفلسفته وعلومه، وموقفه من المدارس الدينية والمدارس الحديثة، ومن العلماء المبتدعين، ومن الصوفية المنعزلين.

٣ - وكانت دعوته شمولية، تحاول أن تكون مكافئة للقوى الثقافية المعادية، لأن المدّ الإلحادي في تركيا كان يشمل جميع جوانب الحياة، وكان يركّز على الأصول والكليّات في الإسلام، قبل الفروع والجزئيات، ولذلك جاءت دعوة النورسي متّسمة بسمة الشمول والكلية[1]. اسمعه يقول:

«إن رسائل النور لا تُعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمّم بيتاً صغيراً مهدماً، بل تعمر أيضاً تخريبات عامّة كليّة، وترمّم قلعة عظيمة، صخورها كالجبال، تحتضن الإسلام وتحيط به.. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين، بل تسعى أيضاً -وبيديها إعجاز القرآن- لمداواة القلب العام المجروح، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيئت لها، وركمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع، ولاسيما عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.

فأمام هذه التخريبات الكلية الرهيبة، والشكوك الواسعة، والجروح الغائرة، ينبغي وجود حجج دامغة، وأعتدة مجهزة بدرجة حق اليقين، وبقوة الجبال ورسوخها، ووجود أدوية مجربة لها من الخواص ما يفوق ألف ترياق وترياق، ولها من المزايا ما يضاهي علاجات لا حد لها»[2].

ولأجل هذا كان يخاطب سائر فئات المجتمع حكاماً ومحكومين، علماء وعامة: «وانطلاقاً من هذا الشمول فقد سار في الخطوط العامة المتوازية في دعواته، حيث إصلاح الفرد، وإصلاح البيت، وإصلاح المجتمع، وإظهار الحقائق بإزالة اللبّس لدى طلاب النور، وتفنيد شبه العلمانيين الملحدين، وشبه غير

---

(١) الوصيف، ص ١٠٥.

(٢) الملاحق، ص ١١٨.

المسلمين، وكشف الحقيقة حول دعوته لدى المسؤولين، وفي دفاعاته في المحاكم، وإظهار الحقائق حول الأفكار السائدة في تركيا على زمانه، وبذل مساعيه المضنية لأجل عودة الخلافة الإسلامية.

ولم يقصر الدعوة على جانب معرفي معين، بل كانت شاملة لجميع العلوم والمعارف التي شملها الإسلام. يقول عن الرسائل التي هي مرآة دعوته: «إن رسائل النور تسد الحاجة التي تخص الحقائق الإسلامية، فلا تدع حاجة إلى مراجعة مؤلفات أخرى»[1].

٤ – وكانت دعوة عالمية، وليست إقليمية.. كان يحث على ترجمة رسائله إلى اللغة العربية، وإلى اللغات الأخرى التي تنطق بها سائر الشعوب الإسلامية، بل وغير الإسلامية، من أجل التبشير بأفكاره وتعاليمه المنبثقة من القرآن والسنة، وكان يأمل أن يقوم علماء من الأزهر أو من بلاد الشام بترجمتها إلى اللغة العربية، كما أوفد أحد طلبته إلى العراق ومصر من أجل هذا الغرض.

ولذلك كان يضع أمله في العرب، وليس في قومه الأكراد، ولا في الأتراك، شأنه شأن أي عالم، أو مجدّد، أو مصلح إسلامي، يعمل على النهوض بأمة الإسلام، وليس أحقّ من العرب المسلمين بالنهوض، واستلام زمام القيادة. قال في خطبته الشامية: «إنني أنتظر من العرب أن يوحّدوا صفوف المسلمين، ويعيدوا إلى الإسلام سالف عهده، وأملي كبير بأن الأجيال القادمة سوف تعيش اليوم الذي يمتدّ فيه الإسلام إلى شتى أنحاء العالم»[2].

ويعرض بالقوميين العرب العلمانيين المنادين بالقومية العنصرية البعيدة عن الإسلام، كدعاة القومية التركية الطورانية فيقول: «وكذا العرب قد سرى الإسلام فيهم، فلا يمكنهم الانفصال عنه والانفصام، فلا معنى للعرب ولا مكانة إلا إذا اقترنت عروبتهم بإسلامهم. فالقومية خطر عظيم»[3].

ولذلك كان يؤكد على اللغة العربية، والحروف العربية، يعلّمها تلاميذه، ويدعو إلى أن تكون خطبة الجمعة باللغة العربية، ولا يرى إلقاءها بغير العربية تحت أي ذريعة.

---

(١) الوصيف، ص ٢٧٧–٢٧٨.

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، ص ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

ونظرته إلى الأتراك كنظرته إلى العرب في تمسكهم بالإسلام، وأنهم جزء لا يتجزأ منه. يقول: «إن الأتراك قوم لا يمكنهم الانفصال عن الإسلام، وهم جزء غير قابل للانفصال عن الأمة الإسلامية، حتى إن غير المسلم فيهم لا يكون تركياً، فكل تركي مسلم»[1]. وليذهب أدعياء القومية ودعاتها إلى الجحيم.

ولكن أبرز صفة يمكن وصف دعوته بها، هي أنها إسلامية تُعنى بقضايا العقيدة، لاسيما وجود الله ووحدانيته، واليوم الآخر (الحشر) وما يتعلق به من الأمور الغيبية. وكلّ خصائص دعوته التي أشرنا إليها، وهي: (التدرج، والوسطية، والشمول، والعالمية) من خصائص هذا الدين.

وسائله في تحقيق تلك الملامح الإصلاحية

كان هامش الحرية الذي أتيح للأستاذ النورسي ضيّقاً وضيّقاً جداً، وقد تقدم أنه قضى زهرة عمره في المنافي والسجون والمعتقلات.. ثمانية وعشرين عاماً قضاها سجيناً ومنفياً بعيداً عن الناس وعن تلاميذه، ولهذا لم يتح له من الوسائل إلا النزر اليسير للتبشير بدعوته الإصلاحية، في السجون، حيث اهتدى على يديه عدد من المجرمين المحبوسين معه، وفي المنافي، حيث كان يشدّ أنظار الفلاحين البسطاء إليه بمنظره ودينه وأوراده واستقامته وصبره، كما شدّ عدداً من أفراد الشرطة القائمين على مراقبته، وكذلك بعض القضاة الذين كانوا يستمعون إلى مرافعاته ودفوعه الرائعة المقنعة ببراهينها وأدلتها المصحوبة بحماسة وجرأة وفاعلية..

وقد استثمر الأستاذ النورسي كل الوسائل المتاحة، من اتصالات شخصية، إلى الخطب والمواعظ والمحاضرات في المناسبات المختلفة، إلى الكتابة في الصحف، إلى تأليف رسائل النور التي كانت -وما تزال- دروساً قرآنية توافق أفهام هذا العصر، وكانت كل رسالة منها هي سعيد النورسي نفسه.

وكان يكتب (المكاتيب) أي الرسائل الشخصية إلى تلاميذه وإلى الهيئات الإسلاميّة وغير الإسلامية، ويجيب بها سائليه، كما كان يكتب الرسائل إلى الحكام والعلماء والوجهاء، ينصحهم حيناً ويأمرهم وينهاهم حيناً آخر.

---

[1] الكلمات، ص ٨٩٦

وقد ظهرت مواهبه المتعدّدة، ومؤهلاته العقلية والمنطقية والعلمية، في محاوراته ومناظراته.. ظهر فيها عقله المرتّب، ومنطقه العلمي السليم، فكان يلزم الخصوم حدودهم، ويكسب ذوي الضمائر الحيّة والمخلصين المغرَّر بهم. نذكر من حواراته ومناظراته، ما كان مع وزير داخلية السلطان عبد الحميد، ومع مفتي مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي، ومع القائد العام للجيش الروسي خال القيصر نقولا، ومع مصطفى كمال، ومع حسين باشا رئيس إحدى العشائر الكردية الذي جاء يدعوه إلى الاشتراك في ثورة الشيخ سعيد بيران ضدّ النظام الكمالي العلماني، وحواره مع رؤساء العشائر الكردية والتركية، لتحطيم اليأس، وبعث الأمل في النفوس. ولعلّ أروع تلك المحاورات والمناظرات ما كان مع المحققين والقضاة الذين كانوا يحققون معه، لإدانته والإيقاع به، وقد كانت دفوعه ومرافعاته، في المحاكم العلنية، وسيلة فعّالة في نشر أفكاره وآرائه بل كانت خير وسيلة لشرح غاية دعوته، وفضح مرامي الذين يقفون ضدّه، ومقاصدهم المعادية للإسلام والداعين إليه.

وكل نظرية تغييرية تحتاج إلى الموارد البشرية بأعدادها ونوعيتها وإلى الخبرات اللازمة، والتقنية المكافئة، وإلى الوقت الكافي لعملية التغيير، وإلى المكان الجاهز والصالح لتلك العملية[1].

وهذه كلها لم تكن متوافرة لدى بديع الزمان، لطبيعة الظروف القاسية التي كان يعيشها، والتي فرضها عليه أعداء الإسلام.

صحيح أنه كان مقتنعاً بضرورة الإصلاح والتغيير، وقد استطاع إقناع أتباعه بهما، بما كتب وشرح لهم، وبالوضع الشائن الذي عرّاه أمامهم، حتى جعلهم ينفصلون عن هذا الواقع نفسياً، بفقد انبهارهم به، وبأن المستقبل يجب أن يكون لهذا الدين.

وصحيح أنه استطاع تحويل أحاسيس اليأس والإحباط إلى مشاعر إيجابية بنّاءة، واستطاع تعبئتهم تعبئة نفسية سليمة، وولّد لديهم طاقة جديدة يحدوها الأمل بمستقبل أفضل.

هذا كله صحيح، ولكن التحديات كانت أكبر من الوسائل المتاحة له.. كانت الرياح الهوج تعترض سفينة حياته التي تتقاذفها وتلاطمها أمواج القوى السياسية

---

[1] بشير الجابري، ص ٧١

والثقافية المعادية.. كان الناس أكثر الناس يسبحون مع تيار الإلحاد والانفلات، وكان هو وتلاميذه يسبحون ضدّ ذلك التيار الهائل الهادر الذي حشد له الحاشدون الحشود التي أرادوا بها القضاء المبرم على الإسلام، في نفوس أبناء الإسلام وحُماته، والإجهاز على علمائه والدعاة إليه على علم وبصيرة. فالقوى لم تكن متكافئة، ولم يكن الخصوم أخلاقيين في خصومتهم، لأنهم كانوا يسيرون في ركاب أفكار وحضارة بلا أخلاق.

ولذلك .. قضى الأستاذ نحبه، ولمّا يقض وطره في إنقاذ الإيمان، وعودة الإسلام إلى الحياة والمجتمع من جديد.

الأبعاد الفكرية والاجتماعية والسياسية لدعوته

كانت الدولة العثمانية، ثم الدولة الكمالية، غارقتين في الجهل والفقر والتخلف.. أميّة ضاربة أطنابها في المجتمع التركي عامة وفي الأرياف الفقيرة خاصة.. أمّية في القراءة والكتابة، وأمّية فكرية قاتلة.. وبشكل أخصّ، في كل ما له صلة بهذا الإسلام، حتى غدا الإسلام بمبادئه العظيمة، مشوّهاً، تتناوشه سهام الغدر من كل جانب، جهل مطبق في العبادات التي كانت صورية شكلية لا روح فيها.. وجهل أشدّ بتعاليم الإسلام ومبادئه القويمة، التي تعرّضت لأشرس حملة يهودية صليبية علمانية حاقدة عليها.. على الإسلام، وعلى تاريخه، وعلى رجاله، حتى رسول الإسلام، صلى الله عليه وسلم لم يسلم من طعنات الطاعنين به، والمسلمون عاجزون جهلة، وعلماء الإسلام بين منكفىء على نفسه، وفار بدينه، وبين منحرف مبتدع سائر في ركاب الحاكمين.

عاصر بديع الزمان هاتين المرحلتين الحالكتين، ووعى الداء، وعرف الدواء، فتسلّح بالعلم والإيمان والإخلاص، ثم انطلق يجوب المدن والقرى والأقاليم التي كانت تابعة للدولة العثمانية، وقابل السلاطين والوزراء ورجال الحكم والإدارة، وطالبهم بالإصلاح، وبتحمل مسؤولياتهم تجاه الأمة والوطن، كما دعا أبناء الشعب إلى اليقظة والنهوض من الهوّة السحيقة التي تردّوا فيها منذ زمن، فتعرض لما تعرّض له من بلاء السجن والتعذيب والنفي، والملاحقة والمطاردة والتضييق عليه وعلى تلاميذه طلاب مدرسة النور دون أن تلين له قناة، أو تضعف له عزيمة، أو تخور له إرادة، وكان لرسائله وخطبه ومواعظه ومرافعاته ومقالاته الصحفية، آثارها في نفوس

الناس، فقد عرّى الدعاوى العلمانية، وفضح أهداف القوميين والبلاشفة والماسونيين، وصحح الفكرة المشوّهة عن الإسلام ونبيّ الإسلام، عن طريق رسائل النور التي انتشرت في أنحاء تركيا، فانبثقت عنها صحوة فكرية، تمثلت في سيل المطبوعات والكتب في العديد من المدن التركية، واستطاعت أن تضغط على رجال السياسة، وجلهم من العلمانيين، فاستجابوا لبعض مطالب المسلمين، وتزلفوا للشعب المسلم، فأعاد رئيس الوزراء عدنان مندريس -رحمه الله- الأذان إلى لغته العربية، وسمح بفتح العديد من مدارس الأئمة والخطباء، وبفتح الجامعات والكليات الشرعية الإسلامية.

بل إننا نستطيع أن نزعم، أنّ المدّ الإسلامي المعاصر في تركيا، ما هو إلا نتيجة طبيعية، لتلك الصحوة الاجتماعية الإسلامية التي حمل عبأها طلاب مدرسة النور، مستهدين بالرسائل النورانية التي تركها لهم شيخهم الإمام بديع الزمان النورسي، صاحب هذه المدرسة وما حوت من تراث فكري ضخم، كان الشموع وكان المنارات، في ليل تركيا البهيم...

إن المدّ الإسلامي المعاصر في تركيا، فكرياً وسياسياً، وعلمياً، واقتصادياً وتربوياً، هو من ثمرات بديع الزمان الذي غرس غراسها منذ بداية هذا القرن وشرع يتعهدها بالتربة الصالحة، والسقاية والرعاية، حتى آتت أكلها، وصارت قاب قوسين أو أدنى من الهدف الذي سعى الإمام النورسي إلى تحقيقه قرابة ثلاثة أرباع القرن.

* * *

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم﴾

وصلى الله على سيّدنا وقائدنا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

المنهج الفقهي عند النورسي

الدكتور علي الصوا

نائب عميد كلية الشريعة/ الجامعة الأردنية

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل حياة الأمة بهذا الدين، وتكفل بأن يبعث لها من أنفسها مجددين، وصلاة وتسليماً على المبعوث رحمة للعالمين. أما بعد:

فإني أعترف بتقصيري فيما سأعرض من جهد تجاه رجل من مجددي أمر دين هذه الأمة، في فترة من أسوأ فترات حياتها، وأعلن أن معرفتي بحقيقة دعوته وجوانب شخصيته كانت عاطفية، أكثر من كونها مبنيّة على أسس علمية ومعرفية صحيحة، وأنها لا زالت ناقصة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والاستقصاء، وفي اعتقادي أنني سأستفيد من هذه الندوة، ومن هذه الدراسات التي تثار فيها أكثر مما أفيد، ولا أقول ذلك تواضعاً وإنما أقوله وصفاً لواقع حالي، وبضاعتي مزجاة، والله أسأل أن يُسهّل لي سبل الفهم والمعرفة.

فهمت من العنوان الذي طُلب إليّ المشاركة فيه وهو **«بديع الزمان النورسي ومنهجه في التعامل مع الفقه»** أن الفقه عند الذين اقترحوا العنوان يراد به معنى خاصاً في أذهانهم، و هو استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، فقلت في نفسي: إن هذا الموضوع سهل، فقد أعثر على كتاب فقه للنورسي، أو أبواب محددة فيه في ثنايا رسائله، أو على مسائل بارزة منشورة في تلك الرسائل، ولكنّي بعد تقليب الرسائل، والبحث في آثار الرجل العالم، لم أعثر على ضالتّي، ولم أجد بغيتي؛ مما أضعف همتي، وأقعدني عن المضي في الموضوع، ولكن إلحاح الدكتور فتحي ملكاوي –حفظه الله– عليّ أن أكتب شيئاً في هذا الموضوع، ولو كان هذا الشي بيان أن النورسي –رحمه الله– لم يُعْنَ بالفقه، أو أن عنايته به كانت ضعيفة، دفعني مرة أخرى إلى إعادة النظر في موقفي، وتحديد المنهج الذي أسير

عليه، فرسمت لنفسي خطة عملية، أحسب أنها توصلني إلى شيء يفي النورسي بعض حقه في هذا الجانب، وقد جاءت معالم هذه الخطة بدراسة شاملة لحياته. ثم استعراض مُتأنٍ لرسائله، ثم استعراض للمؤتمرات التي عقدت وتناولت أبحاثها جوانب فكره ودعوته وآثاره، ومن خلال كل ذلك توصلت إلى التساؤل التالي: أيعقل أن يكون النورسي متمتعاً بهذه الخصائص الذاتية، وهذا التأثير العجيب في تلاميذه ومحاوريه، وأن يترك كل هذه الرسائل بما تحويه من علوم ثم لا يكون فقيهاً؟! والجواب بالإيجاب عصيٌّ على الفهم والمنطق، كما أن الجواب بالنفي وهو أنه لا يُعقل يحتاج إلى برهان وهذا هو التحدي الذي واجه الباحث من أول لحظة، هممت أن أكتب فيها عن «منهج النورسي في الفقه» وآثرت عدم الهروب، ورسمت خطة من البحث عن معنى الفقه، وعن تطور هذا المعنى عبر العصور، ثم بعد ذلك بحثت في أي معاني الفقه يعد جهد النورسي العلمي، وحاولت أن أتلمّس منهجه في التعامل مع الفقه؛ بمعنى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

فأبدأ بالتمهيد الذي أراه ضرورياً، وهو بيان معنى الفقه عبر العصور الإسلامية، يمكن للباحث أن يقرر بأن معنى الفقه قد مرّ في عصور مختلفة، وكان معناه في كل عصر يختلف عن معناه في العصر الذي يليه. ففي صدر الإسلام كان الفقه يشمل كافة علوم الشريعة، من علوم القرآن إلى علم التوحيد، إلى علم الأخلاق إلى العلم بالمسائل الفرعية الخاصة بالمعاملات والعبادات وغيرها. وهذا المعنى هو المراد في قوله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، وبقوله: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» وبقوله «ربّ حامل علم إلى من هو أفقه؟ له منه» وسبب هذا الشمول أن العلوم الإسلامية لم تكن قد تميز بعضها عن بعض، وقد وجدنا هذا الاتجاه في فهم الفقه واضحاً في تعريف الإمام أبي حنيفة له، حيث عرفه بأنه: «معرفة النفس ما لها وما عليها» فهو شامل للأحكام الشرعية العملية كما هو شامل لعلم التوحيد والاعتقاديات، كوجوب الإيمان، والوجدانيات أي الأخلاق الباطنة والملكات النفسية، ولهذا سمى الإمام أبوحنيفة كتابه في علم الكلام بـ «الفقه الأكبر»[1].

---

[1] بدران أبو العينين، أصول الفقه الإسلامي، ص ١٣.

وقد استمرّ هذا المعنى الشمولي للفقه، إلى الوقت الذي بدأت فيه العلوم الإسلامية تتمايز، فاستقل الفقه بمعنى جديد وهو «العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية»[1].

يقول الغزالي –رحمه الله– «والفقه عبارة عن العلم والفهم بأصل الوضع، ولكن صار يعرف عند العلماء بأنه: عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة»، ويذكر بدران أبو العينين أن الفقه بهذا الاصطلاح لم يُعرف إلا في عهد الشافعي وتلاميذه[2]. أي بعد منتصف القرن الثاني الهجري.

وتقييد الفقه بالأحكام الشرعية العملية، أخرج من مفهومه الأحكام الاعتقادية والوجدانية، وعلوم القرآن وعلوم الحديث، وغيرها، وقد اختص علم الكلام بالأحكام الاعتقادية وعلم الأخلاق والتصوف بالأحكام الوجدانية، أما الفقه فصار مختصاً بالأحكام الشرعية العملية دنيوية كانت أو أخروية، متى كانت متعلّقة بأفعال العباد، كالعقوبات وموجباتها، والعبادات وأحكامها، وأحكام الأسرة، والعلاقات الدولية والمعاملات الأخرى كالبيوع والإجارات والهبات وغيرها.

وفي ضوء هذا التعريف؛ فإن الفقيه هو من أدرك الأحكام الشرعية العملية كلها، أو جزءاً منها بواسطة الاستنباط من الأدلة التفصيلية، أو الجزئية، وعلى هذا فلا يسمّى فقهاً ما نشأ عن غير اجتهاد واستنباط.

غير أن الفقه في عصرنا هذا، وعصور التقليد التي سبقته؛ صار يطلق على معرفة الأحكام الشرعية العملية، سواء نشأت عن اجتهاد واستنباط أو لم تنشأ، وسواء كان هذا الاجتهاد مطلقاً أو اجتهاداً في المذهب، أو كان نقلاً لأقوال المذهب في المسائل كلها أو بعضها، وسواء صدر ذلك الاجتهاد عن أهل الإفتاء أو القضاء أو أهل التعليم؛ فإدراك الأحكام الذي اجتمعت فيه هذه المعاني يسمى فقهاً[3].

---

(1) انظر التعريفات للجرجاني، والتلويح على التوضيح لصدر الشريعة.

(2) بدران أبو العينين، أصول الفقه الإسلامي، ص١٥.

(3) المصدر نفسه، ص ٢٤.

وتأسيساً على ما سبق، فإن الناظر في دعوة النورسي –رحمه الله– وفي رسائله والكتابات التي دارت حول فكره ودعوته، يجد أنه كتب في العقيدة، والأخلاق، والتفسير، وعلوم القرآن، واللغة، والفكر الإسلامي، وفي الدعوة، والسياسة، وغير ذلك من العلوم والمعارف ومن ينعم النظر في تلك الأبواب، وكيفية معالجة النورسي لقضاياها؛ يجد نفسه أمام فقيه بالمعنى الشمولي للفقه،؛ أي بالمعنى الذي ذكره الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– للفقه، وهو معرفة النفس ما لها وما عليها، فقد برع في علم التوحيد، وعلم الكلام، والفكر الحضاري المبني على معرفته بالتاريخ والواقع الإنساني، ويظهر للباحث المدقق أن النورسي –رحمه الله– له معرفة دقيقة بالنفس البشرية و عللها، والأدواء المناسبة لعلاجها، وتنبؤك كتاباته عن معرفة شمولية للإسلام وكلياته ومقاصده، وإذا كان هذا من فقه الرجل استنباطاً وإدراكاً؛ فإن في معالجاته للمشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي عامة والتركي خاصة وخططه التي رسمها للوصول إلى أهدافه، لقد كان فقيهاً من جهة قدرته على اختيار الأحكام المناسبة وإنزالها على الوقائع والمشكلات، فهو كالطبيب البارع الذي يشخص المرض، ويعين الدواء المناسب لعلاجه.

وحتى يحصل التأكد مما أقول، أسوق بعض الأفكار للنورسي للدلالة على فهمه لعلوم الشريعة، وشمول ذلك الفهم، وعلى قدرته في إنزال الأحكام المناسبة على الوقائع لمعالجة المشكلات والتحديات المختلفة، فالنورسي في حديثه عن الإيمان وقضايا علم الكلام، لم يكن مردداً لكلام من سبقوه، ولا لموضوعات علم الكلام التي كانت تشتمل على الإلهيات والنبوات والسمعيات بكل تفصيلاتها المصطلحية، ولكنه تجاوز ذلك إلى بيان النظرة الإسلامية الشاملة للوجود حسب متطلبات العصر، ذلك لأنه وجد نفسه والأمة كلها أمام جاهلية حضارية ضخمة، لا تقتصر على البحث في الموضوعات الكلامية، وإنما نتجاوزها إلى الإنسان والطبيعة. فبحث النورسي عن الإنسان والطبيعة[1] بمنهجية تنم عن فقه شمولي، فهو حين تحدث عن معرفة الله تعالى وربوبيته وألوهيته وصفاته وشؤونه في خلقه؛ عرّف الإنسان بكينونة نفسه،

---

[1] د. محسن عبدالحميد، النورسي متكلم العصر الحديث، ص ١١٠.

وبكل ما يتعلق به فرداً أو جماعة، ظاهراً وباطناً، كما عرّفه بعلوم الكون الشامل لكل ما في السماوات والأرض، وهو يستخدم معرفة الإنسان بالله لتقوده إلى معرفته بنفسه، ومعرفته بالكون الذي سُخِّر له، كما أنه يجعل معرفة الإنسان بنفسه وبالكون؛ سبيلاً إلى معرفة الله سبحانه وتعالى[1]، وهذا المنهج استعمله القرآن الكريم في مواطن متعددة من سوره وآياته، مما يدل على فقه الرجل في هذا الجانب، وعمق فهمه لكتاب الله سبحانه وتعالى، انظر إليه يقول: «تأمل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك أيها الإنسان من حدود متعرجة والتواءات فيه... وتأمل في فوائدها ونتائج خدماتها، وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة»[2] كان هذا التعليق في شرحه لقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدّر فهدى﴾[3] وانظر إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾[4] قال: إن معاونة الموجودات بعضها للبعض الآخر، وتجاوبها فيما بينها، وتساندها في الوظائف والواجابات؛ يدل على أن كل المخلوقات تحت تربية ورعاية مرب واحد أحد ...الخ[5].

إن هذا وغيره كثير، يدل دلالة ساطعة على أن النورسي تناول مباحث العقيدة ضمن منظومة معرفية واحدة، وأن فهمه على هذا النحو لدلالة أكيدة على فقه شمولي لقضايا الإسلام وعلومه، ويزيد عجب الباحث حين يجد النورسي قد استخدم هذا المنهج الكلامي الجديد في مواجهة المخطط الغربي «الأيديولوجي» في اقتحام الموضوعات المذكورة من وجهة نظر فلسفية مادية[6].

---

(1) أديب الدباغ، نظرية المعرفة عند بديع الزمان النورسي، كتاب المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، ص٧٥.

(2) الكلمات، ص ٧٩٤.

(3) سورة الأعلى، آية (١-٣).

(4) سورة إبراهيم، آية ٣٢

(5) الكلمات، ص ٧٩٤.

(6) النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ١١١.

لذلك نجده يعقب كلامه في قضايا التوحيد وعلم الكلام بمثل قوله «فيا أيها المتفلسف المفلس؟ ما تقول في هذه النافذة؟ أيمكن للمصادفة التي تعتقد بها أن تتدخل في هذه الأمور»[1] ومثل قوله «فيا أيها الغافل المتردّي في مستنقع الطبيعة؛ إن لم تعرف عظمة القدرة الربّانية، وتنبذ مفهوم خلافية الطبيعية فما عليك إلا أن تسند إلى كل شيء في الوجود بل حتى إلى ذرة، قوة هائلة لا حدود لها وقدرة عظيمة لا منتهى لها، وحكمة بالغة لا حدود لها...الخ»[2].

إن هذا المنهج يدل على فقه سديد، فهو لا يتكلف علماً نظرياً مجرداً، ولا فكراً كلامياً من باب الترف، ولكنه يواجه أصحاب العقائد الفاسدة ويناقشهم في صلب القضايا التي يهجمون منها على أهم مرتكزات العقيدة وأخطرها، وهي أن الله وحده خالق الكون المتصرف فيه والمهيمن عليه».

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا توجه النورسي إلى إبراز حقائق الإيمان وتوسع فيها، واعتمد عليها في دعوته لبناء الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، والدولة الإسلامية؟ ويأتيك الجواب ناصعاً بأنه أدرك بالتجربة والفهم الدقيق لكلام الله -سبحانه وتعالى- أن هذا أنسب طريق لمعالجة الخلل الكبير الذي تواجهه الأمة المسلمة والفرد المسلم، فقد وقف على عدوّين خطرين للإسلام والمسلمين.

أحدهما: الجهل الذي غرقت فيه عقول الأمة، وأصابها الانحطاط بسببة.

وثانيهما: الغزو الثقافي الغربي الذي بهر مثقفي الدولة العثمانية، والطبقة المتميزة فيها، حتى أفقدها إيمانها، وظنت أن طريق خلاصها من التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مرهون باستلهام هذه الثقافة، من غير تفريق بين ضار ونافع، في الوقت الذي استغل فيه آخر السلاطين العثمانيين -إلا من رحم ربك- اسم الدين والخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة، وتحقيق رغباتهم في مقابل حضارة غربية فائضة بالروح الجديدة والطاقات الجديدة، ومليئة بالحماس والآمال العريضة، وقد وجدت

---

(1) الكلمات، ص ٧٩٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٧٩٦.

هذه الحضارة لها وكلاء يعملون على ترويجها فكراً، وتطبيقها عملاً وواقعاً، مما دفع عالمنا -رحمه الله- للتوجه صوب الإيمان الذي تتفرع عنه المعارف، وتنمو على أساسه الحضارة الإسلامية المنشودة، وتقوم على قواعده أحكام الشريعة وقوانينها، إذ لا يتصور عاقل أن يحمل علوم الإسلام الجهلة بها، ولو حملوه لكانوا عاراً عليها. كما أنه لا يعقل أن تقوم للإسلام دولة الأحكام في وسط بيئة من الشك بقيمه ومرتكزاته، أو في وسط فئة تعتقد أن التمسك بالإسلام سبب التخلف والتراجع الحضاري.

يقول النورسي -رحمه الله-: «إن أعظم خطر على المسلمين في هذا الزمان هو فساد القلوب، وتزعزع الإيمان بضلال قادم من الفلسفة، وإن العلاج الوحيد لإصلاح القلب، وإنقاذ الإيمان؛ إنما هو النور وإراءة النور، فلو عُمل بهرواة السياسة وصولجانها، وأحرز النصر تدنى أولئك الكفار إلى درك المنافقين، والمنافق -كما هو معلوم- أشد خطراً من الكافر وأفسد فيه، فصولجان السياسة إذاً لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت، حيث ينزل الكفر إلى أعماق القلب ويتستر هناك وينقلب نفاقاً.

ثم إن شخصاً عاجزاً مثلي لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، لذا فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور بما أملك من قوة، فيلزم عدم الالتفات إلى هراوة السياسة[1].

فهو لم يدع السياسة لأنه يعتقد أنها ليست جزءاً من الإسلام، كما قد يتوهم، ولكنه تركها لعدم جدواها وسيلة للإصلاح في ذلك الوقت؛ ولأن ظروفه وظروف جماعته لا تمكنه من خوض غمارها، وهذا واضح في قوله: «فصولجان السياسة لا يصلح القلب في مثل هذا الوقت»، وقوله: «إن شخصاً مثلي لا يمكنه أن يستعمل النور والهراوة معاً في هذا الوقت، فأنا مضطر إلى الاعتصام بالنور».

وهذا الكلام مبني على توظيف فقه الموازنات وقواعده العامة من مثل «دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح»، و«جلب أعظم المصلحتين واجب شرعاً»، فإن

---

[1] انظر اللمعات، ص ١٥٨، والمكتوبات، ص ٥٩-٦١

ترك السياسة في مثل ذلك الوقت ضرر على اعتبار أنها وسيلة لحماية الدين، وسياسة الدنيا به، ولكن استخدامها من وجهة نظره في ذلك الظرف والوقت ضرر أكبر، لما قد يترتب عليه من مفاسد تلحق بدعوته وتلاميذه، ولأنه لو انصرف إليها -على نفعها في ذاتها- لما وجد استجابة لدعوته بسبب فقر القلوب من الإيمان، وضعف النفوس وخور العزائم؛ لذلك لم تكن السياسة وسيلة ناجحة للوصول إلى الإيمان، فتحيى به القلوب، ويعمر العقول؛ فيرى الإنسان نفسه، وما يترتب عليه من مسؤولية تجاه دينه وأمته، وإحياء الحضارة الإسلامية في الوجود.

إن هذا المنهج -أعني فقه الموازنات- هو الذي جعل النورسي يطلب من أتباعه أن لا يقابلوا الظلم الذي يقوم به المستترون بالوطنية بالقوة، بل يطلب أن يقاوم الظلم بشكل سلبي، فهو يقول في بيان الحكمة من عدم مقابلة الظلم بالقوة: «كي لا يتضرر تسعون بالمائة من الأبرياء بسبب عشرة بالمائة من الزنادين، وللمحافظة على الأمن من أجل سلامة الأبرياء»[1].

ويلاحظ أن هذه الموازنات، هي التي دفعته إلى مساندة عدنان مندريس والحزب الديمقراطي طيلة الخمسينات بسبب سلوكهم المعادي للشيوعية، والمتسامح مع الإسلام ومحاولتهم ترميم بعض الخراب الاجتماعي والأخلاقي والديني؛ الذي تسبب به حزب الشعب الجمهوري مدة خمس وعشرين سنة.

اسمع جوابه على سؤال تلامذته، لماذا تعمل على الحفاظ على الحزب الديمقراطي؟ يقول: «إذا سقطت حكومة الحزب الديمقراطي فسيتولى السلطة حزب الشعب الجمهوري، أو حزب الأمة، والحال أن الجنايات التي ارتكبها الفاسدون من الاتحاد والترقي، والقسم الأعظم من الإجراءات التي نفذها رئيس الجمهورية الأول بموجب معاهدة سيفر، طوال خمس عشرة سنة تحت ضغوط ومكايد سياسية كثيرة. كل هذه الأمور حمّلت على حزب الشعب الجمهوري؛ لذا فإن هذه الأمة التركية العريقة لن تمكن بإرادتها ليتولى حزب الشعب السلطة. ذلك أن حزب الشعب إذا تولى السلطة فإن القوة الشيوعية ستحكم في البلاد تحت اسم الحزب نفسه، على أن المسلم يستحيل عليه أن يكون شيوعياً، بل يصبح إرهابياً فوضوياً، ولا موضع لمقارنة المسلم بالأجنبي.

---

[1] ملحق أمير داغ، ص٣٩٦.

ولأجل الحيلولة دون وصول حزب الشعب إلى السلطة، والذي يشكل خطراً رهيباً على حياتنا الاجتماعية وعلى الوطن، أعمل على المحافظة على الحزب الديمقراطي باسم القرآن والوطن والسلام[1].

فهو لم ير في رئيس الجمهورية آنذاك خليفة المسلمين، ولا رأى حزبه الديمقراطي يحكم بما أنزل الله حتى يدعمهم، ولكنه دفع مفسدة سيادة حزب الشعب الجمهوري وحزب الأمة بما هو أخف منها وأقل ضرراً، خاصة وأنه ألمح إلى خطر سيطرة الشيوعيين على البلاد والعباد، وقد استند في دعوته للتغيير إلى سنة التدرج في التطور الذي يوجب البدء بالقاعدة والصعود إلى القمة، لا العكس؛ ولأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية، فهو يقول: «إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الإسلامية، ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث؛ لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان[2].

إن القاعدة الإيمانية إذا تكونت فإن تطبيق الشريعة وأحكامها يأتي خطوة طبيعية تالية، ولكن لا قيام للشريعة من غير قاعدة إيمانية.

فالنورسي لم يستهلك طاقته الإبداعية في الفروع الفقهية وتفاصيلها، وإن نبّه على كثير من مسائل الشريعة؛ إذ خصص رسائله في الجملة لإنقاذ الإيمان، وشرح أصول العقيدة وتربية النشئ، والدعوة إلى تمثل الأخلاق لمواجهة الهدم الفكري والعقدي والأخلاقي؛ لأن المجتمع الذي يفقد أسس الإيمان وحرارة الانتماء، لا فائدة أن تحدثه عن تفاصيل الشريعة، فالقاعدة الإيمانية إذا تكوّنت فإن تطبيق أحكام الشريعة يأتي خطوة طبيعية نحو الوصول إلى المجتمع الذي يحكمه نظام الإسلام، فهو –رحمه الله– يريد أن يبدأ من الإيمان إلى التربية إلى الشريعة. وقد اقتدى بهذا

---

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) الملاحق، ص١٩٦

المنهج التدريجي أعني البدء من الأهم إلى المهم بمنهج القرآن الكريم، الذي رسمه رسول الله ﷺ إذ بدأ في قلة بإحياء القلوب بالإيمان وقواعده الأساسية، وتثبيت أصول الأخلاق، وتربية المؤمنين عليها، ثم جاءت الأحكام التشريعية تالية في المرحلة المدنية، مع استمرار دعوته للإيمان والأخلاق.

ولكن ليس معنى ذلك أن النورسي طبق تلك الخطوات منفصلة دون ترابط؛ لأن دعوته إلى تطبيق الشريعة، وبيان شمولها لحياة الإنسان ظل قائماً طيلة حياته، وهو مستمر في جوانب كثيرة من رسائله، فهو يقول عن كمال الشريعة:

فكمال انتظام هذه الشريعة الغرّاء وجمال توازنها الدقيق، وحسن تناسب أحكامها ورصانتها، كل منها شاهد عدل لا يجرّح، وبرهان قاطع باهر لا يدنو منه الريب أبداً على أحقية القرآن الكريم بمعنى أن البيانات القرآنية لا يمكن إسناده إلى علم جزئي لبشر، ولا سيما إنسان أميّ، بل لا بد أن تستند إلى علم واسع محيط بكل شيء والبصير بجميع الأشياء معاً[1].

ويبين قدرة الشريعة على إدارة الحياة البشرية فيقول: « لأن الشريعة التي تجلت من النبي -ﷺ- وأدارت خمس البشرية على اختلافها، منذ أربعة عشر قرناً إدارة قائمة على الحق والعدل بقوانينها الدقيقة الغزيرة لا تقبل مثيلا أبدا»[2] لذلك دعا إلى تطبيق الشريعة؛ لأنها أنفع دواء للأمراض الروحية والعقلية والقلبية، لا سيما الاجتماعية منها، ولا يمكن أن تقوم مقام الشريعة أية فلسفة ولا أية مسألة حكيمة[3].

ويقول في الإسلام: « أجل إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة سعادة في الدنيا، أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة، إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعاً ولا أمان بيد الكذّابين والمرائيين[4].

---

(1) الكلمات، ص ١٥٤.
(2) المكتوبات، ص٢٨١.
(3) اللمعات، ص٨٩.
(4) المصدر نفسه، ص ٥٢١.

فالنورسي يوجه الأنظار إلى قضية كلية من قضايا الفقه، وهي تحكيم الشريعة، ويدعو إليها، ويقيم الحجج القاطعة على صلاحية هذه الشريعة وقدرتها على مواجهة الحياة ومشكلات المجتمع، وهو حين يتعرض للجزئيات المتفرّعة عن هذه القاعدة، يحاول الوصول إلى تأييدها بطريقة دالّة على فهم وتذوق لأسرار الشريعة وحكمها ومقاصدها في حفظ مصالح الخلق، كما يبني الجزئي الفقهي على كلي الإيمان.

لنظر إليه يقول: «إن السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر إجراء الحد الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم، فكأنه يسمع بخاصية الإيمان بإذن قلبه، ويشعر حقيقة بالكلام الأزلي الذي يقول: « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»[1] فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يشبه من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمّارة بالسوء والهوى... وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم الميل ليس الوهم والفكر وحدهما، وإنما قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى. فبتذكّر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زاجر سماوي ورادع وجداني فيسكتانه»[2].

ويقول:« إن الحد أو العقاب عندما يقام امتثالا للأمر الإلهي، والعدل الرباني، فإن الروح والعقل والوجدان واللطائف المندرجة في ماهية الإنسان تتأثر وترتبط به، فلأجل هذا المعنى؛ إفادتنا من إقامة حد واحد طوال خمسين سنة أكثر من سجنكم في كل يوم، ذلك لأن عقوباتكم التي تجرونها باسم العدالة لا يبلغ تأثيرها إلا في وهمكم وخيالكم...»[3] ثم يقول: «فإذا قيس على هذه المسألة الجزئية في السرقة سائر الأحكام الآلهية، تدرك أن السعادة البشرية في الدنيا مرتهنة بإجراء العدالة، ولا تنفذ العدالة إلا كما بيّنها القرآن الكريم»[4].

---

(1) المائدة: ٣٨.

(2) صيقل الإسلام، ص٥٢٣.

(3) المصدر نفسه والصفحة.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

فأنت تجده وهو يتحدث عن أمر جزئي من الفقه، ويثبت نفعه وتفوقه على بديله من الأحكام التي يفرضها البشر بقوانينهم؛ ثم ينطلق إلى تعميم حكمه على سائر الأحكام البشرية، وقد ظهر ذلك جلياً في حديثه عن الاقتصاد تمعن في قوله الآتي:

عن الناحية الاقتصادية وهي مسألة فقهية عامة، قال النورسي: «إن أسّ أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً.

الكلمة الأولى «إن شبعت، فلا علي إن يموت غيري من الجوع» **الكلمة الثانية** «اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا»[1].

إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والصراع، فسلبت البشرية الراحة والأمان، «ولم تستطع المدنية أن تصلح بين هاتين الطبقتين، وعجزت عن تضميد الجراح الغائرة في الحياة البشرية».

«أما القرآن الكريم فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها، ويداويها بوجوب الزكاة، ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا»[2].

كما يتجلّى منهجه هذا أثناء حديثه عن تعدد الزوجات انظر إليه يقول:« إن المدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآني مخالفاً للحكمة، ومنافياً لمصلحة البشر، وإن الحكمة من الزواج والغاية منه إنما هي التكاثر وانجاب النسل، أما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة، فهي أجرة جزئية تمنحها الرحمة الآلهية لتأدية تلك المهمة، فما دام الزواج للتكاثر، وإنجاب النسل، ولبقاء النوع، حكمة وحقيقة؛ فلا شك أن المرأة التي لا يمكن أن تلد إلا مرة واحدة في السنة، ولا تكون خصبة إلا نصف أيام الشهر، وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها؛

---

(1) الكلمات، ص ٤٧٣ – ٤٧٤.

(2) المصدر السابق، ص٤٧٤.

لا تكفي الرجل الذي له القدرة على الإخصاب في أغلب الأوقات، حتى وهو ابن مائة سنة لذا تضطر المدنية إلى فتح أماكن العهر والفحش»[1].

وفي بيان لعدل الإسلام وحكمته في نصيب المرأة من الميراث يذكر« أن المدنية التي تتحاكم إلى المنطق العقلي تنتقد الآية الكريمة ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[2] التي تمنح النساء نصف ما يأخذه الذكر، ويبين أن أغلب الأحكام في الحياة الاجتماعية إنما تسن حسب الأكثرية من الناس، فغالبية النساء يجدن أزواجا يعولونهن ويحمونهن، بينما الكثير من الرجال مضطرون أن يعولوا زوجاتهم ويتحملوا نفقاتهن، فإذا ما أخذت الأنثى نصف ما أخذه الزوج من أبيه، فإن زوجها سيسد حاجتها بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه، فإنه سينفق قسطاً منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة ويكون الرجل مساوياً لأخته، وهكذا تقتضي العدالة القرآنية[3].

وهكذا فإن تعرّض النورسي –رحمه الله تعالى– لبعض الفروع الفقهية، إنما كان بدافع إبراز محاسن الإسلام في مقابل الهجوم على مبادئه وأحكامه، وبيان حكمه ومقاصده حتى لا يقع المسلمون في حبائل المفرطين.

ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها على المسائل الفقهيّة التي كتب فيها النورسي ما يلي:

أولاً: إن معظم المسائل الفقهية التي تعرض لها تعدّ من المسائل المندرجة في تطبيق أحكام من الفقه السياسي أو الفكر السياسي، فقد تحدث عن شمول الشريعة وصلاحيتها لحل المشكلات الاجتماعية، وعن وجوه مصلحة الأمة في تطبيق أحكامها، ومن أقواله في هذا المجال: «إن التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا تدنوا...[4].

---

(1) المصدر السابق والصفحة.

(2) النساء، آية ١١.

(3) المصدر السابق، ص٤٧٤.

(4) المكتوبات ٦٤/٢.

ثم يقول: «... فأي مصلحة يا ترى يجنيها أهل البدعة هؤلاء، بل الأصوب أهل الإلحاد في الخروج على الدين؟ فإن كانوا يرمون منه أمن البلاد، واستتباب النظام فيه فإن إدارة عشرة من الملحدين السفلة الذين لا يؤمنون بالله ودفع شرورهم؛ أصعب بكثير من إدارة ألف من المؤمنين. وإن كانوا يرغبون في الرقي الحضاري، فإن أمثال هؤلاء الملحدين مثلما يضرون بإدارة الدولة، فهم يعيقون التقدم إذ يخلون بالأمن والنظام، وهما أساس الرقي والحضارة[1].

وجميع ردوده على العلمانيين، تؤكد أن اهتمام النورسي كان منصبّاً على دفع الشبهة عن حقيقة صلاحية الإسلام، كأساس للنهوض الاجتماعي والحضاري، بما ينم عن فهم لهذا اللون من الفقه الإسلامي.

ومن جوانب الفقه السياسي التي تناولها النورسي، الرابطة الإسلامية كأساس للوحدة، ورفض أن تغرس شجرة الإسلام في تراب القومية، فهو يقول: «واعلموا أن ملة الإسلام الدائمة الأبدية لا ترتبط مع العنصرية المؤقتة المضطربة ولا تلفح بلقاحها، وحتى لو حدث هذا التطعيم بلقاحات العنصرية؛ فإنها تفسد أمة الإسلام، ولا تصلح ملة العنصرية أيضاً ولا يبعثها أصلاً[2].

ومن مسائل الفقه السياسي التي تحدث فيها النورسي **«الشورى»**. وقد عدّها مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية، كما بيّن أن الشورى الحقّة تولّد الإخلاص والتساند، يقول: «إن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى، فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى في جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[3]. ويقول: «إن الشورى الحقّة تولد الإخلاص والتساند»[4].

لقد سعى بديع الزمان النورسي لتأسيس شبكة اتصال سياسي جديد، يستند على المشورة وإصلاح مؤسسة الخلافة والمشيخة وأمثالها، وبالنسبة له فإن الحرية الموجودة

---

(1) المصدر السابق والجزء والصفحة.
(2) المكتوبات، ص٥٦٦.
(3) الشورى، آية ٣٨.
(4) صيقل الإسلام، ص٥١٤ – ٥١٥.

تحت سيطرة المشروعية؛ هي الشرط الأول للشورى، وهي مرتبطة بالحاكمية بشكل مباشر.

وقد تخطّى بديع الزمان أبعاد الفكر السياسي الإسلامي في المرحلة التقليدية، والمتعلقة بالمشاركة السياسية والاجتماعية في موضوع الجزء الحقيقي للشورى والحاكمية، وجاء بطاقم جديد من العناصر الجديدة، وخلال الانتقال من الحاكمية السياسية الفردية للخليفة، إلى نشر الحاكمية على طبقات المجتمع، والتناول الجديد الذي جاء به، وهو يقوم على أساس عدم الخلط بين دائرة الاعتقاد ودائرة المعاملات، يقول: «لئن صدقت المشروطية، فالقائم مقام والوالي ليسوا رؤساء بل خدام مأجورون، فغير المسلم لا يكون رئيساً مطلقاً بل يكون خادماً».

وهذا الوضع مثال على إعادة النظر في الأحكام الفقهية داخل الأطر السياسية الجديدة[1].

ويذكر النورسي أن الشورى والشخصية المعنوية التي تشكلها هذه الشورى بموقع حاكم، ولا يمكن أن تتوصّل الخلافة إلى قوتها الحقيقة إلا بهذا الطريق.

إن الآراء التي تبين وجوب نظام الشورى والشخصية المعنوية الحاكمة التي تستمد قوتها من هذه المؤسسة، هي مشاركة خاصة، قام بها بديع الزمان لمساعي تأمين الوحدة الإسلامية، بتنظيم مؤسسة الخلافة من جديد في الربع الأول من هذا القرن[2].

وهذا الرأي يجلب بعداً جديداً لأصول الفقه، وبدل البيعة الفردية التي تجعل الاجتهاد والخلافة مشروعة، فإن الاتجاه إلى روح الجماعة والشخصية المعنوية يمكن تقييمه على أنه محاولة إجراء رابطة خاصة وجديدة بين مفاهيم الدولة والحاكمية[3].

---

(1) أحمد داود أغلو، سياسية العالم الإسلامي في القرن العشرين في نظر النورسي، كتاب المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، ص٥٧٩.

(2) المصدر السابق، ص٥٨٠.

(3) المصدر السابق والصفحة.

يقول النورسي: «لسنا في الزمان الغابر حيث كان الحاكم شخصاً واحداً وفقيه شخص واحد أيضاً يصحح رأيه ويصوبه، فالزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة، فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذي يفتي لمثل هذا الحاكم ينبغي أن يكون متجانساً معه، أي ينبغي أن يكون شخصاً معنوياً نابعاً من مجلس شورى عالٍ، كي يتمكن من أن يسمع صوته للآخرين، ويسوق ذلك الحاكم إلى الصراط السوي في أمور الدين[1].

ثانياً: تكاد تخلو رسائل النور من الفتاوى الفقهية التي تعنى ببيان الأحكام الشرعية العملية الجزئية سواء أكان ذلك في العبادات، أم في المعاملات، أم في مسائل الأحوال الشخصية، أم في أحكام الأسرة أم في غيرها من أبواب الفقه. ولا يمكن عزو ذلك إلى قلة بضاعته في هذا النوع من الفقه، مع وفرة في فهم علوم الشريعة وكليات الفقه، وذوق متقدم في إدارك مقاصد الشريعة وحِكَمِها، ولكن قد يكون انشغاله ببناء الإنسان المسلم من خلال إعمار قلبه بالإيمان، وحقائق الإسلام الكلية، وكشف الشبه الوافدة مع الغزو الثقافي بها، هو اشتغال بالفرع عن الأصل، وبالجزء عن الكل أو هو انصراف عن الأهم إلى المهم، في زمن لا يسع الأمرين معاً.

المصادر الشرعية التي اعتمد عليها النورسي في تقرير أحكامه:

لقد سلك النورسي مسلك من سبقه من العلماء والمجتهدين في الاعتماد.

أولاً: كتاب الله تعالى: وتحدّث عنه فقال: «إن بداية هذه الطرق جميعها، ومنبع هذه الجداول كلها، وشمس هذه الكواكب السيّارة؛ إنما هو القرآن الكريم، فهو أسمى مرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق»[2].

ثانياً: سنة النبي -ﷺ-: والناظر في الرسائل لا يجد رسالة إلا وفيها ذكر للرسول -ﷺ- أو لجانب من جوانب حياته المباركة، يقول في اللمعة الحادية عشرة

---

(1) صيقل الإسلام.

(2) الكلمات، ص١٤٣.

في النكتة الأولى، قال -ﷺ-: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد».

أجل، إن اتباع السنة المطهرة لهو حتماً ذو قيمة عالية، ولا سيّما اتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها، فإن له قيمة أسمى وأعلى، وبالأخص عند فساد الأمة[1]، وقد أقام على وجوب اتباعها جملة من الأدلة في النكتة الخامسة والسادسة، وقال «الخلاصة إن محبّة الله تستلزم اتباع السنة المطهرة وتنتجه»[2] غير أنه في النكتة السادسة مراتب السنة المطهرة، أن أهم ما فيها، هي تلك السنن التي هي من نوع علامات الإسلام المتعلقة بالشعائر، إذ الشعائر هي عبادة من نوع الحقوق العامة التي تخص المجتمع[3].

ثم يبين كذلك في النكتة التاسعة أنه قد لا يتيسر اتباع كل أنواع السنة الشريفة اتباعاً فعلياً كاملاً إلا لأخص الخواص، ولكن يمكن لكل واحد الاتباع عن طريق النية والقصد والرغبة في الالتزام والقبول، وأنه ينبغي الالتزام بأقسام الفرض أو الواجب، أما السنن المستحبّة في العبادة فتركها وإهمالها، وإن لم يكن فيه إثم إلا أنه ضياع لثواب عظيم، أما السنن النبوية في العادات والمعاملات؛ فإنها تصير العادة عبادة رغم أن تاركها لا يُلام...الخ[4].

ثالثاً: الاجتهاد: يرى الأستاذ النورسي أن باب الاجتهاد مفتوح، بيد أنه يذكر عدداً من الموانع في هذا الزمان تحول دون الدخول فيه:

١. كثرة البدع في العالم الإسلامي.
٢. تعرض ضروريات الدين للتهلكة.
٣. تأثير البيئة والمحيط على نشأة المجتهد.
٤. عدم وقوعه ضمن السير الفطري للإنسان؛ بسبب التلوث بالفلسفات المادية.
٥. البعد عن خير القرون.
٦. تحكم الحضارة الأوروبية، وهيمنة الحضارة الإلحادية.

---

(١) اللمعات، ٣ /٨٠- ٨١.
(٢) اللمعات، ص ٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٩٠

٧. تعقّد متطلبات الحياة اليومية.
٨. النظر إلى المسائل الفقهية في أيامنا هذه من زاوية الحكمة، لا من زاوية العلة.
٩. اكتساب حياة الدنيا الأولوية، وبقاء الحياة الأخروية في الدرجة الثانية.
١٠. سوء فهم قاعدة الضرورات تبيح المحظورات[١].

لكن النورسي دعا إلى الاجتهاد الشوري فهو يقول: «نعم إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداداً للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور[٢].

كما أنه يرى أنه لا يلزم اجتهاد مجتهد مجتهداً آخر، وليس له أن يدعو الآخرين لاتباع اجتهاده، إذ فهمه هذا يعد من فقه الشريعة. ولكن ليس الشريعة نفسها، والمجتهد غير مكلف بتقليد مجتهد آخر[٣].

أما موقفه من تبدل الأحكام، فإنه يرى أن المذاهب ظهرت نتيجة فروق في فهم نصوص الشريعة، وفي نصوص الشريعة محكمات لا تقبل التبديل والتغيير، ولن تكون موضع اجتهاد، أما جزئيات الأحكام غير المنصوص عليها؛ فإنها تقتضي التبديل تبعاً للظروف، فإن اجتهادات فقهاء المذاهب كفيلة بمعالجة التبديل، وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم الفطرية؛ لأن الأحكام الشرعية الفرعية تتبع الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها[٤].

إن أفكار النورسي في الاجتهاد جديرة بالتقدير، وصيغة الاجتهاد الجماعي المتمثلة بالمجامع الفقهية اليوم هي صورة عملية للاجتهاد عن طريق الشورى، ولا شك أن القيود التي وضعها على الاجتهاد الفردي لا زالت قائمة إلى اليوم.

رحم الله الشيخ بديع الزمان النورسي، وجعله من أهل جنته، وألحقنا به مع الصالحين من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر مصطفى باقر، الاجتهاد في فكر النورسي، كتاب المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي، ص٧٠٤-٧٠٦.
(٢) صيقل الإسلام، ص٣٥٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٥٤- ٣٥٥.
(٤) المكتوبات، ص٥٦١.

التعقيبات

تعقيب د. أحمد الشوابكة على ورقة أ. عبدالله الطنطاوي

إنه لأمر طبيعي ومقدّر أن تلتفت مراكز البحث، ومعاهد العلم، والجماعات، والأفراد، بتشخيص الحالة التي عليها الأمة، وهي تتهاوى مترنّحة أمام الضربات المتلاحقة من قبل أعدائها. أن تلتفت هذه الجهات وغيرها؛ إلى اهمية الإصلاح والتغيير، وتشخيص المرض، ووصف العلاج.

وحتّى لا نبدأ من الصفر، أو نبدأ من فراغ، فلا بد أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون، وأن ننشيء على بنيانهم، ومن هنا في تقديري تأتي أهمية هذه الحلقة، التي تتناول حياة وفكر وجهاد واحد من أعلام الإصلاح الذين ظهروا في أخريات القرن الماضي، وعقود ستة من هذا القرن، وهو الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦م-١٩٦٠م).

إن الحديث عن النورسي ودعوته، هو بالضرورة تناول للدولة العثمانية في عصور انحدارها الأخيرة منذ استلام الاتحاديين زمام أمورها.

إن بداية المنحنى من الخط البياني لمسيرة دولة الإسلام الأخيرة، المتمثلة بالدولة العثمانية ودولة فرنسا؛ حيث عُدّت مسابقة لكثير من الدول الأوروبية فيما بعد لعقد معاهدات مماثلة من باب المعاملة بالمثل، التي وضعت أسس الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، والتي كانت وراء نهايتها فيما بعد، من حينها بدأ تلمّس حاجة الدولة للإصلاح من قبل جمعيات وأفراد ومفكرين رسمية وشعبية. وتبلورت تيارات الإصلاح هذه بمسارين خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين.

الأول: جعل من التقريب وسيلة ومنهجاً للإصلاح.

الثاني: جعل من الأصالة وسيلة ومنهجاً.

إلا أن الأول اعتمد منذ البداية على المؤسسية في التخطيط والعمل والتنفيذ، فنتج تيار المؤسسية، وانحسر التيار الآخر، وحقق التقريبيون مشروعهم بإنشاء دولة تركيا العلمانية الحديثة.

الأستاذ النورسي موضوع الندوة، كان واحداً من دعاة الإصلاح الإسلامي، ومعه في هذا التيار كثيرون في الأستانة عاصمة الدولة، وحواضر عربية وإسلامية أخرى. وربما جاء تميز دوره عن غيره من معاصريه؛ أن دعوته وفكرته وجدت تلامذة حفظوها وتبنّوها جيلاً بعد جيل، فهي ما زالت قائمة وماثلة على الساحة التركية.

الورقة التي تليت على مسامعكم، وهي تمثل جانباً مهماً من جوانب حياة الشيخ، كما هو واضح من عنوانها **«منهج الإصلاح والتغيير عند النورسي»**.

الورقة، كما استمعتم ، فيها شمول، واحتوت على تفاصيل كثيرة، غطت جوانب متعددة من حياة الشيخ، وظروف نشأته، والعوامل المؤثرة في هذه النشأة، وموقفه من قضايا إسلامية كالاختلاف، والاجتهاد، والتصوف وقضايا وافدة كالتغريب، والعلمانية، والقومية، مما استدعى جهدا كبيراً واطلاعاً واسعاً وحسماً لكثير مما كتب الشيخ، أو كتب عنه، وهذا قام به الباحث خير قيام، فهو يُذكر له ويشكر عليه، إلا أن لي على مجمل الورقة جملة من الملاحظات أوجزها بما يلي:

١- خرجت الورقة في بعض جوانبها عن موضوعها إلى موضوعات أخرى أنيطت بآخرين لإعدادها، كالحديث مفصلاً عن حياته وظروف نشأته ومنهجه في المعرفة والاستدلال والاجتهاد، مما أفقد الورقة فرصة التعمّق والتركيز في موضوعها.

٢- غَلَبَ على أسلوب الورقة سِمَةَ العاطفة والخطابة، وافتقرت إلى الدقة والعلمية والتمحيص، وكان الباحث خلالها واصفاً مادحاً أكثر منه مقيّماً ناقداً ماحصاً. فلم نعثر له على موقف يعترض فيه، أو ينتقد، أو يوجه، أو يصحح لفكرة تبنّاها الشيخ أو موقف اتخذه.

٣- خلَطت الورقة في موضوع الخلافات الفكرية وموقف الشيخ منها، بين اختلاف في وجهات نظر فكرية وفقهية في الدائرة الإسلامية، وبين اختلافات عقد به خارج الدائرة الإسلامية، كما بين من خلال الدولة والشواهد التي أوردها.

٤- بالنسبة لموقف الشيخ من موضوع الاجتهاد، مع أنه يصرح في البداية: «أن باب الاجتهاد مفتوح، إلا أنه يضع له من الشروط ما يدرجه ضمن القائلين بإغلاق بابه»، ولم يعقب الباحث على هذا الموقف بشيء تأييداً أو معارضاً.

انشغلت الورقة بمناقشة الأستاذ النورسي بالأفكار الوافدة، كالتغريب والعلمانية والقومية أكثر من انشغالها ببلورة العناصر الذاتية لمنهج الأستاذ الإصلاحي في التغيير.

وبالتالي فإن الورقة لم تجب على الأسئلة التالية:

١- لم استمرت دعوة الشيخ قائمة، بينما تلاشت دعوات معاصريه، من أمثال: أحمد جودت باشا، الشيخ عاطف الأسكليبي، محمد نعيم بابان زايد، والشاعر محمد عاكف أرصوي وآخر شيوخ الإسلام الشيخ مصطفى صبري؟.

٢- ما هي معالم منهجه الإصلاحي أو برنامجه في التغيير؟ وما هي انعكاسات ذلك على أرض الواقع؟.

٣- ما هو موقعه على خارطة الإصلاح الإسلامي في عصره، ومدى تأثره وتأثيره ومشابهته ومخالفته لبرامجهم؟

٤- ماهو موقع دعوته على خارطة العمل الإسلامي حاضراً على الساحة التركية؟

مناقشات

د. فتحي : هناك سؤالان وّجها للدكتور على الصوا يجيب عنهما.

د. علي الصوا: السؤال تضّمنه كلامي وأنا أتحدث، قلت إن الفقه بمعناه الجديد هو الفقه والعلم بالأحكام الشرعية، وفي الحقيقة الفقه في زماننا أكثر من هذا. ليس العلم بالأحكام الشرعية مستنبطاً من أدلتها التفصيلية؛ الفقه الذي سار عليه النورسي –رحمه الله– هو بالمعنى العام الشمولي، ليس بالمعنى الأصولي، الذي استقر متأخراً، لكن حتى يكون الكلام واضحاً، النورسي ما وضع قيود ألغت باب الاجتهاد، هو يقرر أن باب الاجتهاد مفتوح؛ لكنه يذكر عدداً من الموانع القائمة في زمانه تمنع ولوج هذا الباب، ووضع شرطين للاجتهاد.

الأول: أن يوجد الكفؤ ممن يملك أداة الاجتهاد، وهو يظن أن من يملك أداة الاجتهاد غير موجود. لماذا وضع الأستاذ هذه الموانع؟ كانت هناك فتاوى تسخّر من أجل خدمة الأنظمة القائمة من بعض المشايخ، فإذا فُتح باب الاجتهاد فالإسلام سيخرج من قاعدته إلى الخارج، لذلك يقول. ثمة موانع، فقال: الاجتهاد مفتوحٌ لمن ملك أدواته ولكنه حتى تصبح فتوى الاجتهاد عامةً على الناس ينبغي أن يصادق عليه جمهور العلماء، ولذلك كان من دعا إلى الاجتهاد الشوري، والاجتهاد الجماعي، الذي أصبح الآن ظاهرة من خلال المجامع الفقهية.

د. فتحي: سؤال موجه للأستاذ عبد الله الطنطاوي، ما هو منهج الإصلاح والتغيير عند الإمام النورسي؟

أ. عبدالله الطنطاوي: دائماً الإنسان عندما يفكر بالإصلاح أو التغيير، وخاصة عندما تكون دعوته ضخمة كبيرة كدعوة الأستاذ النورسي، لا بُدّ من وجود المحرّض، ولا بد أن يتساءل قائد الدعوة أين نحن الآن؟ ثم ما المكانة التي ينبغي أن نحتلها؟.

عندما سأل النورسي نفسه السؤال الأول: أين نحن الآن؟ وجد الأمة والدولة في ذيل الأمم وفي ذيل الدول؛ إذاً انحطاط في كل مكان.

ماذا ينبغي أن نكون؟ ينبغي أن نكون في طليعة الأمم ورأسها؛ وإذاً المحرض موجود، وهو هذا التخلف المريع في الدولة الإسلامية وفي الأمة الإسلامية، ولذلك لا بد له من إعداد. وقد أعد هذا الرجل. وقد أشرنا في بحثنا أن مناهج التغيير ونظرياتها متعددة وكثيرة منها «النظرية التربوية، والنظرية السياسية، والنظرية الثورية المسلحة، كالتي قام بها الشيخ عبد القادر الجزائري، عمر المختار، عبد الكريم الخطابي، والثورة النظرية السياسية، كالتي قام بها جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والنظرية التربوية، وهذا ما أكّد عليه شيخنا الأستاذ النورسي، وهنا لا بد من التعريج قليلاً على الكلام فيما يتعلق بالسياسة وبُعد الأستاذ عن السياسة، أنا أعتقد أن الأستاذ ما ابتعد عن السياسة، ولا حتى لحظة واحدة من حياته، على الرغم من تصريحاته التي أراد من وراءها أن يحمي تلاميذه؛ لأن العلمانيين إذا عرفوا أن له حزباً أو تجمعاً أو سياسة معنية؛ عندئذٍ قد يحكم عليه أو على أتباعه بالسجن أو النفي أو الموت، وقد سُجن وسُجنوا معه، واعتقل واعتقلوا، ونفي ونفوا معه. ليس هناك حدود واضحة وحدّية بين الجانب الفكري، والجانب الاقتصادي، والجانب السياسي، إذا كان الشيخ لا يعمل بالسياسة. فلماذا سجن؟ ولماذا لوحق؟ لماذا قدم لحوالي ١٥٠٠ محاكمة؟ لماذا أمضى في السجون والمعتقلات والمنافي ٢٨ سنة؟ عندما يتحدث عن التغريب، عندما يتحدث عن العلمانية، عن القومية، هذه كلها قضايا في عمق السياسة، وإن كان هو أراد أن يطلق عليها على أنها أشياء فكرية.

الشيخ وجد المحرّض، وهو هذا التخلّف الذي تعيشه الأمة الإسلامية، ومحرّض آخر، وهو ما ينبغي أن تكون عليه الدولة والأمة الإسلامية ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ عندئذٍ بادر إلى الإعداد، أعد نفسه ثم أعد أتباعه، ثم حاول أن يُعد المجتمع من خلال تربية الفرد، الزوج، الزوجة، الأولاد، الأسرة، وبشكل عام المجتمع وصولاً إلى الدولة والامة الإسلامية.

منهج الأستاذ النورسي في التغيير

حتى الآن لم تتبلور نظرية معينة عند الأستاذ النورسي بمقوماتها وعناصرها حتى نحتكم إليها، ونحاكمه على هذه النظرية، ومع ذلك فالأستاذ في نظريته التغيرية كان

يؤمن بالشمولية ، لأن المعركة معركة شاملة، يؤمن بالوسطية، لا تقل: «أنا الحق وغيري لا»؛ لأن هذا يكون مدعاة للتخاصم والتنافر، وهو دائماً وأبداً يدعو إلى الاتحاد والوحدة، وكان يؤمن بالتدرج ثم أن دعوته كانت عالمية ولم تكن إقليمية، لا فردية ولا عربية ولا تركية، وشكراً.

د. فتحي: هناك سؤال: ألا ترى يا دكتور الصوا أنّ توّجه الأستاذ النورسي إلى نشر التربية الإسلامية الإيمانية والإعراض عن الجوانب السياسية، التي قد تؤدي إلى الصدام بين الحكام والمسلمين؛ قد حقق نتائج باهرة في تركيا، تستحق الاتباع في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي، في زمن تتآمر فيه القوى المحلية والعالمية على الإسلام والمسلمين؟

د. علي الصوا: ليس هناك أسلوب واحد يصلح في كل زمان وفي كل مكان، العمل السياسي له صور متعددة كثيرة، وهذا كانت الفرصة مهيأة ومتاحة أن يعمل من خلال مجالس الأمة أو البرلمانات. هل نقول له أقعد؟ إذا كانت الظروف مهيأة فليعمل، هذا القالب الذي ذكره النورسي لا يعني أنه قالب لكل زمان، لذلك هو مقيده في ذاك الوقت، لقد كان يصر على عبارته في كل كلمة يقولها، وهو يشير أنه في وقت آخر قد يكون الأمر مختلفاً، وقد كان الأمر كذلك.

د. فتحي: الأستاذ أمين نايف ذياب يقول: «هذه الجلسة موضوعها الإصلاح والتغيير عند النورسي، والمنهج الفقهي» ولكن الموضوع لم يناقش بما فيه الكفاية، وإنما أعاد القول فيما قيل في موضوع سابق، وكان الأولى أن ينصرف جُلّ الكلام إلى العنوان. الأمثلة التي ذكرت فيما يتعلق في قضايا التقوى وممارسة الزهد وما إلى ذلك ليست تعبيراً منهجية في الإصلاح ولا تفيد في هذا المجال، ويخرج السامع قط بالمدائح التي تقال في حق العالم هكذا بلا انضباط. وهذا اللون كثير في تراجم عدد كبير من العلماء، وأعتقد أنه لا يمكن أن يؤدي هذا الشكل من المنهج إلى بناء عقل المسلم؛ بل أعتقد أنه يؤدي إلى بناء (دوفما) خطرة جداً في طريقة التفكير الإسلامي.

جلسة العمل الرابعة

مدير الجلسة: د. فتحي ملكاوي.

١. الورقة الأولى: البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي.

الدكتور عبدالمجيد النجار

٢. الورقة الثانية: موقف النورسي من السببية

الدكتور مصطفى أبوصوي

٣. تعقيبات ومناقشات الجلسة الرابعة

obeikandl.com

الجلسة الرابعة: من اليمين د. مصطفى أبوصوي، ود. عبدالمجيد النجار، ود. فتحي ملكاوي

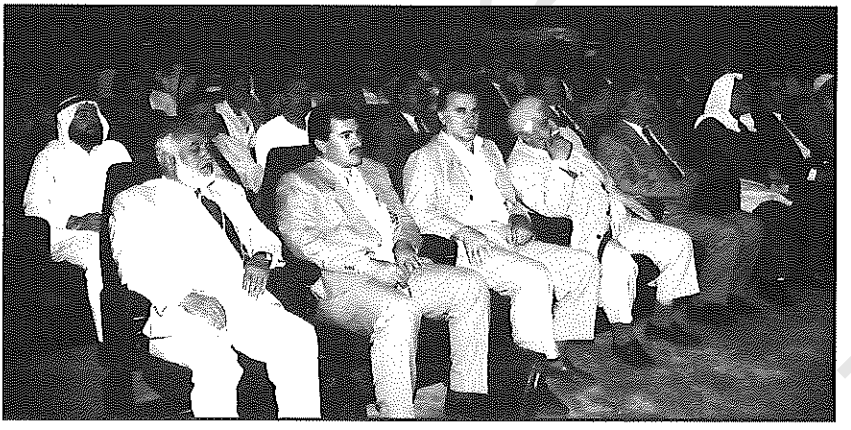

جانب من الحضور

البعد العقدي لبنية الإنسان في فكر النورسي

الدكتور عبدالمجيد النجار

باحث متفرغ/ تونس

تتوقّف المذاهب الاجتماعية والحركات الإصلاحية في نجاحها وفشلها إلى حدّ كبير على صوابها وخطئها في تقديرها لحقيقة الإنسان، ولا غرو، فإنّ الإنسان هو المادّة التي تعالجها تلك المذاهب والحركات بالتغيير، وهو ما يستلزم المعرفة الصّحيحة بحقيقته في أبعادها المختلفة، حتّى يكون التعامل معه على أساس تلك الحقيقة، فتثمر المعالجة بما يتّفق مع الغايات المنشودة. وحينما يحدث الخطأ في تقدير حقيقة الإنسان، فإنّ المآل يكون الفشل الذّريع، ولعلّ من أوضح الشواهد على ذلك وأقربها زمنا منّا، المآل الذي آل إليه المذهب الشيوعي، حيث قُدّر الإنسان فيه على أنّه ذو بعد واحد؛ هو البعد المادّي في حقيقته تكويناً وغاية ومصيراً، فانهار المذهب دون إنجاز ما رسم من آمال في تحقيق الخير والسعادة للنّاس.

وإذا كانت المذاهب والحركات تسعى دوما لأن تقيم مشاريعها على تقدير لحقيقة الإنسان الذي تقوم لمعالجة أوضاعه، فإنّها تكون أحيانا كثيرة في تقديرها لتلك الحقيقة جارية على نحو من التلقائيّة التي تسري فيها التّصوّرات من تلقاء المعتقدات الدّينيّة أو المبادئ الفلسفية، في غير تقدير مصنوع بالنّظر يفضي إلى صورة متكاملة للإنسان في أبعاده المختلفة فيما يشبه العلم المستقلّ او الفرع المتميّز من علم من العلوم. ولكنّها قد تكون أحيانا أخرى جارية في التّقدير على أساس من الصّنعة المستقلّة لفرع علميّ يختصّ بتقرير حقيقة الإنسان بصفة شاملة، وهو ما انتهت إليه المذاهب الغربية الحديثة التي أصبحت تقوم في بعدها الفلسفي، وفي نظمها التطبيقيّة على ما يسمّى بعلم الإنسان، ذلك الذي أصبحت الحضارة السائدة اليوم تقوم عليه.

والثقافة الإسلامية وما أثمرت من حضارة، كانت هي أيضا متأسّسة على تصوّر لحقيقة الإنسان، ولكنّه كان تصوّراً سارياً في الأذهان على سبيل التلقائيّة، مضمّنا في

اليقين بالمعتقدات الدّينيّة، ولم ينشأ[1] في تلك الثقافة تصوّر للإنسان مصنوع بالنّظر المستقلّ، فيما يشبه الفرع العلمي المتميّز الذي يوازي سائر الفروع العلميّة الأخرى، ونحسب أنّ سبب ذلك هو عدم قيام الدّاعي لهذه الاستقلالية، فقد كانت العقيدة الإسلامية في مجملها بما تحمل في ثناياها من تقدير للإنسان في بعده التّكويني والغائي، كافية لكي يتأسّس عليها المشروع الحضاري الذي أُنجز محقّقاً للإنسانية الخير العميم، بناءً على ما تحمله تلك العقيدة في ثناياها من تقدير للحقيقة الإنسانيّة.

ولكنّ الثقافة الإسلامية اليوم أصبحت في وضع غير الوضع الذي كانت عليه عهد الإزدهار؛ إذ هي في هذا الوضع غدت في تدافع شديد مع مذهبيّات عاتية، مسلّحة من بين ما هي مسلّحة به بفلسفة متكاملة للإنسان في أبعاده المختلفة، وعلى تلك الفلسفة تُبنى المذاهب والمشاريع النظريّة والتطبيقيّة، وذلك ما يقتضي أن يتأسّس في الثقافة الإسلامية فرع علمي يختصّ بتقرير حقيقة الإنسان تقريراً مستقلاً، قائماً بذاته، يتأصّل على حقائق العقيدة الإسلامية، ويفرّع بالنّظر المصنوع تلك الحقيقة إلى أبعادها المختلفة، ليكون ذلك الفرع العلمي مرجعيّة بيّنة المعالم يرشّد مشروع التحضّر الإسلامي في أبعاده الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، ويطاول الثقافات في مجال التدافع الحضاري العامّ [2].

وفي سبيل تأسيس علم للإنسان من منظور إسلامي، كفرع علمي مستقلّ يكون من الضّروري الرّجوع إلى التراث الثّقافي الإسلامي للاستفادة منه في هذا الموضوع، فهذا التّراث، وإن لم يكن كما أشرنا قد اشتمل على نظر مصنوع مستقلّ بموضوع الإنسان، فإنّه لم يُعدم بيانات في هذا الخصوص على قدر كبير من الأهمّيّة[3]، فيكون جمعها وترتيبها وشرحها مادّة مساعدة على الانطلاق في صناعة

---

(١) يمكن أن يستثنى من ذلك ما دوّنه الراغب الأصبهاني في كتابه **«تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين»**، فقد خصّصه لمبحث الإنسان ، وفصّل فيه حقيقته في أبعادها المختلفة بتأصيل قرآني، فيما يُعد طفرة في سياق الثقافة الإسلامية في هذا الموضوع.

(٢) راجع شرحاً أوسع لهذه الفكرة في مقدّمة تحقيقنا لكتاب «تفصيل النّشأتين وتحصيل السعادتين» للراغب الأصبهاني (ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م).

(٣) يمكن أن نذكر في هذا الخصوص ما ورد في المدوّنة العقدية الواسعة للقاضي عبد الجبّار المسمّاة بـ«المغني في أبواب التوحيد والعدل»، وذلك في أجزاء ومواطن متعدّدة، وخاصّة في الجزء ١١/ ٣٠٩، وما بعدها (ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م). ونذكر أيضا ما دوّنه الصّوفية في مبحث الإنسان الكامل، وما دوّنه الفلاسفة في مبحث النّفس.

علميّة مستقلّة لموضوع الإنسان، قائمة على أساس عقدي، وتنبني إذن هذه الصّناعة على تعاليم الوحي تأسيساً، وعلى بيانات التراث إثراء واستئناساً[1].

وإسهاماً في تحقيق هذا الغرض؛ فإنّنا نحاول تالياً أن نستجلي ما في تراث بديع الزمان النورسي من بيانات متعلّقة بتصوّره لعنصر من عناصر حقيقة الإنسان، وهو عنصر **«البنية الإنسانية في دلالتها العقدية»**، تمهيداً بالعوامل التي أدّت به إلى بحث موضوع الإنسان عامّة، والموجّهات الأساسية التي وجّهته فيه، ثمّ عرضاً لبعض النماذج التي نظمت آراءه وتصوّراته في ذلك العنصر من حقيقة الإنسان عامّة، يدفعنا في ذلك ما وقفنا عليه في هذا الخصوص من عمق في الطّرح وثراء في المادّة.

١. العوامل والمُوجِّهات :

القارئ لتراث بديع الزمان النورسي متمثّلا في مؤلّفاته ورسائله وخطبه وتأمّلاته، يلحظ اهتماماً كبيراً بقضيّة الإنسان، فهو وإن لم يكن حسب علمنا قد خصّص مؤلّفاً مستقلاً لهذا الموضوع، فإنّه تناوله بالبحث في مواطن عديدة ومناسبات مختلفة[2]، ويشعر القارئ بأنّ ذلك التناول كان تناولاً مقصوداً بالأصالة وليس عرضياً طارئاً؛ إذ هو بالإضافة إلى كثرة المواطن التي تعرّض فيها بالبحث لقضيّة الإنسان، تراه في بحثه يفصّل القول تفصيلاً، ويتناول فيه الموضوع بشمول، ويؤصّل فيه رؤاه في تعاليم الوحي، ويدافع مخالفات الرّأي من الثقافات الأخرى بالاستدلال، وكلّ ذلك دالّ على أنّ النورسي كان ينزع إلى تأسيس رؤية إسلامية متكاملة لحقيقة

---

(١) شعوراً منّا بأهمّية هذا الأمر كانت لنا محاولة في إنشاء سلسلة من خمس حلقات بعنوان: «الإنسان في العقيدة الإسلامية، وقد نشرت منها حلقتان: (١) مبدأ الإنسان (٢) قيمة الإنسان» (ط دار الزيتونة للنشر، الرباط ١٩٩٦)، وفي الطريق إلى النشر إن شاء الله الحلقات الثلاث الباقية، وهي : (٣) قوام الإنسان (٤) مهمّة الإنسان (٥) مصير الإنسان.ونذكر في هذا الصّدد أنّ دراسات عدّة بدأت منذ زمن تظهر في الثقافة الإسلامية تندرج في هذا السياق، ممّا يدلّ على أنّ علماً جديداً هو علم الإنسان من منظور إسلامي في طور التشكّل، ونذكر من ذلك على سبيل المثال: الإنسان في القرآن للعقّاد، ومقال في الإنسان لعائشة عبد الرحمن، وآدم عليه السلام للبهي الخولي، والإنسان والقرآن لمرتضى مطهّري، والإنسان والكون لأبي الوفا الغنيمي التفتازاني، وحقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم لأبي اليزيد العجمي.

(٢) راجع تلك المواطن في: النورسي ـ كلّيات رسائل النّور، وهي في أربعة أجزاء: (١) الكلمات، (٢) المكتوبات، (٣) اللّمعات، (٤) الشعاعات: الفهارس، مادة: إنسان (ترجمة إحسان قاسم، نشر دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٩٩٢م).

الإنسان، وإن لم تكن تلك الرّؤية قد حظيت عنده بمؤلّف مستقلّ، وربّما كان ذلك بسبب من منهجه في التّأليف الذي نحا في عمومه منحى الإرشاد الإصلاحي، ممّا اقتضى منه مسلك المقالة، التي تتوخّى المناسبات، أكثر ممّا اقتضى مسلك التّأليف المطوّل المتكامل في القضايا المراد بيانها.

ولعلّ من أهمّ العوامل التي دفعت بالنّورسي إلى هذا الاهتمام بقضيّة الإنسان فيما يشبه الريادة بالنسبة للثقافة الإسلامية الحديثة؛ ما كان عليه من منزع صوفي عميق انتهت إليه حياته الروحية، فقد كان بذلك المنزع يستشعر بعمق حقيقة الإنسانية التي هي المَجْلى الأكبر لتحقّق الصّفات الإلهية، فهي إذن الرّابط الأمتن بالله تعالى، ويكون الاشتغال فيها بالتّأمّل والنظر والبحث ضرباً من ضروب العبادة العالية الواصلة بالله تعالى.

ولا يبعد أن يكون من عوامل ذلك أيضا ما انخرط فيه بديع الزمان انخراطاً كلّياً من مشروع الإصلاح الإسلامي، الذي يستهدف إصلاح الذّات الإنسانيّة الفردية، كما يستهدف البعد الجماعي للإنسان متمثّلا في الهيئة الاجتماعية العامّة، وكلّ ذلك يستلزم أوّل ما يستلزم التّعمّق في فهم حقيقة الإنسان على أساس إسلامي، ليكون ذلك منطلقا للإصلاح المبتغَى منه تحقيق النّهضة على أسس إسلامية أيضا.

وقد وافى النورسي في تبشيره الإصلاحي زمن عنفوان الهجمة الثقافية الغربية، متأسّسة في بعدها الفلسفي والحضاري على تصوّر متكامل للإنسان، مبنيّ على إعتباره الكائن ذا البعد المادّي في تكوينه وغايته ومصيره، وهو ما أدّى فيما أدّى إلى كوارث حلّت بالإنسان من حيث كان يُبتغى إسعاده، وقد عايش هو بذاته من تلك الكوارث حربين عالميتين، بل طاله شخصيّاً من مآسيها شيء كثير مع من طال من ملايين البشر، فكان ذلك عاملاً أيضا كي يتأمّل النورسي بعمق في حقيقة الإنسان، ويخرج من ذلك بتصوّر لتلك الحقيقة يرى أنّه كفيل بجلب الخير للإنسانية، ودرء الشّرّ عنها.

ومن مجمل هذه العوامل، وتأسيساً على تعاليم الوحي التي كان موصولاً بها على حبل متين، تكوّنت الموجّهات العامّة التي وجّهت النّورسي في بياناته لحقيقة الإنسان، وحدّدت معالم تصوّراته فيها، فكانت منطبعة بتلك الموجّهات في ذاتها وفي

أسلوبها، بحيث يساعد تبيّنها على فهم الصّورة التي رسمها النورسي للإنسان في أركانها المختلفة من حيث المحتوى ومن حيث الأسلوب على حدّ سواء.

وأوّل تلك الموجّهات هو: أصول العقيدة الإسلامية فيما يتعلّق بحقيقة الإنسان، فقد كان النورسي يتّخذ مرجعيته في هذا الموضوع دوماً من نصوص القرآن والحديث، منها ينطلق وإليها ينتهي، وعليها يؤسّس كلّ بيان، بل لقد كانت أكثر بياناته وتقريراته في طبيعة الإنسان ومهمّة وجوده ومصيره، استنتاجات استخرجها من التأمّل في آيات قرآنية. فجرت مجرى التّفسير لها، وهو ما حفلت به رسائل النّور، التي كان في الغالب يصدّر كلاّ منها بآيات قرآنية، ثمّ ينطلق في شرحها والاستنتاج منها؛ ليبني على أساسها تصوّره لحقيقة من حقائق الإنسان.

وثانيها: ما كان النورسي يقف عليه سبباً من أسباب التخلّف الذي يعوق المسلمين عن الانطلاقة الحضارية، وهو المتمثّل في الشّعور بالهزيمة النفسيّة التي أفضت إلى أن يرى المسلم نفسه صغيراً ضعيفاً، وينتهي به الأمر إلى أن تهتزّ ثقته بذاته الإنسانية، فلا يكون له إذن أن يتجاوز وضعه الحضاري المتخلّف بالمبادرة والإقدام اللّذين لا ينشآن إلاّ من الشعور بقوّة الذّات الإنسانية فيه، فاستدعى ذلك منه أن يتّجه في نطاق مسلكه الإصلاحي إلى التبشير بصورة للإنسان، وخاصّة الإنسان المتحقّق بمعرفة الله على أنّه الأقوى في معرض الموجودات الكونية، والأعلى شأنا من بينها، ليتجاوز المسلم المنهزم داخليا بهذا التّصوّر هزيمته، وينطلق في مسيرة البناء.

وثالثها: ما رأى النورسي من انحراف خطير في تقدير حقيقة الإنسان في الثقافة الغربية، التي كانت لها صولة شديدة الوقع في زحمة التدافع الحضاري، والتي منها صُنعت الحضارة السائدة في تطبيقاتها المادّية والمعنوية المختلفة، ففي تلك الثقافة اختُزلت حقيقة الإنسان في بُعد وحيد هو البعد المادّي، سواء في طبيعة تكوينه أو في مهمّة وجوده أو في مصيره، و ذلك المفهوم الذي بشّرت به المذاهب المادّية على اختلاف ألوانها في إغراء بما تحقّق من رفاه مادّي كان له أثر مدمّر على الحياة الرّوحيّة للإنسان، فإذا هي حياة الحيرة والقلق في مستوى الأفراد، وإذا هي علاقات الاستعمار والحروب في مستوى الهيئة الاجتماعية البشرية العامّة.

إنّ ذلك كلّه استدعى من النورسي في سبيل مدافعة هذه الصّورة للإنسان، وما أثمرت من ثمار مُرّة؛ أن يؤصّل لصورة أخرى يبنيها على الحقيقة القرآنية، ويبشّر بها

النّاس عامّة والمسلمين خاصّة؛ لتثمر في ذات الفرد الطّمأنينة والأمن، وتثمر في المجتمع البشري السلم والتعاون على التعمير؛ ولذلك فقد كان في بياناته المختلفة لحقيقة الإنسان ينتهج منهج العرض المزدوج لكلّ من الرّؤية القرآنية لحقيقة الإنسان، والرّؤية الفلسفيّة المعبّرة عن وجهة الثقافة الغربيّة، مبيّناً بالاستدلال وجوه الحقّ في الأولى ووجوه الباطل في الثانية[1]، ليصبح ذلك إحدى الموجّهات في تقديره لحقيقة الإنسان تكوينا وغاية ومصيراً كما أراد أن يؤصّلها في العقيدة الإسلامية.

٢. البعد العقدي للتّكوين الإنساني:

من بين العناصر العديدة المندرجة ضمن قضيّة الإنسان أولى النورسي أهمّيةً خاصّة للتّكوين الإنساني في أبعاده المادّيّة والرّوحيّة، فقد خصّص لذلك حجماً كبيراً في نطاق ما خصّص لقضيّة الإنسان عامّة. وإذا كان تناولُ هذا العنصر من قِبل الباحثين في موضوع الإنسان أمراً مألوفاً، فإنّ النّورسي بحث فيه بمنهج يحمل من ملامح الجدّة والابتكار ما لا نجده عند غيره إلاّ في الأقلّ بإشارات عارضة، أمّا هو فقد كان عنده منهجاً مطّرداً يكاد لا يتخلّف في أيّ موطن من مواطن البيان للتّكوين الإنساني، ممّا يدلّ على أنّه كان يقصد إليه قصداً، ويهدف منه إلى أهداف مخصوصة يريد أن يحقّقها في نطاق خطّته الإصلاحيّة العامّة. ونبيّن فيما يلي ملامح ذلك المنهج، ثمّ نعرض نماذج من المسائل التي أدرجها فيه متعلّقة بالبنية الإنسانية:

أ) **ملامح المنهج:** يتمثّل ذلك المنهج في الرّبط المستديم بين الآيات التّكوينيّة في طبيعة الإنسان الجسمية والرّوحية وبين الدّلالات العقديّة لتلك الآيات، بحيث تُعرض كلّ آية من تلك الآيات في معرض البيان لبعدها العقدي الذي هو مرتبط بها ارتباطاً مكيناً في أصل الغاية من خلقها، كما هو مرتبط بها في الوظيفة الحياتيّة التي أُنيطت بالإنسان. إنّ التّكوين الإنساني بعناصره المختلفة يغدو في هذا المنهج عند النورسي، يشبه أن يكون رمزاً قيمته ليست في ذاته بقدر ما هي فيما يرمز إليه من أبعاد عقدية، وبالتّالي فإنّ وجوده الحقيقي ليس إلاّ في تأديته إلى ما يدلّ عليه من المعاني، ويرمز إليه من الأبعاد.

---

(١) راجع في هذا المنهج المقارن على سبيل المثال: الكلمات، النورسي، ص ٦٤٠ وما بعدها.

وغاية النورسي من هذا المنهج في شرح عناصر التكوين الإنساني تندرج ضمن غايته في الاهتمام بشرح حقيقة الإنسان عامّة، مع خصوصيّة في نطاق ذلك الاهتمام، فالرّبط بين آيات التّكوين الإنساني، وبين المدلولات العقدية لتلك الآيات حينما تصبح ثقافة أصيلة في تصوّر المسلم لحقيقة الإنسان، فإنّ من شأنه أن يجعله دائم الاستحضار لأبعاد الغيب، فيرتفع في أخلاقه وتصرّفاته عن أن يمارس صغائر الأعمال، إذ يرتفع به ما يستحضر من رفيع المعاني عن أن يستعمل آلاته التكوينيّة في غير ما يناسب مدلولاتها العقدية من رفيع السلوك في القول والعمل، فينتهي الأمر إذن بهذا المنهج إلى الترقّي في الممارسة من صغائر الأعمال إلى كبارها.

وحينما يرتبط في تصوّر المسلم أيضا آيات تكوينه بمدلولاتها، فإنّه يغدو ناظراً إلى نفسه بعين الاستعظام، إذ تلك الآيات في مظاهر ضعفها وقوّتها على حدّ سواء ليست إلاّ وسائل لغايات عظمى، ورموزاً لمعانٍ عليا، فقيمتها إذن ليست في ذاتها بقدر ما هي في غاياتها ومدلاولاتها، وذلك من شأنه إذا ما صار يقيناً في النفس أن يشعر برفعة الذّات وقوّتها، وأن ينفض ما عسى أن يرين على القلوب من الشعور بالضّآلة والهزيمة، وتلك ما كانت حالاً للمسلم الذي عالجه النورسي بالإصلاح، إذ هو منهزم حضارياً ومستضعف لذاته نفسياً، فهذا المنهج من شأنه أن يقوّي في المسلم الشّعور بالذّات، ويجعله يتجاوز العطالة النّاشئة من ذلك الاستضعاف؛ لينطلق بما يشعر من قوّة الذّات في طريق المبادرة والفعل لينجز التعمير في الأرض.

إنّ هذا المنهج إذن هو منهج ذو بعد إصلاحي، وليس هو مجرّد آليّة من آليّات التحليل لشرح الحقيقة المجردة للإنسان، إذ قد وظّفه النورسي لإصلاح ما بذات المسلم الذي كان يتّجه إليه بالخطاب، ليحوّل إرادته من صغائر الغايات والأعمال إلى كبارها، ويحوّل ما بنفسه من شعور بالضّعف إلى شعور بالقوّة، وتلك كلّها شروط ضروريّة لتجاوز التّخلّف الذي كان عليه المسلمون ضارباً في الأعماق من نفوس الأفراد، والانطلاق في طريق النهضة التي لا تبدأ إلاّ من قوّة الفرد متمثّلة في استشعار رفعته قيمةً وغاياتٍ.

وفي نطاق هذا المنهج بأهدافه الإصلاحية تناول النورسي بالبيان عناصر متعدّدة من تكوين الذّات الإنسانية في بعدها المادّي والروحي، فإذا هو في كلّ مناسبة

يتعرّض فيها بالشّرح لحقيقة الإنسان لا يفتأ يتطرّق إلى جانب من جوانب تكوينه في أعضائه الظّاهرة والباطنة، وفي غرائزه وطبائعه، وفي استعداداته وقدراته، وفي مظاهر ضعفه وقوّته، وفي آماله وأشواقه الرّوحيّة، فيشرح آيات الخلق في تلك الجوانب، ثمّ يخلص سريعاً إلى المقصد من ذلك الشرح، ليبيّن الدّلالة العقدية لتلك الآيات، ويوجّه الأنظار من ظواهرها المشهودة إلى أبعادها الغيبيّة، فيتحوّل الهمّ من الانشغال بالمقتضيات الصّغيرة لتلك الظّواهر إلى المقتضيات الكبيرة لأبعاد الغيب، ويكبر إذن الهدف فتكبر معه الجهود والأعمال، وتحدث حركة النّهوض. وإذا كانت الآيات التّكوينيّة في ذات الإنسان كما تناولها النورسي مرتبطة بأبعادها العقدية كثيرة متنوّعة، فإنّ بعضا منها تتجلّى فيه بصفة أكثر وضوحاً، وأبين غاية، هذه المنهجيّة الرّابطة بين الظّاهر المشهود والبعد الغيبي، وذلك ما نعرضه تاليا.

ب) الرّمزية العقدية لكينونة الإنسان: يعمد النورسي قبل التفصيل في عناصر التكوين الإنساني من حيث دلالاتها العقدية إلى تناول الكينونة الإنسانية جملة، وبقطع النّظر عن تفاصيلها بالبيان من هذا المنظور المنهجي، فيشرح الكيان الإنساني من حيث هو موجود من موجودات الكون ذو طبيعة متّصفة بالوعي والمسؤولية، شرحاً يستطلع فيه ما وراء هذه الكينونة في جملة الطّبائع التي رُكّبت فيها من مدلولات تتجاوز كينونتها الظّاهرة إلى حقائق غيبيّة.

وفي هذا النّطاق يذهب في بيانه إلى أنّ كينونة الإنسان التي يعبّر عنها بـ«ماهية الأنا» ليست حقيقتها الوجوديّة مستمدّة من ذاتها، وإنّما هي مستمدّة من خارجها، أي من واهب الوجود لها وهو الله تعالى، فدلالة وجودها لا تُلتمس في ذاتها، بل تُلتمس من واهب الوجود لها، إذ تلك الكينونة لا تعدو أن تكون رمزا للوجود الحقّ، أو تابعاً من توابعه وظلاً من ظلاله. وفي هذا المعنى يرى النورسي أنّ على الإنسان أن «يفهم أنّ ماهيته حرفيّة، أي دالّة على معنى في غيره، ويعتقد أنّ وجوده تبعي، أي قائم بوجود غيره وبإيجاده، ويعلم أنّ مالكيته للأشياء وهمية، أي أنّ له مالكيّة مؤقّتة ظاهرية بإذن مالكه الحقيقي، وحقيقته ظلّية ليست أصيلة، أي أنّه ممكن مخلوق هزيل، وظلّ ضعيف يعكس تجلّياً لحقيقة واجبة حقّة»[1].

---

(1) الكلمات، النورسي، ص ٦٤١.

وفي سبيل مزيد من توضيح هذه الصّورة بطريق المقارنة، يوازن النورسي بينها باعتبارها صورة لحقيقة الأنا الإنسانيّة، جاءت تبشّر بها النّبوّة، وبين الصّورة التي جاءت تبشّر بها الفلسفة، وهي صورة تمثّل وجهاً مناقضاً للوجه النّبوي، إذ الفلسفة «قد نظرت إلى (أنا) بالمعنى الأسمى، أي تقول: إنّ (أنا) يدلّ على نفسه بنفسه، وتقضي أنّ معناه في ذاته، ويعمل لأجل نفسه، وتتلقى أنّ وجوده أصيل ذاتي وليس ظلاّ؛ أي له ذاتيّة خاصّة به»[1]. فكينونة الإنسان هي إذن في الصّورة النبويّة رمز دالّ على غيره متقوّم في وجوده به، وهي في الصّورة الفلسفيّة وجود معناه في ذاته، وهو دالّ على نفسه بنفسه.

إنّ هذه الصّورة لحقيقة الكينونة الإنسانيّة ليست قيمتها في ذاتها فحسب، بل قيمتها أيضاً فيما ينشأ عنها من آثار عمليّة في السّلوك الفردي والاجتماعي، وذلك ما كان النّورسي يعمل دوماً على استنتاجه في مقام البرهان على حقّيّة تلك الصّورة من تلقاء الثمرة العملية بعدما يكون قد استدلّ عليها استدلالاً نظريّاً، وذلك في سبيل مزيد من ترسيخ هذه الصّورة في الأذهان فتحدث فيها التغيير المطلوب.

ومن الآثار العملية لهذه الصّورة الأثر المعرفي، فالإنسان لمّا يكون معتبراً نفسه أثراً لله تعالى، متقوّماً في وجوده به، ورامزاً بكينونته إليه، فإنّه يفيض عليه من النّور ما يستطيع به أن يكشف عن الحقائق الكونيّة المحيطة به؛ إذ تلك الحقائق هي ذاتها مطبوعة بنفس ما الذّات الإنسانية مطبوعة به، فيفضي ذلك التّجانس إلى استقبال صحيح من قِبل النفس لمظاهر الكون، فتتمّ المعرفة الحقّ. وأمّا لو تصوّر الإنسان حقيقة نفسه بالصّورة الفلسفيّة فإنّ ذلك من شأنه أن يجعله «يتخبّط في درك جهالة مركّبة حتى لو علم آلاف العلوم والفنون؛ ذلك لأنّ ما تتلقّفه حواسّه وأفكاره من أنوار المعرفة المبثوثة في رحاب الكون لا يجد في نفسه مادّة تصدّقه وتنوّره وتديمه، لذا تنطفئ كلّ تلك المعارف، وتغدو ظلاماً دامساً؛ إذ ينصبغ كلّ ما يرد إليه بصبغة نفسه المظلمة القاتمة، حتى لو وردت حكمة محضة باهرة فإنّها تلبس في نفسه لبوس العبث المطلق»[2]، وإذن

---

(1) المصدر نفسه، ص ٦٤٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٦٣٩.

فإنّ النّفس الإنسانيّة حينما يقع فيها أنّها ظلّ للوجود الأعظم؛ فإنّها تستقبل الإشارات المعرفيّة الكونيّة بما يحوّلها إلى معرفة حقّ، أمّا حينما يقع فيها أنّها قائمة في وجودها بذاتها فإنّها تعجز عن ذلك الاستقبال، فتضطرب عليها المعارف، ويفوتها تحصيل الحقائق.

وفي مجال الاعتقاد، فإنّ الصّورة النبويّة لكينونة الإنسان بما تقوم عليه من الرّمزيّة للموجود الأعلى تثمر في النّفس العبودية للّه الواحد، إذ هي بتلك الرّمزيّة والظّلّيّة تثمر في النّفس بالنّسبة لمن يؤمن بها إيمانا بـ«أنّ الغاية القصوى للإنسانية؛ والوظيفة الأساسية للبشرية؛ هي التّخلّق بالأخلاق الإلهية، أي التحلّي بالسّجايا السامية، والخصال الحميدة، التي يأمر بها الله سبحانه، وأن يعلم الإنسان عجزه فيلتجئ إلى قدرته تعالى، ويرى ضعفه فيحتمي بقوّته تعالى»[1]، وتلك هي العبودية لله تعالى في صورتها العالية.

وأمّا الصّورة الفلسفيّة بما تقوم عليه من تقديرالإنسان قائماً بنفسه، فهي تفضي بل قد أفضت عند الفلاسفة بالفعل إلى أن اعتبروا «أنّ الغاية القصوى لكمال الإنسانية هي (التشبّه بالواجب) أي بالخالق جلّ وعلا، فأطلقوه حكماً فرعونياً طاغياً، ومهّدوا الطّريق لكثير من الطّوائف المتلبّسة بأنواع من الشّرك ... وذلك بتهييجهم الأنانية لتجري طليقة في أودية الشرك والضّلالة، فسدّوا سبيل العبودية لله»[2]. فتصوّر الإنسان نفسَه إذن كينونة تابعة للوجود الحقّ وظلاّ له، يفضي إلى السّعي في التّخلّق بأخلاق الله، وهو ما ينتهي إلى التّوحيد الحقّ، وتصورها كينونة قائمة الذّات يفضي إلى السّعي في «التّشبه بالواجب» كما هو شعار الفلاسفة، وهو ما ينتهي إلى الشّرك.

وفي المجال الاجتماعي، تثمر الصّورة النبويّة لكينونة الإنسان بقوامها الرّمزي ثقافة التعاون بين النّاس تصوّراً وعملاً؛ وذلك لأنّ التبعيّة للموجود الأعلى تفسح للتّابعين من أفراد النّاس أن يتكاملوا فيما بينهم بالتعاون، إذ هم متساوون في تلك التّبعيّة التي تكسر فيهم الأنانية الفرديّة، ذلك العائق الأكبر دون التعاون، والدّافع الأكبر للتّعادي والخصام.

---

(1) المصدر نفسه، ص ٦٤٢.

(2) المصدر نفسه، ص ٦٤٢.

وأمّا الصّورة الفلسفية، التي تقوم فيها كينونة الإنسان بنفسها، فإنّها تفسح المجال لثقافة الصّراع؛ إذ تشعر كلّ ذات بأنّها قائمة بنفسها، فتتشبّع إذن بالأنانيّة التي تتولّد منها تلك الثقافة، «فأين هذا الدّستور القويم، دستور التعاون، وقانون الكرم، وناموس الإكرام -النّاشئ من الصّورة النبويّة لكينونة الإنسان- من دستور الصّراع، الذي تقول به الفلسفة من أنّه الحاكم على الحياة الاجتماعية، علماً أنّ الصّراع ناشئ فقط لدى بعض الظّلمة والوحوش الكاسرة، من جرّاء سوء استعمال فطرتهم بحسبان أنّ معناها في ذاتها، وأنّها تدلّ على نفسها بنفسها»[1].

إنّ كينونة الإنسان كما شرحها النورسي في أصل وجودها، وفي مجمع طبيعتها بما هي كينونة رمزية، تستمدّ حقيقتها من خارج ذاتها، وتنتهي إلى الوجود الحقّ الذي هو الله -سبحانه وتعالى-، إذا ما أصبحت في صورتها تلك إيماناً راسخاً للفرد المسلم، فإنّها تثمر في نفسه النّزوع إلى سلوك المسالك الصّحيحة معرفياً وعقدياً واجتماعياً، وذلك ما دفع به إلى التبشير بهذه الصّورة في نطاق مسلكه الإصلاحي، استنتاجاً استدلالياً من القرآن الكريم، ودحضاً للصّورة المقابلة التي كانت الفلسفة الغربية تروّج لها، فتجد بعض القبول والتّأثير في قطاع من المسلمين.

ج) **دلالة التكوين على قيمة الإنسان :** إنّ قيمة الإنسان كما يرى النورسي يمكن أن تقدّر من قراءة صحيحة لتكوينه في بعديه الجسمي والرّوحي، سواء بقراءة ذلك التكوين اقتصاراً على نفس الذّات الإنسانية، أو مقارنة لها بسائر العناصر من الموجودات الكونية، فكلّ من هذه وتلك تفضي إلى علم بأنّ هذا الإنسان الذي أُعدّ في نفسه، وفي نسبته من سائر الموجودات على هيئته المخصوصة، التي هو عليها بأبعادها التركيبيّة والوظيفية؛ ليس إلاّ على درجات عليا من الرّفعة وعلوّ الشّأن، بحيث يقوم ذلك التكوين مقام الشّاهد اليقيني على تلك الدّرجات العليا.

على هذه المنهجية، جعل النورسي يثمّن قيمة الإنسان بقراءة آياته التّكوينية، بالنّظر إليها حينا في حدود ذاتها بما صُنعت عليه من دقيق الصّنعة، وما أُضمر

---

(1) المصدر نفسه، ص ٦٤٤.

فيها من عظيم الطّاقات، وبالنّظر إليها حينا آخر في صلاتها بموجودات الكون، من حيث استجماعها في التركيب لما تفرّق في الآفاق الواسعة العريضة، ومن حيث توافقها العنصري والكيفي مع مُركّبات الموجودات الكونية وأنظمتها في الحركة والتغيّر. وفي كلّ ذلك تراه يعرض المظهر التكويني عرضاً تصويرياً بسيطاً لكنّه دقيق، ثمّ يستخلص منه المغزى القيمي للإنسان، ليبيّن في الخلاصة أنّ هذا الإنسان تدلّ آيات تكوينه على رفعة شأنه وعلوّ مقامه، مدرجاً ذلك كلّه في غرض إصلاحي نبيّنه بعد حين.

ومن الأمثلة على هذا المنحى النورسي في تقدير حقيقة الإنسان؛ التّأكيد المتجدّد في بياناته لتكوين بنيته الظّاهرة والخفيّة، على أنّ تلك البنية الدّقيقة الصّنعة إنّما هي المجْلى الأعظم للصّنعة الإلهية، والمعرض الأكبر لصفاته تعالى وأسمائه الحسنى، فالله تعالى أحسن كلّ شيء خلقه، ولكنّ أعظم درجات حسنه إنّما هي تلك التي ظهرت في تركيب الإنسان، حتى غدا هذا التركيب هو أعظم درجات التّجلّي لصفاته تعالى، وكفى بذلك علوّ قيمة للإنسان، وكفى به رفعة في مقام العزّة والشرف، وفي ذلك يقول النورسي: «إنّ الإنسان بسرّ التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها[1].

والتركيب الإنساني قد أُودع فيه من عظيم القدرات ووفيرالطّاقات، ومن لطيف الأسرار ودقيق الآلات ما ينبئ يقينا بأنّه أُعدّ لغايات عليا، وأُنيطت بعهدته مهامّ جسيمة تفوق الغايات والمهامّ التي خُلقت من أجلها جميع الكائنات الأرضية الأخرى، فقد «خلقه الله سبحانه على فطرة جامعة، لها من القدرة ما يثمر ألوف سنابل الأنواع، وما يعطي طبقات كثيرة بعدد أنواع سائر الحيوانات، إذ لم يحدّد سبحانه قوى الإنسان ولطائفه ومشاعره كما هو الحال في الحيوانات، بل أطلقها واهباً له استعداداً يتمكّن به من السياحة والجولان ضمن مقامات لا تحدّ، فهو في حكم ألوف الأنواع وإن كان نوعاً واحداً، ومن هنا أصبح الإنسان في حكم خليفة الأرض»[2]، وكفى بمهمّة الخلافة من مهمّة

الشعاعات، النورسي، ص ١٨، وراجع أيضاً: المكتوبات، ص ٤٢٦ – ٤٧٣ ، واللّمعات، ص ١٥٣. اللّمعات، النورسي، ص ٢٥٨.

عظيمة، وحيث كانت الخلافة هي المهمّة التي تقوم على العبادة، فتكون هذه أيضاً غاية عليا هُيّئ الإنسان في تركيبه لإنجازها، فـ«فطرة الإنسان وما أودع الله فيه من أجهزة معنوية تدلاّن على أنّه مخلوق للعبادة»[1]، وفي خلاصة هذه الفكرة يقول النورسي: «فإنّ الإنسان لم يوهب له رأس مال العمر، ولم يودع فيه أجهزة إنسانية راقية؛ إلاّ ليؤهّله ذلك على تأدية الوظائف الجليلة المذكورة»[2].

وقد استجمع الإنسان في تركيبه من العناصر ومن الهيئات الكيفيّة ما تفرّق في آفاق الكون، حتى غدا بذلك كخلاصة للعالم، أو كعالم صغير يحاكي في تكوينه ذلك العالم الكبير، ولمّا كان الإنسان على هذا النّحو من المحورية التكوينيّة للكون كلّه، وعلى هذا النحو من المركزية بالنّسبة لسائر الموجودات، فإنّه اكتسب العلوّ والرّفعة بالنّسبة للكون، كما تكتسب مستخلصات العطور الرّفعة بالنّسبة للنّباتات الكثيرة التي استخلصت منها، وأصبح تبعاً لذلك سيّداً للكون، وأصبح ما في الكون مسخّراً وخادماً لأغراضه، كما يكون الخادم في طاعة سيّده.

إنّ الله تعالى «إذا ما كتب ـ وهو الصانع المعجز المطلق ـ كتاب السماوات والأرض، ذلك الكتاب الضّخم في نسخة مصغّرة وهي الإنسان، وإذا ما جعل هذا الإنسان منتخباً وخلاصة كاملة لذلك الكتاب، فإنّه –أي الإنسان– سيملك ذلك الشرف والكمال والقيمة العالية[3]، فهذه المركزيّة الكونية في التكوين الإنساني أكسبت الإنسان إذن قيمة إضافية في نسبته من الكون تؤكّد وتعزّز تلك القيمة التي أكسبته إيّاها طبيعته الذّاتية.

إنّ هذه المرتبة الرفيعة، ذات التّحقّقات المختلفة التي حرص النورسي أيّما حرص على أن يبيّنها مدلولاً لتكوين الإنسان بالنّظر إلى ذاته، وفي نسبته من الكون، إنّما كان ينحو في تبيانها منهجاً تربوياً إصلاحياً، ويوجّهها بذلك في تحقيق غايته القائمة على تغيير ما عليه المسلمون في ذوات الأفراد وفي هيئة

---

(1) الكلمات، النورسي، ص ٢٠.

(2) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(3) الشعاعات، النورسي، ص ٨١، وراجع أيضاً فكرة الإنسان العالم الصّغير ودلالاتها على قيمة الإنسان في: اللمعات، ص ١٩، ١٢٧، ٤٧٣، ٥٠٨، والشعاعات، ص ٦٤٥ – ٧٠٢، والمكتوبات، ص ٣٠١.

المجتمع، فهو إنّما كان يبرز تلك الرّابطة الدّلالية بين تكوين الإنسان وقيمته ليشيع في النفوس بما تتشرّبه من يقين التّلازم بين الطرفين الشّعور الرّاسخ بقيمة الذّات وعلوّ الشّأن وجسيم المسؤولية، فإذا المرء لمّا ينظر في نفسه –وهو النّاظر فيها في كلّ أحواله– يتيقن من ملاحظة تركيبه بأنّه خُلق لأمر عظيم، وإذا هو بذلك اليقين يسعى في ممارسات عملية يبلغ بها من الجدّ والدّأب والإتقان ما يتناسب مع ما هو عليه من قيمة رفيعة، وما هو معدّ له من مهمّة جسيمة، وإذا هو أيضا ينصدّ عن أن يأتي الصّغائر من الأعمال، ويهدر جهده في سفاسف الأمور، إذ كيف وهو الرّفيع الشّأن يأتي ما هو صغير حقير؟

ذلك المعنى هو الذي عبّر عنه النورسي في منحى توجيهي إصلاحي، إذ يقول: «أتحسبون أنّ مهمّة حياتكم محصورة في متطلّبات النّفس الأمّارة بالسّوء، ورعايتها بوسائل الحضارة إشباعا لشهوة البطن والفرج؟ أم تظنّون أنّ الغاية من درج ما أُودع فيكم من لطائف معنوية رقيقة، وآلات وأعضاء حسّاسة، وجوارح وأجهزة بديعة، ومشاعر وحواسّ متجسّسة؛ إنّما هي لمجرّد استعمالها لإشباع حاجات سفليّة لرغبات النفس الدّنيئة في هذه الحياة الفانية؟ حاش وكلاّ»[1]، إنّ خلق تلك اللّطائف والحواسّ والمشاعر؛ إنما هو للقيام بمهمّة في الحياة أعلى وأسمى من ذلك كلّه، تلك هي مهمّة الخلافة القائمة على عبادة الله تعالى ترقيةً للذّات الإنسانية وتعميراً في الأرض.

د) البعد الأخروي في التكوين الإنساني :

إنّ التّكوين الإنساني في بعديه المادّي والرّوحي، حينما يُتأمّل بالنّظر الدّقيق بما يفوق لحظة وجوده الرّاهنة إلى الدّلالات الزّمنية لتركيبه؛ فإنّ ذلك التّأمّل يفضي إلى يقين بأنّ هذا التّكوين يمتدّ في دلالته الزمنية إلى ما يتجاوز مقدّراته من الحياة في هذا العالم المشهود إلى آماد أخرى من الحياة، تمضي في الزّمن إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، وتلك هي حياة الخلود التي ليس لها نهاية. هذه فكرة انشغل بها النّورسي انشغالاً كبيراً في مضمار شروحه لحقيقة الإنسان من حيث آياته التكوينيّة، ودلالاتها العقدية، وخصّص لها في رسائله، وخطبه، وإرشاداته، مساحة واسعة. وقد ركّز في تبيانها على جهتين أساسيتين من جهات

---

(1) الكلمات، النورسي، ص ١٣٦.

تكوين الإنسان من حيث دلالة كلّ منهما على الحياة الأخرى، فكان إذن جاعلاً البعث في الحياة الأخرى بعداً من أبعاد تكوين الإنسان.

والجهة الأولى من تلك الجهتين، هي ما رُكّب عليه الإنسان من أجهزة ماديّة وروحية، ومن استعدادات وقدرات، فهذه كلّها تبلغ في التّركيب الإنساني من دقّة الصّنعة وإتقانها، ومن القدرة على العطاء والكفاءة في الأداء، ومن طاقة الإنجاز وقوّة الفعل؛ ما تتجاوز به آماداً بعيدة حاجات الإنسان ومطالبه في حياته القصيرة، فتلك الحاجات والمطالب يمكن أن تُلبّى بما هو أقلّ من ذلك بكثير من التّكوين الإنساني، فلماذا إذن أُضمرت في ذلك التّكوين من المقدّرات أكثر بكثير ممّا يحتاجه الإنسان في حياته الدّنيويّة القصيرة لو كانت تلك الحياة تنتهي بالموت؟

يأتي جواب النورسي على هذا السّؤال، بأنّ المقدّرات الواسعة للتكوين الإنساني إنّما هي دالّة دلالة القطع على أنّ حياة الإنسان ممتدّة في الوجود إلى ما بعد هذه الحياة الدّنيا، حيث يكون البعث والحشر والحساب ، ثمّ الخلود في حياة أبدية، وتلك المقدّرات الواسعة للتّكوين الإنساني إنّما خُلقت على ذلك النّحو لتُصرف في جزء منها على المطالب المحدودة للحياة المشهودة، ثمّ لتُصرف فيما زاد على ذلك لتلبية مطالب أخرى تقتضيها الحياة الباقية في أقدار غير محدودة ، إذ هي سعادة غير خاضعة لقياس كمّي ولا زمني، وعلى هذا النّحو يتمّ التّكافؤ بين مقدّرات التكوين الإنساني، وبين الآماد الزمنيّة للحياة المحدود منها والباقي، ويتمّ التّعادل المنطقي بين الطّرفين، وينتهي ذلك التفاوت بين قدرات الإنسان وما تتطلّبه حاجاته الضّرورية في حياته الدّنيا.

يقول النورسي في بيان هذه المعاني، أو ما هو قريب منها: «كلّ ذي شعور يعلم أنّ الله –سبحانه– قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وربّاه أحسن تربية، وزوّده من الأجهزة والأعضاء كالعقل والقلب ما يتطلّع به إلى السّعادة الأبدية ويسوقه نحوها، ويدرك كذلك مدى الظّلم والقسوة إذا ما انتهى مصير هذا الإنسان المكرّم إلى العدم الأبدي، ويفهم كذلك مدى البعد عن الحكمة في عدم البعث الذي يجعل جميع الأجهزة، والقوى الفطرية، التي لها آلاف المصالح والفوائد دون جدوى، ودون قيمة، في الوقت الذي أودع سبحانه مئات من الحكم والفوائد في دماغه فحسب»[1].

---

[1] الشعاعات، النورسي، ص ٣٦٨.

والجهة الثانية من جهات التكوين الإنساني في مضمار دلالتها على الحياة الأخرى، هي المتعلّقة بما هو مضمر في النّفس البشريّة من الآمال والأشواق والمطالب الرّوحية، فهذه النّفس تنطوي من ذلك على أقدار واسعة جداً تتجاوز إلى غير حدّ ما هو متاح لتلبيتها في حياة الشّهادة، فالإنسان ينطوي على حبّ للعلم لا يشبعه المتاح في حياته، بل لا تكفي تلك الحياة لإشباعه، وينطوي على شوق للبقاء لا يلبّي منه العمر إلاّ شيئاً قليلاً، وينطوي على تطلّع للسّعادة لا يتحقّق منها في الحياة الدّنيا إلاّ النّزر اليسير، وقد لا يتحقّق منها شيء. فكيف يمكن تفسير هذا التّفاوت بين تكوين الإنسان في أشواقه وآماله وتطلّعاته، وبين الممكن تحقيقه منها في الحياة؟

يجيب النورسي على هذا السّؤال بنفس المنهج الذي أجاب به على السّؤال الذي قبله، فيذهب إلى أنّ هذه الأقدار الواسعة من آمال الإنسان وأشواقه التي لا تجد لها في الحياة الدّنيا تحقّقا ممكنا، إنّما تحمل في نفسها دلالة على أنّ حياة الإنسان ليست هي هذه الحياة التي تعجز عن تحقيق تلك المطالب والأشواق، بل هي حياة ممتدّة بعد الموت إلى آماد الخلود، حيث يمكن هناك أن تتحقّق كلّ الآمال والأشواق والتّطلّعات.

وفي بيان هذا المعنى يقول النورسي: «إنّ حقيقة الإنسان وكمالاته، وحاجاته الفطرية، وآماله الأبدية، وحقائقه واستعداداته، تتطلّب النتائج والفوائد المذكورة للإيمان بالآخرة، وتدلّ قطعاً على الآخرة، وعلى الجنّة، وعلى لذائذ ماديّة محسوسة باقية، وتشهد على تحقّقها»[1]، ويقول في موطن آخر: «ما دام الإنسان مشتاقاً فطرةً لجمال باق، وقد خلق محبّاً لذلك الجمال .. وإنّ الجمال الباقي لا يرضى بمشتاق زائل .. فلا بدّ أنّ هذا الإنسان سيبعث إلى دار البقاء والخلود، ولا بدّ أن سينال حياة باقية دائمة»[2]، وفي خلاصة هذه الفكرة «ما دام جميع لذائذ الدّنيا لا تشبع الخيال الذي هو أحد خدّام الماهية الإنسانيّة، فلا بدّ أنّ حقيقة الماهية الإنسانيّة الجامعة الشّاملة جداً مرتبطة فطرة بالخلود والبقاء»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(2) اللمعات، النورسي، ص ٥٩٨.

(3) الشعاعات، النورسي، ص ٢٧٨.

إنّ الإنسان إذن ينطوي على قدرات واستعدادات تزيد عن حاجته من مطالب حياته الدّنيا، ومن جهة أخرى ينطوي على أشواق وآمال لا يكفي ما في هذه الحياة لتحقيقها، وفي كلا الجهتين ميلان غير مقبول في ميزان العقل لو قُدّرت الحياة على أنّها منحصرة في هذه الفانية، وليس من حلّ منطقي يعدّل طرفي المعادلة في الوجهين، ويبعد ما ينطوي عليه ذلك الميلان من العبثيّة في الخِلقة الإنسانيّة إلاّ بحياة أخرى تمتدّ إلى الأبد، وتصل بها الاستعدادات والقدرات إلى مداها في تحقيق مقتضياتها، كما تصل فيه الأشواق والآمال إلى مداها في إشباع مطالبها.

إنّ النورسي لم يكن في بياناته هذه، كما درج عليه في كلّ بياناته في هذا الشّأن محلّلاً نظرياً، أو مقرّراً فلسفيّاً، ولكنّه كان يدرج هذه البيانات في نسق تربوي إصلاحي، فحينما يقع في نفس المسلم أنّ تركيبه الذّاتي المادّي والمعنوي يشهد بحياة البقاء، ويرمز إليه ويدلّ عليه، فإنّ هذه الحياة ستكون قائمة في الوعي حاضرة فيه باستمرار، وهو ما من شأنه أن يحفّز الإرادة للعمل في هذه الحياة الدّنيا بما يدفع الاستعدادات والقدرات إلى مدى طاقاتها اطمئناناً لربحها الذي سيكون في الآجل بعد استيفاء العاجل، وبما يفضي إلى إشباع الأشواق والآمال إشباعاً تسعه حياة البقاء إن لم تسعه حياة الفناء، وفي كلّ من هذا وذاك يُرى عمل الإنسان في كمّه وكيفه، فتعمر به حياة الإنسان في الدّنيا والآخرة.

ويمتدّ النّورسي بآثار هذا الارتباط في ذهن المسلم بين حقيقة تركيبه وبين دلالتها على الآخرة إلى المجال الاجتماعي، فهو بعدما يبيّن دلالة التكوين الإنساني على الآخرة، يستنتج ما يفضي إليه الإيمان بتلك الدّلالة من أثر في الرّوابط الاجتماعية، فيقول: «ما إن يأتي الإيمان بالآخرة إلى هذا الإنسان، ويمدّه ويغيثه، حتى يحوّل ذلك الزّمن الضّيّق الشبيه بالقبر إلى زمان فسيح واسع جدّاً، بحيث يستوعب الماضي والمستقبل معاً، فيريه وجوداً واسعاً بسعة الدّنيا، بل بسعة تمتدّ من الأزل إلى الأبد، وعندئذ يقوم هذا الإنسان باحترام والده وتوقيره، بمقتضى الأبوّة الممتدّة إلى دار السّعادة وعالم الأرواح، ويساعد أخاه ويعاونه بذلك التّفكير بالأخوّة الممتدّة إلى الأبد، ويحبّ زوجته ويرفق بها ويعاونها لأنّها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنّة»[1].

---

(1) الشعاعات، النورسي، ص ٣٧٩.

هذه نماذج من المنهج الذي انتهجه النورسي في شرح حقيقة الإنسان، فيما يتعلّق منها بالجانب التّكويني فيه، سالكاً مسلك الرّبط بين المظاهرالتّكوينيّة وبين مدلولاتها العقدية، جاعلاً تلك المدلولات بعداً أساسياً من أبعاد مظاهر التّكوين، وجزءً مكمّلاً لحقيقتها، بحيث يقف النّاظر فيها على الوجه الظّاهري المشهود، والوجه العقدي الغيبي؛ كوجهين لحقيقة واحدة، ليكون من ذلك أثر فاعل في النّفس، مغيّر ما بها، دافع بالإرادة إلى مقتضيات الوجه العقدي الغيبي من الفعل الثريّ الذي يعمر الحياة.

إنّه منهج في التّقرير العقدي لمفهوم الإنسان من شأنه أن يؤسّس فرعاً من فروع علم العقيدة، ينظّر للإنسان موضوعاً قائماً بذاته، ليكون مرجعاً لكلّ ما يُبنى من نظم في نطاق مشروع النّهضة الإسلامية، وليفعّل إرادة المسلم بما يصبح للبعد العقدي من مدخل في تصوّره لحقيقة نفسه، وبما يكون للاستدلال العملي ببيان المنفعة الواقعيّة للعقيدة التّصديقيّة النظرية من استنفار للنزوع إلى المبادرة والفعل والإنجاز، فيصحّ إذن في حال المسلم الفكر والعمل معاً، وتلك هي الشروط الضروريّة التي لا تكون نهضة بدونها.

وإنّ هذا المنهج النّورسي لحريّ بأن يُدرس لتتبيّن معالمه، وأن تُجمع عناصره، وتؤلّف أجزاؤه، ليبدو صورة متكاملة سوف تكون -بدون شكّ- مفيدة كبير الفائدة في سبيل إنشاء علم الإنسان الإسلامي. وليت بديع الزمان خفّف في منهجه هذا قدراً مّا من منزعه الصّوفي، الذي نحا به في تقريره لحقيقة الإنسان منحى الإصلاح الرّوحي، الذي يغلب فيه معنى التّعبّد كصلة مباشرة بالله تعالى، ويضمر فيه إلى حدّ كبير معناه كصلة بالله بطريق التّعمير في الأرض، فهي عبادة توازي العبادة في معناها المباشر، والمسلمون اليوم في أشدّ الحاجة إلى أن يُصحّح في أذهانهم هذا المفهوم لينطلقوا في عبادة الله تعالى بالتّعمير في الأرض؛ كجزء أساسيّ من مفهوم الخلافة. وهذا ملحظ ينبغي فيما نرى أن يؤخذ بالتّلافي، لمّا يُستفاد من هذه المنهجيّة النّورسيّة في تقرير حقيقة الإنسان، فيقع تطوير هذه المنهجيّة في اتّجاه الاهتمام بعبادة التّعمير.

موقف النورسي من السببيّة

الدكتور مصطفى أبوصوّي

جامعة القدس

مقدمة:

إن هذا البحث يعتمد على تحليل المادة المتعلقة بموضوع السببية كما وردت في (الكلمات)، ولعل في ضخامة هذا الكتاب ما يعبر عن فكر النورسي –رحمه الله– ويكون ممثلاً له بما يفي بالغرض المطلوب من مثل هذا البحث، من خلال هذه الندوة المعقودة للتعريف بأفكار النورسي وشخصيته ومواقفه، ومنها موقفه من السببيّة.

وسأبدأ البحث بلمحة تاريخية حول موضوع السببيّة، مع إجراء بعض المقارنات بين الغزالي والنورسي (رحمهما الله) من حين لآخر فيما يتعلق بالسببية؛ لأن الغزالي يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الفكر عامة، ولتصريح النورسي بالعلاقة الوثيقة التي تربطه بالإمام الغزالي على بعد الزمن بينهما، وذلك لشربهما من نفس النبع الصافي.

لمحة تاريخية:

درج العلماء منذ وقت طويل على معالجة إشكالية السببيّة، وقد كان الغزالي (ت ١١١١م) –رحمه الله– من السابقين إلى طرح مفاهيم عن السببية في كتابه تهافت الفلاسفة، تردد صداها طويلا في تاريخ الفكر، وسبق بها التجريبيين الأوروبيين أمثال ديفيد هيوم (ت ١٧٧٦م). لقد نفى الغزالي في هذه المفاهيم العلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات، ونسب العلاقة إلى التساوق في وجود «السبب» و«المسبب»، وأن مرد ذلك إلى العادة فقال:

«الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وبين ما يعتقد مُسبباً، ليس ضرورياً عندنا... فإن اقترانها [الأسباب والمسبّبات] لما سبق في تقدير الله سبحانه، بخلقها على التساوق، لا لكونه ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق»[1].

وهكذا نجد أن التعرض لمثل هذه المواضيع كان من دأب كبار العلماء والمفكرين، ولم يشذ النورسي عن هذه القاعدة، فقد ناقش إشكالية السببية في مواطن عديدة من كتاباته.

لماذا التعرض للسببيّة؟

ينبغي أن ننبه هنا إلى اختلاف الظروف الموضوعية التي أحاطت بالنورسي، والتي تختلف عن تلك التي أحاطت بمن سبقه من أمثال الغزالي، فأدى ذلك إلى اختلاف في الأسلوب والأهداف الفرعية، فضلاً عن بعض الإختلافات في ماهية العلاقة بين الأسباب والمسببات، ولكن الأخيرة لا تمت إلى الظروف الموضوعية بصلة.

فالغزالي كان يكتب حول موضوع السببية للعلماء فجاءت كتابته مختصرة، وكان نقده موجهاً بالدرجة الأولى للفلاسفة «المسلمين» الذين تأثروا بالتوجّهات المادية للفلسفة اليونانية. وقد وقف الغزالي موقفاً حازماً تجاه الوافد من الغرب، الذي يختلف مع نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة. ولم يعترض على العلوم التي لا تصطدم مع الدين، مثل الرياضيات كما بيّنه في «المنقذ من الضلال». وقد كان الغزالي واعياً لدوره في محاربة تيار الفلسفة اليونانية، وطالب بوحدة المسلمين على اختلاف مشاربهم في مواجهة هذا العدو الخارجي، وطلب منهم نبذ خلافاتهم جانباً حتى يتسنّى لهم صد ذلك التيار. وتلقت الفلسفة على يديه ضربة لم تستطع أن تفوق منها.

وأما النورسي، فقد كان واعيا لقضية التغريب الثقافي، وانبهار الناس بالحضارة الغربية، والأفكار العلمانية؛ التي فشت في أوساط العلماء والعوام، فكانت كلماته

---

[1] الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، ص ٢٣٩.

تخاطب جميع المستويات؛ لعموم البلوى بالعقلانية المحدثة الوافدة من الغرب، التي عبدت الأسباب الطبيعية، ووقفت عندها، ولم تستطع أن تتعدّاها. ومما لا شك فيه أن «العقلنة» هذه ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلمنة[1]، وهما وليدتا منظومة فكرية غربية تشكلت في الوعي الأوروبي نتيجة الظلامية التي عاشتها أوروبا، وعانت منها حينما كانت الكنيسة تعرض رؤيتها المخالفة للعلم بالحديد والنار، وكانت تقتل العلماء؛ فأدت إلى فصام نكد بين «العلم» و«الدين».

ولعلّ هذا كان ضرورياً بالنسبة لأوروبا، ولكنه لا يصح أبداً في حق الإسلام والمسلمين؛ الذين حملوا الشعلة التي بددت ظلام أوروبا، وأنارت درب علمائهم بشهادة مفكريهم، من أمثال جان جاك روسو في مقدمة إحدى رسائله[2].

فهذا الدين الذي كان أول الوَحي فيه «اقرأ» لا يقبل «العلمنة» التي ابتلي بها أبناؤه، والتي حاول النورسي جاهداً إيجاد جيل واع من الشباب يستطيع مواجهتها، وخلق تراث فكري يعد دواء ناجعاً لمثل هذا المرض.

ولا بد أن مفهوم الضلال عند النورسي يرتبط ارتباطاً عضوياً بالعلمنة، ولا ينفك عنها، فقد ذكر أن عدم إدراك البعض لماهية الأسباب، والتي هي حجب وستائر (أمام القدرة الإلهية) ليس إلا، يعود إلى الجهل المريع الناشيء من الضلال، والتمرد المقيت المتولد من الزندقة[3].

---

(١) أرى التنبيه إلى أن ترجمة كلمة Secularism إلى «علمانية» لا يوجد له ما يبرره. ولعل ترجمتها «الدنيوية» أصح، ولو أريد تسمية الظاهرة بدلا من الترجمة فالعلمنة تشير إلى عملية الانتقال من المجتمع الديني إلى المجتمع اللاديني. ومن هنا فإن ربط «علمانية» بمادة (ع-ل-م)، وهي مادة ترتبط بالعلم والمعرفة، كان ربطاً ذكياً ولكنه غير صحيح، وإنما أراد المفكرون الذين تلوثت أفكارهم بالنموذج المعرفي الغربي تمرير هذا المصطلح من خلال هذا الربط. انظر. د. عبد الوهاب المسيري: «العلمانية... رؤية معرفية»، «منبر الشرق»، العدد ٣، ١٩٩٢م.

(٢) Jean Jacque Rousseau, "Discourse on the Sciences and the Arts", The Basic Political Writings, Donald Cress, trans. (Hackett; Indianapolis, 1988). p.3.

(٣) الكلمات، ص ١٩٩.

السببية والتقدم:

والعقلانية الوافدة أفرزت موقفاً «علمياً» لا يقبل بطروحات تبتعد عن دائرة المعهود في ربط الأسباب بالمسببات ضمن النظرة «الطبيعية»، وبعيداً عن الماورائيات. بل تهاجم هذه «العقلانية» أي شخصية لها تفسير مغاير لنظرتها، وضمن ذلك ما يتعلق بالسببيه، فلا زال الكثير من مفكري المسلمين ومثقفيهم لا يفقهون الخلفية التي انطلق منها الغزالي على سبيل المثال، والرسالة التي أراد أن يوصلها إليهم. بل بلغ الشطط ببعض العرب النصارى أن حَمّل الغزالي مسؤولية تخلف الأمة الاسلامية زوراً وبهتاناً، فقد ذكر القرضاوي أنه قرأ في كتابٍ صَدَر في سلسلة (عالم المعرفة) أن «انطونيوس كرم»، قد حَمّل الغزالي والمدرسة التي يمثلها نتيجة تخلّف الأمة وسقوط حضارتها»![1]

لقد وصل هيوم ومالبرانش وبيركلي إلى بعض ما وصل إليه الغزالي؛ فلم يتهمهم قومهم بإعاقة التقدم المدني، وظلت مكانتهم محفوظة في تاريخ الفكر الغربي، بل يمكن اعتبار المدرسة التجريبية إلى حد ما حلقة في السلسلة التي أدت إلى التقدم في الغرب.

إنني أعجب كيف يمكن لمليار وثلث من المسلمين عجزوا عن الشهود الحضاري في زماننا هذا؛ أن يربطوا ذلك بفكرة وردت عند أحد علماء المسلمين قبل أكثر من تسعمائة سنة!

إن النظرة «الطبيعية» للعلاقة بين الأسباب والمسببات تؤدي إلى القول بوجود آلية مطلقة فيها، وهذا نتاج التوجهات المادية في الفلسفة، وبالتالي يحجب هذا المفهوم الإنسان عن ربه، وتصبح «الدنيا ستاراً كثيفا يحجب الآخرة».

«فالفلسفة»، كما قال النورسي: «تمنح التأثير للأسباب، وتعطي بيد الطبيعة الإيجاد والإبداع، فلا ترى الآيات المتلألئة على كل موجود، الدالة على الخالق العظيم».

---

[1] يوسف القرضاوي: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه، ص ١٧٥.

ولكن الذي يربط الأسباب والمسببات بمشيئة الله يرى في «التغيرات والحركات الناتجة عنها حركات قلم القدرة الإلهية لدى كتابتها رسائل صمدانية على صفحة الوجود»[1].

إذاً المطلوب هو إحداث الوعي، وتدريب العقل على الذهاب إلى أبعد من الرؤيه «الطبيعية» التي تعمّق الغفلة في الإنسان، وتضاعف من لوثات الدنيا وشوائبها؛ حتى «أنسته الصانع الجليل، والآخرة البهيجة»[2].

وقد ردّ النورسي على ادعاء الفلاسفة «أن العلم الإلهي لا يتعلق بالجزئيات». وهذا الادعاء ذكره الغزالي في «تهافت الفلاسفة» ضمن القضايا الثلاث التي كفّر الفلاسفة فيها. وعلاقة هذه المقولة بالسببيه تكمن في إخراج الجزئيات الحادثة من علم الله، تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً، فتكون النتيجة المنطقية؛ أنه إذا لم يعلم بالحوادث لم يتدخل في الأسباب، والنتائج المتعلقة بها، فيصبح من هذا الباب، جل وعلا، كإله أرسطو الذي لم يتدخل في شؤون العالم بعد الدفعة الأولى، أو كإله أفلوطين الذي لم يتدخل أصلاً في خلق العالم!

وهكذا نرى في ردّ النورسي على ادعاء الفلاسفة ربطاً للجزئيات بعلم الله ومشيئته، فتنظيم وتسخير وإدارة وتدبير المنظومة الشمسية، وكل أعضاء الإنسان وكرياته وأعصابه ضمن تدبيره: «وما دامت كل حجيرة، وكل كرية دموية منقادة لأوامره سبحانه، وضمن تدبيره وتصريفه الأمور، وتتحرك وفق قانونه، فلا بد أن جميع موادها الأساسية، وجميع ذراتها التي تنتج منها نقوش صنعها في قبضة قدرته، وضمن دائرة علمها بالضرورة، ولا بد أنها تتحرك بانتظام وتؤدي الوظائف على أتم وجه بأمره وإذنه وقوته. إذ الله تعالى هو الذي يدبّر الأمر ليل نهار»[3].

ولقد كان النورسي عالماً بحقيقة الأسباب والمسببات وأنها حادثة: «وكل مُحْدَثٍ لا بد له من محدِث؛ أي: موجد، لذا فالكون لا بد له من موجِد قديم»[4].

---

(1) الكلمات، ص ٥٩٠.

(2) المصدر نفسه، ص ٦٤٦.

(3) المصدر نفسه، ص ٥١٠.

(4) المصدر نفسه والصفحة.

ومن لم يكن واجباً قديماً أزلياً لا يكون إلهاً، أي إن كان حادثاً زمانياً. إن هذه الجملة الأخيرة، التي تدل على تمكن النورسي من مصطلح الفلسفة، ترد شرك عبادة الأسباب، ومثال «على عبادة الطبيعة»، أو أي جزء منها[1].

وظائف الأسباب:

وقد بيّن النورسي بعض وظائف الأسباب، ومنها اقتضاء عزة الألوهية وعظمتها، أن تكون الأسباب الطبيعية أستاراً بين يدي قدرته تعالى أمام نظر العقل[2].

إذاً، فالأسباب ليس لها أي تأثير حقيقي في الإيجاد والخلق، وهنا يوجد اختلاف بين الغزالي والنورسي، فالأول جعل العلاقة منشؤها العادة الناتجة عن التساوي، وأما الأخير فلم ينكر التأثير، ولكنه ليس على وجه «الحقيقة»: «إن المسببات قد ربطت بالأسباب بمقتضى المشيئة الإلهية وحكمتها، ولاستلزام ظهور كثير من الأسماء الحسنى (وهنا وظيفة أخرى للأسباب)، يربط كل شيء بسبب، ويقتضي التوحيد والجلال؛ أن تسحب الأسباب الطبيعية يدها عن التأثير الحقيقي في آثار القدرة الإلهية»[3].

وهكذا يصل النورسي إلى رؤية الأسباب على أنها «أغلفة المصنوعات الربّانيّة، وظروف الهدايا الرحمانية»[4].

وأما عن الحكمة وراء هذا التغليف، بالإضافة إلى ما سبق من وظائف الأسباب، فنجده في قول النورسي: «ذلك لئلا تظهر مباشرة يد القدرة في أمور جزئية خسيسة، لا يدرك نظر أكثر الغافلين حسنها ولا يعرف حكمتها»[5].

---

(1) الكلمات، ص ٦٤٦.
(2) المصدر نفسه، ص ٧٢٤.
(3) المصدر نفسه، ص ٨٢٥.
(4) المصدر نفسه، ص ٨٤٠.
(5) المصدر نفسه والصفحة.

مُسبب الأسباب:

ومما يلفت الانتباه، معرفة النورسي وتوظيفه لدور علماء الكلام في بيان ثانوية دور الأسباب؛ حيث يقول: «ولقد فنّد علماء الكلام فكرة الدور والتسلسل، وأثبتوا بطلانها .. وقطعوا سلسلة الأسباب والمسببات، وأثبتوا بذلك واجب الوجود»، ويستدرك النورسي مباشرة: «أنه مع قوة حجة علماء الكلام هناك حجة أقوى. إن إظهار الختم الخاص للخالق الجليل على كل شيء، المختوم به كل شيء، لهو أسهل وأقوى وضوحاً من برهان انقطاع سلسلة الأسباب، ثم بلوغ إثبات الخالق جل وعلا»[1].

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الفكرة السابقة تكررت كثيراً في كتاباته، وأن العشرات إن «لم يكن المئات» من «الأمثلة قد ضربت لإيصال القارئ، وتدريبه حتى يستطيع تعدي دائرة الأسباب والمسببات بسهولة ويسر إلى مسبب الأسباب، فالذي يوجد المسببات هو غير الأسباب»[2].

ولو ضربنا مثالاً من الأمثلة الكثيرة، أو التشبيهات التي حاول النورسي من خلالها نقل القارئ عبر حاجز الأسباب؛ لذكرنا ما ورد في الكلمة الثانية والعشرين حيث تبين أنّ انعكاس صورة الشمس في قطرات الماء، وقطع الزجاج؛ يدل في ظاهره على شموس لا تحصى بدلاً من شمس واحدة، وهكذا مسبب الأسباب، فإذا لم تسند كل شيء إلى القدير، لزم قبول آلهة غير متناهية بعدد ذرات الكون[3]. وهذا هو أساس فكرة عبادة الطبيعة[4].

ويؤكد النورسي على نفس الفكرة حيث يوضح أن الإبداع الظاهر على المسببات «وروعة جمالها قد عزلت الأسباب وسلبتها قدرة الخلق، ودلتنا بلسان حالها على مسبب الأسباب، وسلمت الأمور كلها بيد الله ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾» (هود، آية ٣٢١)[5].

---

(١) الكلمات، ص ٨٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨٢٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٨١٩.

بل بلغت ثقة النورسي بما هو عليه إلى تشخيص الأسباب والحديث على لسانها، حيث تقف عاجزة أمام الإعجاز الرباني في تأليف الكون فتقول: «سبحانك... لا قدرة فينا... ربنا أنت القدير الأزلي ذو الجلال»[1].

فالطبيعة ليست طابعة، بل مطبع، ولا نقاشة بل نقش، ولا فاعلة بل قابلة للفعل.[2] وفي تحليله لأسباب الظواهر الطبيعية، يذهب النورسي أبعد مما يذهب إليه أصحاب النظرة «العلمية» المادية. فحينما كان بصدد تفسير ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها..﴾ في ذيل الكلمة الرابعة عشرة، ذكر زلزالاً حدث في زمانه في تركيا، وبين كيف أن الموقف «العلمي» في الزلازل يحيل السبب إلى تقلبات في جوف الأرض، فلا يبصر «العلماء» في ظاهرة الزلازل إلا مسألة طبيعية ومجرد مصادفة، «فلا يرون الأسباب المعنوية لهذه الحادثة ولا نتائجها»[3].

وقد دفع موقفهم النورسي إلى القول بأنه من «الحمق الشنيع الانسياق إلى الطبيعة ونسيان الأمر الإلهي»[4]، فالأرض مأمورة مسخرة يأمرها «سبحانه بالانفلاق إيقاظاً للغافلين وتنبيها للطغاة»[5].

فالأصل أن الأرض في حركاتها وزلزالها وحتى في اهتزازاتها أحياناً، إنما هي تحت أمر الله ووحيه[6]. ولكن الزلزال يؤدي إلى حدوث عذاب أليم فما سببه؟

وهنا يجيء الجواب من النورسي أن السبب هو «ما يقترف من الإثم والفجور من مجون وعربدة جهاراً نهاراً»[7].

ولست أرى في هذا المجون، وهذه العربدة؛ إلا مظاهر التغريب والإنبهار بالحضارة الغربية، الذي نذر النورسي نفسه لمواجهته. إذاً، فالزلزال جرس يدق باب

---

(1) الكلمات، ص ٣٣١.
(2) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.
(3) المصدر نفسه، ص ٨٢٠.
(4) المصدر نفسه، ص ٨٤٢.
(5) المصدر نفسه والصفحة.
(6) المصدر نفسه، ص ١٩٨.
(7) المصدر نفسه، والصفحة.

المجتمع الآثم ليوقظه. بل عد النورسي من باب الإيقاظ أيضا الحرب العالمية، والسيول العارمة، والرياح الهوج، والصواعق المحرقه، والطوفانات المدمرة، وعد هذا من باب التربية الربانية العامة للبشرية[1].

وأما استخدام النورسي لنصوص القرآن الكريم في إثبات عدم استقلالية الأسباب بأي فاعلية حقيقية، فنراه في اقتباس الآية: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾.[2]

فهذا المثال استخدم من قبل علماء المسلمين، ومن ضمنهم الغزالي، ويستدل النورسي بهذه الأية على أن «النار كسائر الأسباب، ليس أمرها بيدها»[3].

ومعناه أن الأسباب لا تؤدي عملها بآلية، ولكنها تتبع مشيئة الله -عز وجل-، فلم تحرق سيدنا إبراهيم لأنها أمرت بعدم الحرق[4].

وليس فقط هذا، بل أمرت النار أن تكون برداً على إبراهيم -عليه السلام-، ولما كان البرد الشديد له أثر كالحرق، قيد الله تعالى البرد بـ«سلاما». ويخلص النورسي، في هذا السياق، إلى نتيجة مفادها أن الله سبحانه يجري إجراءاته في هذه الدنيا التي هي دار الحكمة تحت ستار الأسباب، وذلك بمقتضى اسمه (الحكيم)[5]. وهنالك بعد مهم جداً، وهو دعوة النورسي للأخذ بالأسباب الظاهرة مع عدم الاعتقاد باستقلاليتها، وهذا نشاهده من خلال دعوته لاتقاء شر النار في الدنيا: فهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض والبسوها[6].

وهي دعوة لصناعة بدلات واقية من النيران، وهي دعوة تقي قائلها النورسي -رحمه الله- من نيران الذين يتهمون علماء المسلمين بأنهم أعداء التقدم.

---

(1) المصدر نفسه، ص ١٩٨.
(2) الأنبياء، آية ١٩.
(3) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.
(4) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
(5) المصدر نفسه، والصفحة.
(6) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

إن الباحث يرى أن الله -سبحانه وتعالى- قد قدر خواصاً في الأشياء، ومنها قدرتها على التأثير واستعدادها للتأثر بما يعرف بالعلاقة الطبيعية بين الأسباب والمسببات، ولكن الله -سبحانه وتعالى- قادر على سلب هذه الخواص حينما يشاء، وكيفما يشاء، مثل قصة إبراهيم -عليه السلام- مع النار. ويتبع من هذا أن على المسلمين أن يأخذوا بالأسباب، كما فعل نبينا محمد ﷺ، ولنا عبرة في قصة ذي القرنين في أواخر سورة الكهف، حيث أكدت الآيات على أخذه بالأسباب المادية عدة مرات، ولا يتعارض هذا مع حقيقة التوكل على الله -جل وعلا-، فهي من قدره.

وهنا، اختم هذا البحث بنصيحة من نصائح النورسي التي تتفق مع ما نحن بصدده حيث يقول: «إن كنت راشداً فحرّق حجاب الأسباب، وقل هو الله وحده لا شريك له».

التعقيبات

تعقيب د. إبراهيم زيد الكيلاني على ورقة د.عبدالمجيد النجار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

جزى الله الأخوة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي خيراً، بما أتاحوا لي من تعقيب على هذا البحث القيّم لعالم من علماء المغرب العربي، عرفناه بمؤلفاته وفكره، وبسمعته العلمية الكريمة، وهو الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار، وقد أحسن الحديث عن القضايا الإسلامية المعاصرة بسعة أفق، وحسن بيان، وتلمّس للمشكلات والحلول في ضوء الشريعة الغرّاء، فأرانا جمال المغرب في المشرق، أو جمال المشرق في المغرب، بتواصل علمي خالص، وأخوّة إسلامية صادقة، كانت أكبر من الحدود التي رسمها أعداء هذه الأمة، وصدق فيه وفي أمثاله من علماء المغرب ورجال فكره، قول الشاعر:

حورية لو شاء ساحر طرفها ... سخر الجمال وقال: يا أرض انطقي

والله لو ظهرت بمغرب أرضنا ... ردت إليه بهاء ذاك المشرق

ومن جميل قدر الله أن يكون هذا البحث: «**البعد العقدي للتكوين الإنساني في فكر النورسي**»، والشعب التركي المسلم بقيادة حزب الرفاه يخوضون معركة الإسلام مع الملاحدة واللادنيين بقية يهود الدونما، وخريجي المحافل الماسونية الصهيونية، هؤلاء الذين يريدون أن يفصلوا الشعب التركي عن هويته الإسلامية، ووقف الأستاذ النورسي في مواجهتهم.

ومن كلماته في تحذير الشعب التركي قوله:

«إحذر وانتبه، فإن قوميتك قد امتزجت بالإسلام امتزاجاً، لا يمكن نصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هَلَكْتَ وانتهى أمرك، ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الإسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن

أن تمحى عن الوجود قطعاً، فلا تمحها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تنشرها شياطين الإنس».

وكان الشيخ سعيد النورسي –رحمه الله– قد واجه أتاتورك، وفكره، هذا الذي أعده يهود الدونما والمحافل الماسونية والصهيونية ودوائر والاستخبارات الإنجليزية والفرنسية للإجهاز على دولة الخلافة نظاماً وفكراً وقد وصفه عرفان أوركا في كتابه «**أتاتورك**»، وكان عرفان من المعجبين بأتاتورك «وكان قليل الاختلاط، غير محبب بين الأصدقاء في حياته المدرسية، وكان يتسلى بالخمر، ويشغل نفسه بها، فإنه لا يجد ما يسلي به نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر، لأنه كان لا يؤمن بها ويقول في موضع آخر عن أتاتورك: «قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين لأنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة، وكان لا يؤمن إلا المشاهد المحسوس».

واجه العلامة الأستاذ سعيد النورسي –الذي جمع في دراساته بين الدراسات الشرعية من الكتاب والسنة والفقه– والتصوف، وبين الدراسات المعاصرة من الفلسفة والفلك، والرياضيات وغيرها– واجه الفكر الإلحادي الغربي الوثني.

وكان صاحب عقيدة وعلم وتربية وسلوك، كما كان رجلا مجاهداً شجاعاً، قاتل في ظل الخلافة الاسلامية، وأبلى بلاءً حسناً في قتال الدولة الروسية، وأُسر، وهرب من الأسر، وعاد إلى بلاده ليخوض معركة أشد وأقسى... معركة عقائدية فكرية سلاحها الدليل والبرهان، وعُدَدُها آيات القرآن الكريم، وزيتها عقل الإمام وبصيرته ومنهجيته الرائعة.

والتي أحسن عرضها ضيفنا العالم الكبير الدكتور عبد المجيد النجار حفظه الله.

وكما كان الإمام بديع الزمان النورسي غواصاً على لآلئ القرآن الكريم وجواهره في تجليته آياته وبراهينه وحججه، لمواجهة الردة الكمالية والحضارة الغربية الالحادية والافتتان بها، فكان النورسي في تركيا على الخندق الذي قاوم من خلاله الأئمة محمد عبده، والرافعي، وحسن البنا، وسيد قطب، وعلماء الأزهر، ولجنة نور الإسلام في مصر والبلاد العربية. وكان الدكتور النجار في بحثه هذا على إيجازه

غواصاً ماهراً عرض علينا في منهجيته الموفقة جواهر النورسّي، وسلّط الضوء عليها من خلال النقاط التالية التمهيد – العوامل والموجّهات – البعد العقدي للتكوين الانساني – ملامح المنهج، الرمزية العقدية لكينونة الإنسان – دلالة التكوين على قيمة الإنسان – البعد الآخروي في التكوين الإنساني.

وقد فتح النجار الماهر بتوفيق من الله أبواباً ونوافذ عَرّفتنا كنوز هذا الإمام العظيم. وجمع فيه شتات جواهره، وأحسن بيانها، وقدم مفاتيحها، وكان له من دراسات الإسلامية الوافرة، ومن اطلاعه الواسع على الفكر الغربي، ونفاذ بصيرته على مواطن الداء والدواء التي تعاني منها الأمّة الإسلامية خير هاد وللوصول إلى هذه الدراسة القيمة.

وأقف مع الأخوة الكرام وقفات عند بعض العناوين التي اختارها الباحث...

التمهيد:

لم ينكر د. النجار في مقدمته جهود علماء الإسلام في فهمهم لمقاصد القرآن الكريم وتقديرهم لحقيقة الإنسان، وتوجيههم له لمعالجة أوضاعه على نحو من التلقائية التي تسري فيها التصورات من تلقاء المعتقدات الدينية أو المبادئ الفلسفية؛ لأن الثقافة الإسلامية وما أثمرت من حضارة كانت متأسسة على تصور لحقيقة الإنسان سار في الأذهان على سبيل التلقائية، مضحية في اليقين بالمعتقدات الدينية.

وهناك تصور للإنسان نابع من هذه الثقافة ولكن ليس بصفة تلقائية، وإنما هو تصور مصنوع بالنظر فيما يشبه الفرع العلمي المتميز، وقد دعا الباحث إلى تأسيس علم للإنسان من منظور إسلامي كفرع علمي مستقل ، واسهاماً في هذا الغرض سلّط الضوء على ما في تراث بديع الزمان النورسي من بيانات متعلقة بتصوره لعنصر من عناصر حقيقة الإنسان، وهو عنصر البنية الإنسانية في دلالتها العقدية، تمهيداً بالعوامل التي أدت به إلى بحث موضوع الإنسان عامة، والموجهات الأساسية التي وجهته فيه، ثم عرض لبعض النماذج التي نظمت آراءه وتصوراته في ذلك العنصر عن حقيقة الإنسان عامة.

العوامل والموجهات

ذكر الأستاذ الباحث أن من أهم الموجهات المنزع الصوفي عند النورسي، ثم ما انخرط فيه النورسي من مشروع الإصلاح الإسلامي، وهذا يذكرني بما آلت إليه حالة المجتمع الإسلامي من ضعف روحي وفكري ونفسي وأخلاقي في عصر الحروب الصليبية، وكيف تنبه علماء الأمة إلى دور التربية في مدارس القرآن الكريم، ودور العلماء المربين، بإحياء روح الأمة، وإنقاذها من حالة الضعف واليأس والجهل والجهالة، فمدرسة الإمام الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين، وامتداد هذه المدرسة بمدرسة العالم المربي الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ عبد الرحمن بن الجوزي رحمهما الله مثال، وآثارهما في إعداد نور الدين وصلاح الدين، وجند هذين القائدين اللذين بنيا من المساجد المدارس والزوايا والربط والتكايا بقدر ما بنيا من القلاع والحصون.

إنني مع الأستاذ الفاضل بحاجة إلى عرض علم الإنسان في منظور العقيدة الإسلامية، وهذا مهمة علماء الشريعة وعلماء التربية من رجال الفكر الإسلامي، ولكننا بحاجة أيضاً، إلى العلماء المربين الذين يوقدون الروح الجديدة التي تبعث في هذه الأمة قيم القرآن وأخلاقه، وإذا حاصر أعداء الإسلام المسجد والمدرسة والجامعة، لمنع هذا الإحياء، فإن جهاد العلماء، واستشارة الحركة الإسلامية، بالتخطيط الواعي للوصول إلى الأهداف الكريمة باستعادة بناء الشخصية الإسلامية، المستنيرة بهداية القرآن الكريم جدير بأن يصلنا إلى شاطئ النجاة بإذن الله تعالى علماء التفسير والتربية الإسلامية يفسرون معنى التقوى تفسيراً يستنقذ الإنسان، ويزكيه، ويصعد به وهم يفصّلون في مراتب التقوى ويقولون: درجات التقوى خمس:

١- أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

٢- وأن يتقي المعاصي، وهو مقام التوبة.

٣- وأن يتقي الشبهات، وهو مقام الورع.

٤- وأن يتقي المباحات، وهو مقام الزهد.

٥- وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة وفي تفسيرهم لمعنى قوله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ يقولون: «والمراقبة مقام شريف أصله علم وحال، يثمر حالين، أمّا العلم فهو معرفة العبد أن الله مطلع عليه، ناظر إليه يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر بباله، وأما الحال «وهو انتقال العلم إلى سلوك وبناء للشخصية القرآنية» فهو ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه...[1].

ملامح المنهج

ووقفة مع الدكتور النجار عند ملامح المنهج عند النورسي وقوله: «يتمثل ذلك المنهج في الربط المستديم بين الآيات التكوينية في طبيعة الإنسان الجسمية والروحية، وبين الدلالات العقدية لتلك الآيات».

وأعقب على ذلك فأقول: «إن النورسي بهذا المنهج، أعرض عن طريق الفلاسفة والمتكلمين الذين عرضوا العقيدة الإسلامية عرضاً جافاً، قائماً على مسلمات علمية في عصرهم، ولكنها لم تعد مسلمات في عصرنا، كنظرية الواجب والممكن، والجزء والكل...

وأحسن النورسي حين اهتدى بمنهج القرآن الكريم في الهداية والاستدلال، ومخاطبة الإنسان من خلال آيات الله المبثوثة في ملكوت السموات والأرض في الإنسان والنبات والحيوانات، والشمس والقمر، والنجوم، والهواء، ومواجهة الفكر الملحد بدلائل وجود الله ووحدانيته ببرهان العقل ومنها دليل الخلق والقمر من عدم، ودليل الحياة، ودليل العناية والرعاية الذي يربط بين وظائف الكائنات وحاجات الإنسان، ودليل الهداية، المبثوثة في مخلوقات الله لتؤدي وظائفها بحكمة ولطف، وتقدير، وقد عرضت في كتابي «تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام»، منهج القرآن الكريم بإقامة الحجة على المشركين وبعض دلائل الوحدانية في الإنسان والحيوان، والشجر، والنبات، والشمس، والقمر.

---

(١) انظر ابن الجزي، التسهيل، تفسير أول سورة البقرة وأول سورة النساء.

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأن الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- قال في كتابه «خصائص التصور الإسلام»، وتفسيره لسورة الأنعام الذي عرض فيه (مقومات التصور الإسلامي)، وكذلك الأستاذ محمد المبارك، وعالم الاجتماع الأستاذ الشهيد الفاروقي وبحوثهم في علم الاجتماع الإسلامي، وكان همهم الإنسان، وبيان التصور الإسلامي المتكامل عن الإنسان.

الرمزية العقدية لكينونة والإنسان

يحسن الكاتب حين يضع يده على موطن الخلاف الجوهري بين الحضارة الإسلامية القرآنية، والحضارة المادية الغربية الوثنية، في النظر إلى الإنسان من خلال عرضه للرمزية العقدية لكينونة الإنسان في فكر النورسي فكينونة الإنسان التي يعبر عنها بـ (ماهية الأنا) ليست حقيقتها الوجودية مستمدة من ذاتها، وإنما هي مستمدة من خارجها؛ أي من واهب الوجود لها وهو الله تعالى، بينما هي في النظرة الغربية المادية تمثل وجهاً متناقضاً للوجه النبوي؛ إذ الفلسفة قد نظرت إلى (أنا) بالمعنى الإسمي، أي نقول: إن (أنا) يدل على نفسه بنفسه، وتقضي أن معناه في ذاته، ويعمل لأجل نفسه، وهذا يعني أن وجوده أصيل ذاتي وليس ظلاً؛ أي ليس له ذاتية خاصة به، وينشأ عن هذا الخلاف في التصور آثار عملية في السلوك الفردي والاجتماعي...)، وبيان هذا الفروق العقدية يبين نظرة الإسلام للإنسان المؤمن بقيومية الله على حياته، وعلى كل جارحة وخلية في جسده ﴿أمّن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾، ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر قل الله قل أفلا تتقون﴾.

وقد انتقد النورسي آثار فلسفة الغرب الوثنية المادية التي تزعم أن الإنسان يقوم وحده، مستغنياً عن الله، غافلاً عن الآخرة فيقول: «إن طريق الشرك والضلالة والسفاهة والفسوق يهوي بالإنسان إلى منتهى السقوط، وإلى أسفل سافلين.. ويجد نفسه طوال حياته أمام آلام وآمال لا نهاية لها، بينما لا يملك سوى إرادة جزئية، وقدرة محدودة، وحياة قصيرة، وعمر زائل، وفكر آفل، ... فيتعذب بعذاب محرق أليم قبل الوصول إلى عذاب الجحيم».

ووقفة مع د. النجار وهو ينقل عن النورسي الآثار العملية لهذا التصور الإسلامي للإنسان فيقول: «ومن الآثار العملية لهذه الصورة الأثر المعرفي، فالإنسان لما يكون معتبراً نفسه أثراً لله تعالى، متقوماً في وجوده به، ورامزاً بكينونته إليه، فإنه يفيض عليه من النور ما يستطيع به أن يكشف عن الحقائق الكونية المحيطة به، إذ تلك الحقائق هي ذاتها مطبوعة بنفس ما الذات الإنسانية مطبوعة به، فيفضي ذلك التجانس إلى استقبال صحيح من قبل النفس لمظاهر الكون، فتتم المعرفة الحق، أما لو تصور الإنسان حقيقة نفسه بالصورة الفلسفية فإن ذلك من شأنه أن يجعله يتخبط في درك جهالة مركبة».

والسؤال كيف يكون ذلك ونحن نرى التقدم العلمي والإنجازات الباهرة في مجال الصناعة والفضاء...؟

وقد أحسن الكاتب، وهو يلفت النظر إلى الفروق بين النظرة النبوية والنظرة الوثنية الغربية للعبادة والقيم والأخلاق.

أين دور الجامعات في بلاد المسلمين، وكليات الشريعة والتربية والاجتماع والآداب، في إبراز هذه الفروق بين الحضارتين، وفي تجلية النظرية الإسلامية بعمق وأصالة، بدل أن تكون ناقلاً أميناً للفكر الغربي؟!

لعل الأستاذ الفاروقي -رحمه الله- والمعهد العالمي للفكر الإسلامي عندما نادوا بأسلمة العلوم.. والمعرفة..، كان من أهدافهم إحداث هذه النقلة التى تحرر الدراسات الجامعية من الوثنية الغربية في العقيدة، والتربية والاجتماع والأخلاق.

دلالة التكوين على قيمة الإنسان

تحت هذا عنوان لفت د. النجار النظر بعمق وحكمة إلى قيمة الإنسان في الإسلام التي فسر فيها قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ وأن تلك البنية الدقيقة هي المجلس الأعظم للصنعة الإلهية، والمعرض الأكبر لصفاته تعالى ولأسمائه الحسنى، وكأنه يترجم من قول الشاعر:

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأن هذا التركيب الإنساني الذي أودع فيه من عظيم، القدرات، ولطيف الأسرار، ودقيق الآلات، ووفير الطاقات، ما ينبئ يقيناً بأنه أعد لغايات عليا، تفوق الغايات والمهام التي خلقت من أجلها جميع الكائنات الأرضية الأخرى؛ حتى غدا كخلاصة للعالم، وكعالم صغير يحاكي في تكوينه ذلك العالم الكبير، ولما كان الإنسان على هذا النحو من المحورية التكوينية للكون لله، وعلى هذا النحو من المركزية بالنسبة لسائر الموجودات فإن اكتسب العلوم والرفعة بالنسبة للكون، كما تكتسب مستخلصات العطور بالنسبة للنباتات الكثيرة التي استخلصت منها، وأصبح تبعاً لذلك سيد الكون، وأصبح ما في الكون مسخراً وخادماً لأغراضه كما يكون الخادم في طاعة سيده.

في ضوء هذه الكلمات نعرف كيف يرتقي الإنسان بكلمات الله ومنهجه إلى العلياء، أو ينحط بضلاله، إلى أسفل سافلين. ﴿ومن يشرك بالله فكإنما خرّ من السماء أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾، ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعلموا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾.

وفي هذا المعنى يقول النورسي: «أتحسبون أن مهمة حياتكم محصورة في متطلبات النفس الأمّارة بالسوء، ورعايتها بوسائل الحضارة إشباعاً لشهوة البطن والفرج، أم تظنون أن الغاية من إدرج ما أودع فيكم من لطائف معنوية رقيقة وآلات وأعضاء حساسة... إنما هي لمجرد استعمالها لاشباع حاجات سفلية لرغبات النفس الدنيئة من هذه الحياة الفانية ماش وكلا... إنما هي للقيام بمهمة في الحياة أعلى وأسمى من ذلك كله، هي مهمة الخلافة القائمة على عبادة الله تعالى ترقبه للذات الإنسانية وتعميره في الأرض».

وختاماً أكرر الشكر للأستاذ الباحث، النجار الماهر. الذي فتح لنا أبواباً على مدينة عظيمة، ومدينة بديع الزمان وآيته النورانية النورسية صناديق كنوز ثمينة، فجزى الله أخانا عبد المجيد النجار، وجزى الله إخواننا في المعهد خير الجزاء. وشكراً للأخوة على حسن استماعهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. فتحي: هناك ملحوظتان.

الأولى للدكتور عمر الأشقر: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. عبارة وردت في كلام الأخ الدكتور عبد المجيد، وهي في أصلها حديث غير صحيح «تخلّقوا بأخلاق الله»، لا يقال إن لله أخلاق بل صفات. الذي جرى عليه أهل العلم أن يقال صفات الله تبارك وتعالى، ثم من حيث المعنى، نحن لا يمكننا -أن نتخلق بكل أخلاق الله إن صح التعبير- أو نتصف بكل صفات الله تبارك وتعالى، فهناك صفات يمكننا أن نتصف بها كالرحمة والإحسان، لكن هناك صفات لا نستطيع أن نتصف بها كالعظمة والكبرياء والجبروت، ولذلك يقول المحققون من العلماء: الصواب بهذه المسألة أن نتخلق بالأخلاق التي أمر الله ورسوله، وأن ننتهي عن الأخلاق والصفات التي نهى الله ورسوله عنه، فكل ما أمر الله به، من أخلاق حسنة فتخلقوا به، وكل ما نهى عنه ننتهي عنه، وشكراً.

الثانية للدكتور عبدالمجيد الأنيس: أسئلة موجهة للدكتور أبوصوي. هل ترى من جديد في منهج النورسي ونظرته إلى السببية؟ وهل أنت معه أن الأستاذ النورسي أحد أتباع المدرسة الأشعرية، التي مثلها الإمام الغزالي وغيره؟ وإذاً، ما هو الجديد عند النورسي؟، ما رأيك أنت في مفهوم السببية عند الغزالي وعند النورسي؟. المعلوم أن الأسباب عند الأشاعرة والصوفية هي مجرد كلام عادة، فهل هذا الكلام حق أم باطل؟ ذكر **الدكتور محمد البوطي** في نفس السياق الذي تحدث عنه، بأن العلاقة بين السبب والمسبب؛ إنما هي علاقة تتابع وليس علّية، غير أن السؤال المطروح: ما هو المحذور من القول مثلاً، -إن الله هو الذي وضع في تلك المادة أو ذاك الحدث خاصية ذاتية تؤهلها أن تنتج المسببات، بحيث يصبح التلازم بعد الخلق الأول الذي أوجده الله، ومن ناحية ثانية إذا كانت العلاقة بين السبب والمسببات هي علاقة تتابع مثلاً فكيف نثبت ذلك وننفي العكس؟

د. مصطفى أبو صوّي: حاولت أن أُبين موقفي من بداية المحاضرة، فقبل البحث ذكرت الآيات من سورة الكهف متعمداً حتى أبين أن هذا هو موقفي، ببساطة أن نأخذ بالأسباب، والرسول ﷺ أخذ بالأسباب، والغزالي أخذ بالأسباب، والنورسي أخذ بالأسباب، لذلك أنا نوهت إلى دعوة النورسي الناس لاستخراج المواد التي تقاوم الحرارة، ويصنعون منها بدلات عازلة.

هذا أخذٌ بالأسباب، أما عن الجديد، النورسي لم يتفق مع الغزالي في قضية العلاقة بين السبب والمسبب. عند الغزالي هي قضية تساوق، قضية عادة، لكن النورسي لم يذكر أي شيء من هذا القبيل، بل إن الأستاذ النورسي أراد أن يذهب إلى أبعد من هذا، يعني لم ينكره، إنما أراد للمسلم أن يرى شيئاً غير هذا الذي يراه، على سبيل المثال استذكر أنه في جلسة من جلساته كان ينظر إلى شجرة عنب، ورأى جذع الشجرة لا يعدو أصبعين، والشجرة فيها ١٥٥ عنقوداً، قال هل هذا الغصن هو الذي يريد أن يخرج هذه العناقيد!؟.

الأخذ بالأسباب أو ذكر المسبب أو الناتج هنا لا يفي بالغرض المطلوب، هذا الذي يخرج في جذع الشجرة من الغذاء المصنوع من التراب والماء، كيف يصبح شراباً حلواً؟ يريد الإنسان أن يرى أن هذا على وجه الحقيقة هو من خلق الله سبحانه وتعالى، ونحن على الوجهين، سواء أخذنا بالسبب المباشر أو تعدينا، هو كله من عند الله، السبب والمسبب.

هل هنالك جديد؟ أظن أن الجديد هو إعادة ربط الوعي الإسلامي بأبعد من الطروح في الكتب. الكتب الآن جفت؛ أي تتوقف عن دائرة العلم الآتي من الغرب، في علم الأحياء مثلاً، لغة الكتب اليوم هي لغة التطور، اللغة في الفيزياء هي لغة علمية متخصصة وذكر الله سبحانه وتعالى في أي كتاب من هذه الكتب فهو إعادة الأمور الى نصابها ليس إلاّ.

أما السؤال هل النورسي يُعد من الأشاعرة؟ لا يوجد في جعبتي أن الغزالي يمثل موقف الأشاعرة في هذا الباب، والغزالي كان سبّاق في هذه المسألة، وهي ليست قضية تتبناها المدارس، هو كان فذاً في هذا الباب، وقلت حتى لو خطأنا الغزالي

-رحمه الله- في هذه المسألة المشكلة التي أردت أن أنبّه إليها، وهي أهم من قضية السبب والمسبب، في هذا الباب هي تجميد مسؤولية الأمة، أمة تخلّفت عن ركب الحضارة والتقدم، وتحميلها على أكتاف رجل واحد، هذا لا يجوز حتى لو كانت الفكرة مغلوطة والله أعلم.

د. عبد المجيد النجار: بسم الله الرحمن الرحيم، بدايةً شكراً للدكتور عمر الأشقر على الملحوظة التصحيحية التي تفضل بها فيما يتعلق بالتخلق بأخلاق الله، فأنا أوردتها كشعار نقلته عن النورسي عنواناً للصورة النبوية للإنسان كما قال، ولكن مع ذلك كان من الأولى التعليق عليها للتوضيح.

د. حمود: د. عبدالمجيد النجار أظن أن منهج الإمام النورسي متكامل، وفي اهتمامه البرهاني الوجداني الشامل نجد أنه لم يغط الجانب العمراني، والذي يقرأ النورسي يعتقد أن الإنسان الذي يربيه يجب أن يكون كونياً معمارياً فاعلاً في هذا الوجود.

د. عبدالمجيد النجار: الحقيقة أنا لست أشك في أن الإمام النورسي كان في منهجه البعد الروحي والبعد التعميري، ولا أشك أنه كان يهمل الجانب التعميري، لكن يبدو أن الطريقة التي بيّن بها هذا الموضوع قد يَفهم منها بعض الناس أنه يقصد العبادة بمفهومها السائد الصلاة والزكاة والصيام، وكأنما العمل والتعمير في الأرض ليست من العبادة. قلت: إن الناس هم الذين ترسب خطأً في أذهانهم هذا المعنى، ربما قراءتهم للنورسي بهذه الخلفية رسخت لديهم هذا الفهم الخاطئ، ووددت لو أن النورسي أكد في بيانه وفي كلامه بما اعتقد أنه يتطابق مع قناعته الذاتية تأكيداً، بحيث يصحح عند السامعين هذا المفهوم ، وشكراً..

د. إبراهيم زيد الكيلاني: القرآن الكريم آياته واضحة في تأصيل السببية بالله تبارك وتعالى. لقد نص القرآن على السببية ولكنه لم يقف عند ما وقفت عنده الحضارة المادية الغربية عند السبب الظاهر، وإنما ربط آخر سبب بالله، فالله هو مسبب الأسباب وهو خالق الأسباب، وهو الذي ينتج أثر هذه الأسباب. ومن هنا نجد الفرق بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، الحضارة الغربية، تقوم على الأنا المتشبه بالله، والحضارة الإسلامية تقوم على الأنا المتصفة بصفات الله، الخاضعة لأمر

الله، المنسجمة مع هذا الكون العظيم، وهذا ما وضحه سيد قطب في كتابه «خصائص التصور الإسلامي»، الصلة بين الله والكون والإنسان والحياة في ربط محكم.

لقد ركز الأستاذ المبارك في كتاب «العقيدة الإسلامية» هذا المعنى، وقال: «إن الفرق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الله أنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات﴾ فإذاً نص على السبب، وأن الله هو الذي يخرج به من الثمرات، قانون التسخير، الشمس والقمر والنجوم كلها أسباب وراءها إرادة الله تبارك وتعالى، فالحياة الغربية الوثنية وقفت عند السبب.

عندما كنت عضواً في مجلس التربية والتعليم فوجئت بأن كتاباً يؤلف في سوريا عندما كانت هناك وحدة ثقافية بين البلدين، كتاب للصف الثالث الابتدائي فوجئت بأن الكتاب كتب فيه، خُلقت السمكة، خُلقت الشجرة، ونحن في المنهاج، خَلقَ الله الشجرة، خلق الله السمكة، فنقلت للمؤلف كيف تضع خُلق، وهذا الفعل مفروض أن يكون مبني للمعلوم وليس مبني للمجهول، فقال: نحن لا نؤمن بالله، نحن نضع خلقت الطبيعة. إنه يقف عند السبب الظاهر، فلاحظ أثرها في التربية، فكان الخلاف، وكان الصدام.

د. عبد المجيد النجار: أريد أن أربط بين قضية السببية وبين قضية طرحت في الصباح، وكنت أود الحديث فيها، ولكن كان الوقت ضيق، وهي قضية المعرفة الإلهامية عند النورسي، التي أثارت وقد تثير عند القارئين إشكالاً، وقد سمعنا من هذا الإشكال بعضاً في الصباح. الإمام النورسي لم يقل بالمعرفة الإلهامية فهو لم يخرج عن نظرية المعرفة كما وردت عند علماء أهل السنة وخاصة منهم الأشاعرة والماتريدية أيضاً، وأعتقد أن الخلاف في التعبير فقط ذلك أن الأشاعرة والماتريدية أيضاً وهم أغلب أهل السنة يقولون: إن الإنسان ينظر بعقله، وهذا النظر ينشأ عنه معرفة لكن هذه المعرفة، معرفة الحقيقة التي تنشأ من النظر. هل النظر والبحث هو العلة؟ هل السبب في هذه المعرفة متأتٍ من النظر كما يقول الأشاعرة والماتريدية؟ إن الله تعالى هو الذي يقذف المعرفة في ذهن الإنسان بعد التأمل والبحث من قبله،

والارتباط بينها وبين هذا النظر إنما هو ارتباط عادي بالعادة، والفاعل الحقيقي لهذه المعرفة هو الله تعالى. وهذا هو بالضبط ما قاله النورسي وإنما عبّر عنه بالإلهام. إذاً الذين استشكلوا هذا الموضوع، استشكالهم يزول إن شاء الله بهذا البيان. وشكراً.

د. فتحي ملكاوي: لعل الأخ إياد يشير إلى نفس القضية فيقول: الإمام الغزالي لم يكن منفرداً في كلامه عن الأسباب والمسببات، بل نظرية الأسباب والمسببات في صورتها التي عرضها الغزالي هي الصورة التي بينها الإمام الأشعري وتلامذته في هذا الموضوع، أما كون الغزالي من المدرسة الأشعرية فهذا من المعلوم ضرورة، فلماذا يحيد الباحث – يقصد د. أبوصوي– عن تقرير هذه الحقيقة بوضوح، النورسي يسير على نفس المدرسة، ويظهر ذلك لمن تأمل نشأته العلمية ومناهجه الدراسية التي نشأ عليها.

تعقيب الأستاذ محمود أبو الرز

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، لا أظن أنّ أستاذنا الكبير الدكتور عمر الأشقر عندما عتب على د. النجار في قضية الاتصاف بالصفات الأسمى لله تبارك وتعالى، يسحب التخلق أو الاتصاف بصفات الجمال على كل الأحوال؛ لأن لله تبارك وتعالى صفات جمال وصفات جلال، وكلها تلزم للمؤمن وتصرف في حينها، وإلا ما معنى قول الله تبارك وتعالى ﴿أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين﴾ ففيهم صفة الذلة للمؤمنين، وفيهم صفة العزة على الكافرين، وما معنى قول النبي ﷺ حينما اختال أبو دجانة –رضي الله عنه– وهو يتعصب بعصابة الموت ويختال أمام الكفار قال: «تلك مشية يبغضها الله في غير هذا الموضع»، ولكنه يحبها في هذا الموضع، مع أنها مشية كبرياء وخيلاء.

وما معنى قول المصطفى ﷺ عن الصدقة: «إن الله عز وجل يحب العبد أن يختال بينه وبين نفسه عندما يتصدق، لأنه يفك بصدقته سبعين شيطاناً»، إذاً المسلم أو المؤمن له أحوالٌ يلزم فيها أن يتصف بصفات الجمال مع المؤمنين، ويتصف بصفات الجلال مع الكافرين والله أعلم. وشكراً.

الأستاذ أمين نايف ذياب: السببية ليست موضوع بحث بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، السببية موضع بحث في الفكر الإسلامي، الفكر الإسلامي قال بالخالقية؛ بأن الله خالق للإنسان، لكن هل يستطيع الإنسان أن يفعل الفعل حسب الدواعي والصوارف، أم لا؟ وهل النظم الكونية التي أوجدها الله مفوضة بأن تفعل أم غير مفوضة؟ أي أن الشمس فوّضها الله بأن ترسل الحرارة أم لا؟.

أما قضيتنا مع الكفار فهي قضية عقدية بعد ذلك ينبني عليها الموضوع، فالقضية هي قضية فعلنا نحن، وقدرتنا على الفعل. الأشاعرة يرفضون أن الإنسان فاعل على الحقيقة رفضاً باتاً، والأمر بحسب الأشاعرة أن إسرائيل أوجدها الله! وكل المعاصي أوجدها الله!.

أعتقد أنه لا بد من أن تبحث القضية في سياقها الإسلامي لا في سياقها الغربي، أي بين رؤية المعتزلة ورؤية ابن تيمية، ورؤية الأشاعرة، وإذا لم تبحث هكذا يكون بحثنا في موضوع آخر ليس هو الموضوع الذي نبحثه، وشكراً.

الخاتمة:

د. فتحي ملكاوي: لقد أزف الوقت على الرحيل، ولكن إئذنوا لي بحديث قصير. أعتقد أننا عندما ننظم حلقات دراسية من هذا النوع حول شخصيات إسلامية لها دور في جهود الإصلاح والتجديد؛ لا يكون همنا إقامة أحفال للتكريم والمدح والثناء، وإنما لدراسة التجربة بما لها وما عليها؛ ليكون لنا منها مبادئ وقواعد تعمق فهمنا للجهود الإصلاحية ونتائجها، وإمكانية الإفادة منها في ظروفنا الحالية.

طبيعة الحلقة الدراسية بما فيها من عدد كبير عادة من المتحدثين والمعقبين والأوراق التي قد تصل إلى المئة، بالتأكيد ليس هناك مجال لحسم الأمور، والانتهاء منها إلى صورة محددة موحدة الرؤية في الأذهان، بل الغرض منها –فيما نعتقد– هو عرض صور وصفحات تثير اهتمام الحضور والسامعين وانتباههم إلى هذه القضايا، بحيث يحضهم على مزيد من القراءة ومزيد من الاطلاع، وبالتالي من خلال هذا الجهد يتكون عند كل فرد منهم الصورة التي يستطيع أن يكونها لنفسه، من خلال جهده ومتابعته لأهل العلم ولقضايا العلم في مظانها، وعليه فلا يتوقع لكل متحدث أن يأخذ الوقت الذي يريد في صور التخطيط الذي يتم عادة لأي ندوة أو مؤتمر، بل يعطى وقت محدد يفترض أن يحاول المتحدث أن يحصر مجمل ما يريد أن يقوله في هذا الوقت فإن لم يستطع، فذلك شأنه.

النقطة الأخيرة هي الشكر الجزيل لكل من أسهم في إقامة وفي تنظيم هذه الحلقة الدراسية، بدءاً من الأخوة معنا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي مكتب الأردن، ومع مركز دراسات رسائل النور في اسطنبول في تركيا، ووزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، وعلى الأخص إدارة المركز الثقافي الإسلامي في هذا المكان، أما أجزل الشكر وأعظمه فهو للأخوة الذين أعدوا الأوراق، والذين سافروا وانتقلوا من أماكن إقامتهم إلى هذا المكان، والأخوة الذين انشغلوا مع مشاغلهم في تصحيح الأوراق، وتسليم النتائج والتعقيب على الأوراق. نسأل الله أن يبارك جهودكم وأن يجعلها في ميزان حسناتهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

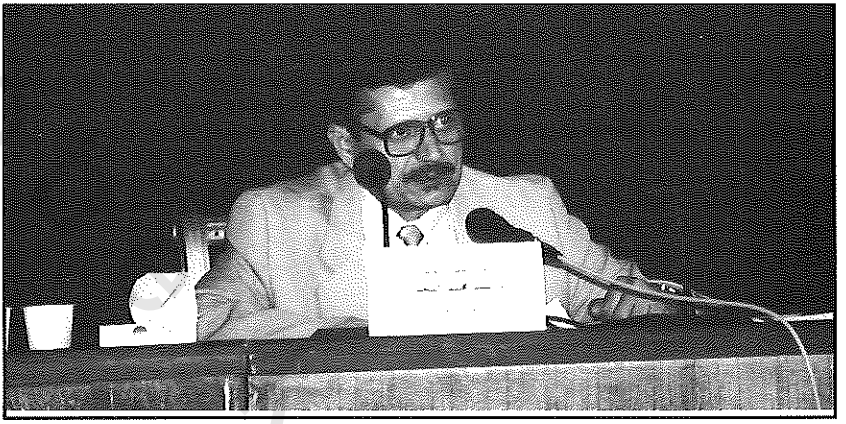

د. عبدالمجيد النجار: في حوار هادىء مع الجمهور.

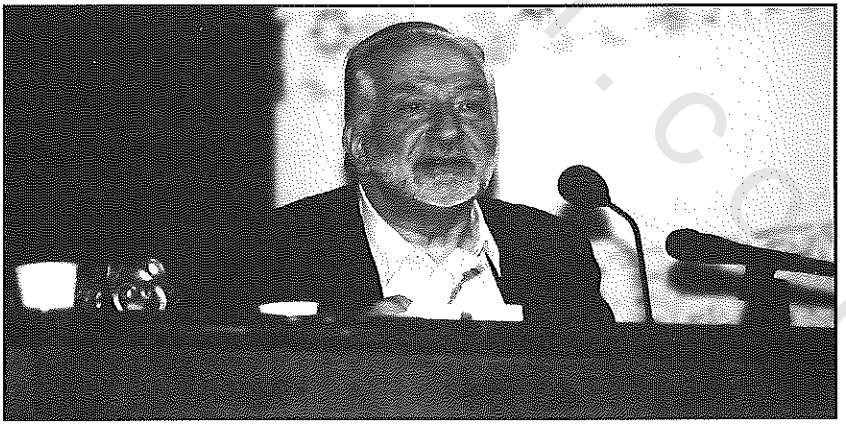

د. إبراهيم زيد الكيلاني: معقباً على ورقة د. النجار.

مؤلفات بديع الزمان النورسي

١. قائمة مؤلفات بديع الزمان النورسي باللغة العربية.

٢. قائمة مؤلفات بديع الزمان النورسي باللغة التركية.

٣. نبذة تعريفية عن مجلدات رسائل النور المترجمة للعربية.

٤. الكتب العربية المؤلفة حول حياة النورسي ورسائله.

صورة تذكارية: جهد متميز للمنظمين...

قائمة مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي باللغة العربية:

١. رجتة العوام، (ط.١٩١٢م).
٢. رجتة العلماء، (صيقل الإسلام) (ط.١٩١٢م).
٣. الخطبة الشامية، (ط.١٩١١م و١٩١٢م).
٤. إشارات الإعجاز في مظآن الإيجاز، (ط.١٩١٨م).
٥. قزل إيجاز على السلم، (ط.١٩٢١م).
٦. قطرة من بحر التوحيد وذيل القطرة، (ط.١٩٢٢م).
٧. حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن وذيل الحبة، (ط.١٩٢٢م).
٨. ذرة من شعاع هداية القرآن، (ط.١٩٢٢م) وذيل الذرة، (ط.١٩٢٣م).
٩. شمة من نسيم هداية القرآن وذيل الشمة، (ط.١٩٢٢م).
١٠. زهرة من رياض القرآن الحكيم وذيل الزهرة، (ط.١٩٢٣م).
١١. حباب من عمان القرآن وذيل الحباب، (ط.١٩٢٣م).
١٢. شعلة من أنوار شمس القرآن، (ط.١٩٢٣م).

obeikandi.com

قائمة مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي باللغة التركية:

١. مناظرات، (ط.١٩١١م).
٢. دواء اليأس، (ط.١٩١١م).
٣. نطق، (ط.١٩١٢م).
٤. ديوان حرب عرفي، (ط.١٩١١ و١٩١٢م).
٥. تشخيص العلة، (ط.١٩١٢م).
٦. نقطة من نور معرفة الله جل جلاله، (ط.١٩١٩م).
٧. سنوحات، (ط. ١٩٢٠).
٨. حقيقت چكرد كلري/١، (ط. ١٩٢٠).
٩. حقيقت چكرد كلري/٢، (ط. ١٩٢١).
١٠. شعاعات من معرفة النبي ﷺ، (ط. ١٩٢١).
١١. لمعات، (ط. ١٩٢١).
١٢. طلوعات، (ط. ١٩٢١).
١٣. رموز، (ط. ١٩٢١).
١٤. إشارات، (ط. ١٩٢١).
١٥. محاكمات، (ط. ١٩٢١).
١٦. خطوات ستة، (بدون تاريخ) باللغة العربية والتركية.

obeikandl.com

تعريف بمؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي التي أطلق عليها اسم رسائل النور «ترجمها إلى العربية ووضع فهارسها: إحسان قاسم الصالحي»

١. الكلمات:

تقع في ٩٢٠ صفحة تضم ثلاثاً وثلاثين رسالة. توجز التسع الأولى منها معاني العبادة والعقيدة ونظر المؤمن إلى الدنيا، ووظيفة الإنسان في الوجود، وأن تجارته الرابحة هي في بيع نفسه وماله لله، وأن الإيمان بالله والآخرة يحل لغز الكون، وبيان حكمة أوقات الصلاة. ورسالة مستقلة في إثبات الحشر بتجليات الأسماء الحسنى، تعقبها مهمة الإنسان في الحياة والموازنة بين حكمة القرآن والفلسفة، وإيراد نظائر من الكون للحقائق القرآنية إسعافاً للقلوب التي ينقصها التسليم، ثم بيان معاني لرجم الشياطين. وشرح وافٍ لأحدية ذات الله جل جلاله مع عموم أفعاله الربانية، وخلقه الأشياء دفعة واحدة وخلقه التدريجي، وقربه منا مع بعدنا عنه، وبيان الانسجام التام بين تجلي اسم الله القهّار واسم الرحمن. وإيضاح أن كل شيء جميل إما بذاته أو بغيره، وإثبات نبوة محمد -ﷺ- مفصلاً. وبيان أهمية معجزات الأنبياء في حثها الإنسان على التقدم في مضمار العلم. وتنبيه النفس المتكاسلة إلى الصلاة مع بيان أنواع الوساوس وسبل علاجها. وإيضاح التوحيد الحقيقي بأمثلة وافية، وبيان تكامل الإنسان بالإيمان. ومشاهدة تجليات الأسماء الحسنى على العوامل، وذكر مفاتيح لحل أسرار كثيرة في الوجود، وسرد اثني عشر أصلاً من أصول فهم الأحاديث الشريفة، وأن المخلوقات تتنوع في عبادتها. ورسالة مستقلة في أربعين وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، وأخرى في القدر الإلهي والجزء الاختياري للإنسان. تعقبها رسائل في لطائف الجنة، وفي بقاء الروح والملائكة و دلائل الحشر. وفي ماهية الإنسان «أنا» وأسرار حركة الذرات ووظائفها. وفي حكمة المعراج النبوي وثمراته. ومواقف علمية دقيقة في أسرار التوحيد، والتدرج في إدراك الأسماء الحسنى. والرسالة الأخيرة ثلاثة وثلاثون نافذة مطلة على التوحيد.

وقد أُلحقت رسالة **«اللوامع»** بنهاية الكتاب، وهي ديوان شعر إيماني لطلاب النور.

٢. المكتوبات:

تقع في ٦٧٢ صفحة تضم ثلاث وثلاثين رسالة تستهل بأجوبة عن أسئلة حول حياة الخضر عليه السلام، وحكمة الموت ومخلوقيته وموقع جهنم. ثم سرد لمشاهد من حياة المؤلف وتأملاته الإيمانية في الكون، وإن الاهتمام بالمسائل الإيمانية ضرورة في هذا الزمان، وبيان حكمة زواج الرسول الكريم -ﷺ- بزينب -رضي الله عنها- وما الفرق بين الكرامة والإكرام والاستدراج؟ وكيف توجّه مجري السجايا، وما الفرق بين الإيمان والإسلام؟ وإظهار عدالة الشريعة في الميراث، والحكمة في إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وخلق الشياطين والشرور. ثم موقف المؤلف من السياسة وسبب ابتعاده عنها. ثم أجوبة عن أسئلة حول الفتن التي وقعت في زمن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- وحول نزول عيسى -عليه السلام-، وبيان أن مسلك الصحابة الكرام وأهل الصحو أسمى من وحدة الوجود وأسلم منه. ورسالة مستقلة في المعجزات تضم أكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزاته -ﷺ- مسندة بأحاديث صحيحة. والتفصيل في أهمية الإيمان بالله ومعرفته ومحبته، وكيفية رعاية حقوق الآباء والشيوخ. ورسالة خاصة في الأخوة بين المؤمنين وسبل علاج الاختلاف. وإيضاح ما يجري في الكون من موت ومصائب، ومقتضيات اسم الرحيم والحكيم والودود. وذكر أسرار الدعاء وأنواعه، ورسالة في دحض دسائس الشيطان حول القرآن. وبيان أضرار الدعوة إلى العنصرية، والإفصاح عن منهج الاعتدال في الاختلافات بين مسالك الأولياء، وكيف أن رسائل النور تؤدي مهمة الإرشاد، ورسالة في الشكر وأنه ثمرة الكائنات. وأجوبة عن أسئلة متنوعة حول إعجاز القرآن ومعرفة حقائقه. ورسالة في حكمة الصيام، وتنبيه حملة القرآن إلى دسائس الشيطان، والرد على المبتدعة الذين يحاولون تغيير الشعائر الإسلامية. وفي الختام رسالة في التصوف وبيان محاسنه ومزالقه.

وقد أُلحقت بها رسالة «**نوى الحقائق**» وهي مقتطفات لسانحات قلبية من آثار المؤلف القديمة.

٣. اللمعات:

تقع في ٤٤٦ صفحة تستهل بالدروس المستخلصة لحياتنا اليومية من مناجاة سيدنا يونس وأيوب عليهما السلام، ثم بيان أن السنة النبوية مرقاة ومنهاج. ورسالة في حكمة الاستعاذة من الشيطان، ومذكرات في العروج إلى المعرفة الإلهية. وبيان أهمية الاقتصاد ومغبة الإسراف ورسالتين في دساتير الإخلاص في الفرد وفي الجماعة. ثم رسالة في الرد على الطبيعيين. ورسائل رقيقة ودقيقة إلى الأخوات في الآخرة، وبيان أهمية الحجاب، ورسالة إلى المرضى والمبتلين وإلى الشيوخ من خلال ذكريات المؤلف نفسه. ورسالة في التفكر الإيماني الرفيع -باللغة العربية- ومسك الختام رسالة الاسم الأعظم المتضمنة قبسات من أسماء الله الحسنى: «القدوس، العدل، الحكيم، الفرد، الحي، القيوم».

obeikandl.com

٤. الشعاعات:

تقع في ٧٥٢ صفحة تضم خمس عشرة رسالة تستهل في إثبات أن جمال الكون ومزايا الإنسان لا يظهر إلا بالتوحيد. ورسالة «المناجاة» ضمن جولة في أرجاء الكون. ثم اللواذ إلى كنف الرحمن في مراتب **«حسبنا الله ونعم الوكيل»**، وبيان أشراط الساعة وصفات الدجال والسفياني. والتأمل في معاني «التحيات لله...»، ورسالة جليلة في مشاهدات سائح يستنطق الكون. وإثبات أن الإيمان بالآخرة أساس لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية. وبيان حكمة التكرار في القرآن، وثمرات الإيمان بالملائكة. وعقبها دفاعات الأستاذ النورسي وطلابه في محاكم دنيزلي وآفيون، مع رسائل مسلية من السجن. وفي الختام إقامة الحجج الدامغة في إثبات التوحيد والرسالة.

obeikandl.com

٥. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (تحقيق):

تفسير قيّم لفاتحة الكتاب وثلاثين آية من سورة البقرة، يقع في ٣٣٢ صفحة يبيّن بعبارات موجزة الإعجاز النظمي للقرآن الكريم أي جهة مناسبة الآيات بعضها ببعض، وتناسب الجمل وتناسقها، وكيفية تجاوب هيآت الجمل وحروفها حول المعنى المراد، معتمداً في ذلك على أدق قواعد علم البلاغة، وعلى أصول النحو والصرف، وقوانين المنطق ودساتير علم أصول الدين، وسائر ما له علاقة بذلك من مختلف العلوم. وقد أملى المؤلف هذا التفسير البديع هو ويتقاطر عليه شآبيب رصاص بنادق الروس في أثناء الحرب العالمية الأولى، فلم يثنه ذلك الموقف الرهيب ولم يُذهِل فكره الثاقب عن الجولان في مناحي إعجاز القرآن المبين.

أُلحق بالكتاب **«قالوا عن القرآن»** للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل.

obeikandl.com

٦. المثنوي العربية النوري (تحقيق):

يقع في ٥٣٤ صفحة يضم اثنتي عشرة رسالة باللغة العربية هي:

١. لمعات من التوحيد الحقيقي.
٢. رشحات من معرفة النبي ﷺ.
٣. لاسيما (في إثبات الحشر).
٤. قطرة من بحر التوحيد وذيلها.
٥. حباب من عمان القرآن وذيلها.
٦. حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن وذيلها.
٧. زهرة من رياض القرآن الحكيم وذيلها.
٨. ذرة من شعاع هداية القرآن وذيلها.
٩. شمة من نسيم هداية القرآن وذيلها.
١٠. شعلة من أنوار شمس القرآن.
١١. نقطة من نور معرفة الله جل جلاله (مترجمة).
١٢. نور من أنوار نجوم القرآن.

هذه الرسائل بمجموعها ترشد إلى دروب النفس الأمّارة بالسوء، وتكشف عن دقائق مسالكها وخبايا دسائسها، وتضع العلاج لأمراضها المتنوعة، ومن ثم تأخذ بيد القارئ إلى منابع الإيمان في رياض الكون الفسيح، لينهل منها ما ينهل حتى يرتوي القلب، ويشبع العقل وتنبسط الروح... فضلاً عن أنها توصله إلى أصول فكر الأستاذ النورسي، فيوغل معه في أعماق تجاربه مع النفس، ويرافقه في سريان روحه في أرجاء الكائنات، ويعمل فكره في ما نصبه من موازين علمية ومعايير منطقية ومناهج فطرية، فهذا السفر النفيس مشتل رسائل النور وغرسها حيث فيه خلاصة أفكاره، بل إن أغلب ما أزهر من أفكاره –في رسائل النور– بذوره كامنة فيه. إذ يضع أمام كل مسلم، بل كل إنسان نمطاً جديداً وفريداً من أساليب التزكية والتربية، قلّما يجده في كتاب آخر؛ حيث أنه يمزج أدق الموازين العقلية والمقاييس المنطقية بأرفع الأشواق القلبية، وأسطع التفجرات الروحية ضمن أمثلة ملموسة تكاد لا تخفى على أحد، آخذاً بيده برفق، متجولاً معه في ميادين النفس والآفاق، مبيناً له ما توصل إليه من نتائج يقينية، بعد تجارب حقيقية خاض غمارها تحت إرشاد القرآن الكريم.

٧. الملاحق في فقه دعوة النور:

عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل. وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا لعصر. تكتنفها مكاتيب وديّة يبين فيها الطلاب مدى استفاضتهم الروحية من رسائل النور، واستفادتهم العقلية منها، وكيف أنها حوّلت مجرى حياتهم، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة. وتتضمن أيضاً توجيهات لتقويم السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين، والحث على الإيمان العميق والعمل المتواصل والترابط الوثيق والاعتصام بالكتاب والسنة، مع التأكيد على العبادة وشحن القلب بالذكر والدعاء والتفكر الإيماني، ودوام الاستغفار والانطراح بين يدي المولى القدير عاجزاً فقيراً... وأمثالها من الأمور التي تهم كل داعية إلى الله، بل كل مسلم.

وتتضمن «الملاحق» ثلاثة كتب مستقلة هي:

١. ملحق بارلا.

٢. ملحق قسطموني.

٣. ملحق أميرداغ.

وكل ملحق من هذه الملاحق الثلاثة يبين مرحلة معينة من مراحل حياة الأستاذ النورسي، مثلما يبين مرحلة مميزة أيضاً من تاريخ دعوة النور منذ انبثاقها في تركيا. لذا امتازت «الملاحق» بطابع دعوي خاص في مخاطبة المحبين والمناصرين للدين بل حتى المعارضين له، وحثهم جميعاً للذود عن الإسلام وعقيدته وتأريخه، لما واجه المجتمع التركي وقتئذ من ملابسات سياسية قاسية شاذة، وحرمان عن أبسط المفاهيم الإسلامية في مرحلة لم يكن هناك عمل إسلامي جاد، يحمل على عاتقه مسؤولية النهوض بحمل الأمانة وإرشاد أبناء الأمة.

٨. صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم):

يقع في ٥٩٨ صفحة، ويضم الرسائل الآتية:

١- **محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة** (ترجمة وتحقيق)،

٢- **قزل إيجاز:** حاشية الأستاذ النورسي على «السلم المنورق» المنظوم لشيخ الإسلام عبدالرحمن الأخضري (ت: ٩٨٣هـ) في علم المنطق، مع شرح الملا عبدالمجيد.

٣- **تعليقات على برهان الكلنبوي:** رسالة في علم المنطق أيضاً؛ عبارة عن تعليقات وتقريرات الأستاذ النورسي على كتاب «البرهان» للعالم المحقق إسماعيل بن مصطفى الكلنبوي (ت: ١٢٠٥هـ). وهاتان الرسالتان ألفهما الأستاذ النورسي باللغة العربية.

٤- **السانحات**

٥- **المناظرات**

رسالتان باللغة التركية تسلطان الأضواء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، حيث أُلّفتا والدولة العثمانية تعاني ما تعاني في أيامها الأخيرة، وقد دبت فيها أمراض شتى وعلل متنوعة، لذا تضمنتا الحلول الوافية والعلاجات الشافية لها، وفي الوقت نفسه تضمد الجروح الغائرة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء وتضع، البلسم الشافي عليها بأسلم وسيلة.

٦- **المحكمة العسكرية العرفية:** وهي دفاع الأستاذ النورسي أمام المحكمة العسكرية العرفية في عهد الاتحاديين، والمسماة بـ «شهادة مَدْرَسَتَيْ المصيبة»؛ إذ عندما طالب الأستاذ إصلاح التعليم، وتأسيس جامعة في شرقي الأناضول باسم مدرسة الزهراء ألقي في مستشفى المجاذيب، وبعده أُقتيد إلى المحكمة العسكرية بتهمة مطالبته بعودة الشريعة.

٧- **الخطبة الشامية:** وهي التي ألقاها في الشام بيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية ووسائل علاجها.

٨- **الخطوات الست:** ألّفت رداً على احتلال الإنجليز لإستانبول، تفنّد أباطيلهم، وتشدّ من عزائم المسلمين في تلك الأيام المظلمة.

الكتب العربية المؤلفة حول حياة الأستاذ النورسي ورسائل النور:

١. الفكر الأدبي والديني عند سعيد النورسي، د. سمير رجب محمد.
٢. سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان، أديب إبراهيم الدباغ.
٣. مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، أديب إبراهيم الدباغ.
٤. النورسي متكلم العصر الحديث، أ.د. محسن عبدالحميد.
٥. النورسي رائد الحركة الإسلامية، أ.د. محسن عبدالحميد.
٦. سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، أورخان محمد علي.
٧. بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره، إحسان قاسم الصالحي.
٨. سعيد النورسي حياته وآثاره، أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي.
٩. ذكريات عن سعيد النورسي، أسيد إحسان قاسم.
١٠. سيرة إمام مجدد، عاصم الحسيني.
١١. بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي: ١، ٢، ٣.

obeikandl.com

ساهمت في دعم هذه الحلقة الدراسية

مؤسسة

B.S.Nursi Cultural Foundation

في ألمانيا

و مؤسسة

Ufuk Media

في ماليزيا

obeikandl.com

مركز بحوث رسائل النور
Malla Soref Mahallesi,
Tomrkqu Sokak, No. 47/1
34260 Fatih
ISTANBUL
Tel: (91212) 5233233

تأسس مركز بحوث رسائل النور سنة ١٩٩٢م، وهو تابع لمؤسسة الثقافة والعلوم باستانبول

Istanbul Ilim Kullur Vaktr

مهمة المركز ثقافية بحته، تُعنى على وجه الخصوص بآثار بديع الزمان سعيد النورسي، سواءً من حيث الترجمة أو إقامة المؤتمرات للتعريف بها.

وقد أقام المركز في غضون السنوات السابقة مؤتمرين عالميين:

١. المؤتمر الأول في ٢٧-٩٢/٩/٢٩ باستانبول، وحضره عشرون من جلّة الأساتذة الباحثين من مختلف أنحاء العالم.

٢. المؤتمر الثاني في ٢٤-٩٥/٩/٢٦ باستانبول أيضاً، وقد حضره ما يقارب الستين من الأساتذة الباحثين المتميّزين من مختلف أنحاء العالم.

كما أقام المركز عدة ندوات ومؤتمرات وحلقات دراسية في كل من استانبول وأنقره، شارك فيها نخبة من أساتذة القطر فقط.

لم يقم المركز حتى الآن بمباشرة النشر، وإنما يكتفي بما تنشره دور النشر الأخرى، ويتعاون معها أحياناً في ذلك.

obeikandi.com